أَلْقَابُ وَ التَّضْمِينُ
فِي
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

دراسة أسلوبية

د. كاظم عبد فريح المولى الموسوي

١٤٢٧ هـ

٢٠٠٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي
أَمْرِي * وَاجْلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا
قَوْلِي))

صدق الله العظيم

(سورة طه الآيات : ٢٥ - ٢٨)

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	أ - د
التمهيد :	١٢ - ٢

الباب الأول: ((الاقتباس في نهج البلاغة))

الفصل الأول : (أنواع الاقتباس في نهج البلاغة)

مدخل :	١٥
المبحث الأول: (أنواع الاقتباس من القرآن الكريم).....	٦٢-١٦.....
المبحث الثاني:(أنواع الاقتباس من الحديث النبوي الشريف).....	٧٩-٦٤.....

الفصل الثاني:(وظيفة الاقتباس في نهج البلاغة)

مدخل :	٨١
المبحث الأول:(التوظيف الدلالي).....	٩٧-٨٢.....
المبحث الثاني:(التوظيف الفني).....	١١٩-٩٨.....

الفصل الثالث: (خصائص الاقتباس)

مدخل:.....	١٢١.....
المبحث الأول:(الخصائص الدلالية).....	١٣٩-١٢٢.....
المبحث الثاني:(الخصائص الفنية).....	١٥٧-١٤٠.....

الباب الثاني: ((التضمن في نهج البلاغة))

الفصل الأول : (أنواع التضمن في نهج البلاغة)

مدخل :	١٦١-١٦٠.....
المبحث الأول:(التضمن الشعري).....	١٧٣-١٦٢.....
المبحث الثاني:(تضمن المثل العربي).....	١٨٢-١٧٤.....

الفصل الثاني: (وظيفة التضمين في نهج البلاغة)

مدخل : ١٨٤

المبحث الأول: (التوظيف الدلالي).....١٨٥-١٩٥

المبحث الثاني: (التوظيف الفني).....١٩٦-٢٠٤

الفصل الثالث: (خصائص التضمين في نهج البلاغة)

مدخل:.....٢٠٦

المبحث الأول: (الخصائص الدلالية).....٢٠٧-٢١٧

المبحث الثاني: (الخصائص الفنية).....٢١٨-٢٣١

مصادر المصادر : ٢٣٢ - ٢٤٥

لِقَاءِ نَمَّةٍ

بالصواب، وافضل من أوتى الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله ملح الأرض وزخرفها، وعلى صحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

كان نهج البلاغة وما يزال يفتح كل يوم باباً جديداً من أبواب الدلالة، ويمنح عطاءات سخية من المعاني، وهو بمثابة أرض بكر تَغري الدارسين والباحثين وذلك لسعة ميادينه، وتنوع مواضعه. ومع كثرة الشروح والدراسات التي ألفت فيه ظلَّ بحراً متلاطماً، وفضاء رحباً لا يمكن سبر أغواره، أو الإحاطة بأبعاده، وعند تتبع ما كتب فيه - وفي حدود علمي - يظهر أن أغلبها كانت شروح، أو ترجمات^(١)، أو دراسات لموضوع من مواضعه^(٢)، وعلى الرغم من تزايد الدراسات البيانية^(٣)، والنحوية^(٤)، واللغوية^(٥)، التاريخية^(٦) فيه، يبقى ما يتعلق بموضوع (الاقتباس والتضمين)، أو ما هو قريب منهما مجرد إشارات متناثرة بين سطور هذا الشرح، أو ذاك^(٧)، أو تلك الدراسة^(٨)، ولم يُعقد

(١) دون أكثر من (٣٠٠) شرح، وترجمة لنهج البلاغة.

ينظر: بهج الصباغة في شرح البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، دار أمير كبير، طهران، ١٩٩٧م، المقدمة، ص: ١٥.

(٢) ينظر مثلاً: السلم وقضايا الحرب في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، بيروت، ١٩٧٨م،

و: دراسات في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار الإسلامية، ط ٣، بيروت، ١٩٨١.

و: شرح حكم نهج البلاغة، الشيخ عباس أقمي ت (١٣٥٩هـ)، دار الأنصار، قم، ٢٠٠٥م.

(٣) ينظر مثلاً: الأدوات البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة، نجلاء عبد الحسين الغزال، رسالة ماجستير، جامعة

الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.

و: الصورة الفنية في كلام الإمام علي، د. خالد محمد محي الدين، مجلة المنهاج، ع ١٩٩٧، ص ١٥٩-١٧٢.

(٤) ينظر مثلاً: أساليب التأكيد في نهج البلاغة، أصيل محمد كاظم، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٠٢م.

و: أساليب الطلب في نهج البلاغة، عدوية عبد الجبار كريم الشرع، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠٠٠م.

(٥) ينظر مثلاً: خصائص الجملة في نهج البلاغة، سمير داود سلمان، رسالة دكتوراة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٣م.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، رؤية اعتزالية، جواد كاظم منشد، منشورات ذوي القربى، قم، ١٣٨٤هـ. ق.

(٧) لقد حرص شارحو النهج عبر العصور على الإشارة إلى بعض الآيات، والأحاديث، والأشعار، والأمثال، وإن كان في

أغلبه عفوية بسيطة طارئاً، إذ لم يكن هدفاً في حد ذاته بقدر ما كان وسيلة من وسائل التفسير، والشرح، واختلف الشراح

في مقدار السعي في ذلك، وإن كان بعضهم قد تمزق في إفراد مساحة كبيرة لذلك، كإبي الحديد، وإبن ميثم البحراني

من القدماء، والشيخ التستري من المحدثين، وهذا ما يبرر كثرة الاعتماد على هذه الشروح دون سواها

(٨) وردت إشارات عابرة للاقتباس والتضمين في بعض الدراسات، تصريحاً أو تلميحاً.

ينظر مثلاً: أسلوب التوكيد في نهج البلاغة. و: خصائص الجملة في نهج البلاغة.

و: الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة، السيد محمد جعفر الحكيم، مجلة النجف الأشرف، ١٩٧٦.

و: المثل في نهج البلاغة، الشيخ عبد الهادي الفضلي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، بغداد، ١٩٧٨م.

ب

لهما المباحث، أو الفصول المستقلة، لمَّا مرَّ الباحثون عليها مرور الكرام، وربما نجد شيئاً من ذلك بصورة أوضح في جهود بعض العاملين في وضع فهارس خصّصت لرصد الآيات، والأحاديث، والأشعار التي وردت بصورة مباشرة - فقط - في النصّ النهجي.

وعلى الرغم من ذلك كله يبقى النصّ النهجي ليس على مستوى دراسته كقيمة أدبية بلاغية فنية، ولم يأخذ نصيبه في هذا الجانب مثلما أخذ في الشرح، ممَّا استدعى المضي في تتبّع الاقتباسات، والتضمينات، المباشرة وغير المباشرة والمُتأثرة في الشروحات، والدراسات، وبيان أنواعها، ووظائفها، وخصائصها.

ومثّل هذا التناثر للإشارات الاقتباسية والتضمينية - بأنواعها - وجهين متناقضين، الأول منها يمثّل صعوبة في تدبّرها، والثاني دافعاً مغرياً للخروج بها في دراسة أكاديمية نهضت في بابين مستقلّين، بعد التمهيد ببيان صطلحي (الاقتباس) و(التضمين) وأصطلاحاً، وأصطلاح الحديث البديل لها ما في الدراسات القديمة البلاغية الحديثة في إشارات سريعة كاشفة.

لقد نهض الكتاب على مقاربات نقدية بلاغية تسعى إلى تقصي علائق النصّ النهجي بالموروث الديني (القرآن والحديث النبوي)، والموروث الأدبي (الشعر والمثل)، ومعرفة مدى توظيف نينك الموروثين، وخصائص كلٍّ منهما ما لمستدعى تصنيفها ما في بابين هُما (الاقتباس في نهج البلاغة)، و(التضمين في نهج البلاغة).

وتوزع ألباب على ثلاثة فصول، خصّص الأول لرصد المرجعيات الاقتباسية، المستلهمة من مفردات، ودين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتقصّيها وبيان أنواعها، بدءاً من المفردة، وانتهاء بالنص، والمقصود بالمفردة القرآنية هي المفردة التي أوجدها القرآن الكريم، أو إن ورودها خارج الاستعمال القرآني قليل، ويأخذ بعضها خصوصية الانتساب القرآني على الرغم من وجود تغيير طفيف في بُنيتهما الطّوية، والأذي قابلهُ اقتباساً لتراكيب اختصت برسول الله (ص وآله)، عوّدت بانتسابها إليه.

والفصل الثاني خصّص لبيان أثر تلك الإشارات ومدى توظيفها في النصّ النهجي، في المستويين الدلالي، والفني، والحديث عن الجانب الدلالي لم يكن عن العلاقات الدلالية من تقديم وتأخير، وتكرار، ومشارك لفظي، وترادف، بل هو حديث عن العطاء الدلالي للمفردات، والعبارات، والتراكيب.

والثالث جاء لتتبع خصائص الاقتباس الدلالية والفنية، مع تتبع خصائص كلِّ نوعٍ منهما.

وتوزع الباب الثاني على ثلاثة فصول ماثلة لسابقاتها في الغاوين ، والتقسيمات على وفق رؤية منهجية دقيقة ، ولكن مما ينبغي التنبيه عليه ، والتنبه إليه هو أن الباب الأول جاء عاكسا لوجود النص القرآني-خاصة- والحديث النبوي الشريف في النصوص النهجية ، إذ شكلا تواجدا كبيرا ملحوظا إذا ما قورن بالمساحة الأقل للموروث الأدبي من شعر وثر ، فكان ذلك عنصرا ضاعطا للوصول إلى أمرين ؛ الأول: كبر مساحة باب الاقتباس بفصوله ، والثاني: الاضطرار إلى تكرار بعض شواهد التضمين - في الشعر خاصة - لاسيما المباشرة منها والتي انحصرت في عدد محدود سيبيضح في موضعه ، إلا أن الشافع لي في ذلك- إضافة إلى ما تقدم- هو تعدد زوايا النظر إليها ، على وفق الرؤى البلاغية تارة ، والصوتية تارة أخرى ، والنزحية الثالثة ، تدبعا للموضوع التي نوسيت فيه ، فضلا عن كتناز تلك الشواهد بالدلالات ، وهو الشافع الأكبر فيما تقدم.

وتلت هذين البابين خلاصة لأهم نتائج البحث التي توصل إليها الباحث، مع إدراج لمصادر الموضوع، ومراجعته التي اعتمد عليها.

وهناك بعض التنبيهات التي ينبغي الالتفاف إليها، وهي:

أولاً: إن ذكر نطل النهجي في الدراسة كلها يـُحال إلى كتاب نهج البلاغة الذي حقه محمد أبو الفضل إبراهيم⁽¹⁾، وذلك لاعتماده في أغلب الدراسات الأكاديمية في نهج البلاغة.

ثانياً: لم يكن اعتماد بعض الشروحات أكثر من غيرها في باب ما، أو فصل ما، أو مبحث ما، إلا لوجود ما يسوغ ذلك ، وبالتالي نجد تنوعاً بتنوع الحاجة إلى هذا الشرح، أو ذلك نون غيره ، ولكن يبقى الاعتماد المتميز لشرح ابن أبي الحديد⁽²⁾، باعتباره الشرح الذي سق الكثير من الشروح فيما رماه ، لكثرة تكرار ما قاله في كثير منها، مما يوجب اعتماد الذكر الأول في هذا الشرح، وشرح ابن ميثم البحراني⁽³⁾، لاهتمامه بالدرس البلاغي في كثير من الأحيان .

ثالثاً: تمت الإشارة في الدراسة بالرمز (خ) إلى الخطبة، والرمز (ك) إلى الكتاب، والرمز (ح) إلى الحكمة، أو الموعظة.

(1) صدر عن مطبعة الاستقامة، مصر (د.ت).

(2) صدر عن دار الساقية ، بيروت، سنة، ٢٠٠١م .

(3) صدر عن دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة، ١٩٩٢م .

وختاماً، وأنا أضع هذا الجهد المتواضع بين يدي أساتذتي ، أملٌ من الله العليّ القدير أن أكون قد وفّقت في شيء منه ، ولا أدعي الكمال فيه، فالكمال لله وحده ، راجياً منه تعالى أن يحفظنا ، ويكفّلنا بالسّتر ، والعافية ، والامان ، لأنّ ماضي قديماً في خدمة العلم ، والحفاظ على تراثنا الأدبي الرّفيع.

١٠٠ / ١٠٠ / ١٠٠

التخطيط

التمهيد: رؤية لغويّة، اصطلاحية، نقدية .

يستمدُّ النصُّ قوّته وسلطته من خلال تأثيره في المتلقين له، ويتأتّى ذلك من خلال ارتباط النصِّ بالموروث الأدبي، والثقافي، والنفسي لأولئك المتلقين، والمُتَحَقِّقِ بِفِعْلِ التَّفاعِلِ، والتَّداخلِ بَيْنَ النُّصوصِ السَّابِقَةِ واللاحقة عن طريق (الاقْتِباسِ والتضمين).

وملِّمٍ دِرْكَهَ الْمُتَقَيِّ المتخصِّصِ انتظامِ أمداخلاتِ النَّصِّيَّةِ في خِطَبِ الإمامِ ، وكتبه ، وحِكْمِهِ ، ومواعظه بمفرداتٍ ، وتراكيبٍ ، وجملٍ ونُصوصٍ من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، أو من الشعر ، و المَثَلِ ، والحِكْمَةِ ، كَشَدْرَاتٍ لَتُوَدِّي هَانِيهَا الَّتِي ابْتَعَاها بِجَانِبِ مَبْنَاهَا لِأَنَّ ذِي لَمْ يَكُنْ بِمِعْزَلٍ عَن سدى النَّصِّ وِلْحَقَهُ .

إنَّ الإبداعَ الفَني . الأَدبي خاصة - لا يحدثُ بِشَكْلِ مَعزولٍ ، أو فرديٍّ ، لَكِنَّه نَتَاجُ لتفاعلٍ مُتَدَلِّمًا لا يُحصى من النصوص المختزنة في ذهن المبدع، ويتمخض عن هذه النصوص حين ينشأ في ذهن الكاتب، ويتولد عنه العمل الإبداعي الذي هو النص^(١)، غير أنَّ ظاهرة الاستعانة بالنصوص كانت ضمن دائرة الاتهام في تراثنا النقدي الأدبي القديم لاسيما في الموروث الشعري حيث في باب (السَّرقات الشعرية)، واتضح ذلك جليا في كتابات القاضي الجر جاني ت (٣٦٦هـ) في كتابه (الوساطة بين المتبني وخصومه).

ويُعدُّ تمظهر النصوص بمِعزَلٍ عَن الموروثِ الأَدبي ابتساراً، وتلمة في ادبيتها، قد لا يكون هذا في اغلب النصوص، لكنَّه - في الأقل - في عدد غير قليل منها، والاستعانة بالنصوص بمثابة تجلٍّ مبهٍرٍ للخزين المعرفي للمبدع والرجوع إلى الموروث الأدبي، واستدعاؤه في النصِّ من أكثر الظواهر فعالية في أدبيته، حيث يقول (التداخل) بين النصوص إلى تشكيلات أدبية جديدة، بغضِّ النظر عن درجة ذلك التداخل " وكلُّ نصٍّ أدبيٍّ هو حالة انبثاق عما بقاه من نصوص تماثله في جنسه الأدبي " (٢).

لاضير من الإفادة النصية، أو الإشارية، أو الدلائلية لموروث الأدبي مادام ذلك يُعدُّ الأساس - أحيانا - في انبثاق التجربة الأدبية، والإبداع يحدث من تزواج، وتداخل بين المخزون، والمبتدع. والأديب يميل إلى دعم فكرته أو تحسينها بما يختزنه من ثقافة موروثية، وفي التراث الأدبي العربي يأتي القرآن والحديث النبوي الشريف في مقدِّمة ذلك الخزين، فضلا عن الموروث الشعري وما يُصاحبه من مَثَلٍ أو حِكْمَةٍ .

(١) ينظر: الخطيئة والتكفير، د. عبد الله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية،

١٩٨٥م، ص : ٩ .

(٢) لذة النص، رولان بارت ، ترجمة فؤاد صفاء والحسين سيحان ، دار تويقال للنشر، المغرب، ١٩٨٨م، ص: ٣٥

إنَّ استدعاء آية، أو بعضها، أو حديث نبوي، أو بعضه، أو معفاً ما يختلف في تسميته عن استدعاء الشعر، أو المثل، أو الحكمة، وكلا هذين النوعين يمنح النصَّ لإبداعي بـعداً دلالياً لمساحة أوسع، فهو استمداد دلالي يرفد العملية الأدبية من خلال التفاعل بين المضيف والمستضاف، نتيحةً نصاً جديداً، ويكون ذلك بوعي من المبدع وقد صد ، أو من دون ذلك ، فيصبح النصُّ الجديد نصّاً له ظلٌّ ، لأنَّ " النصَّ الحقيقي في حاجة إلى ظلِّه بشكلٍ لازم " (1)

ولا يكون الاستدعاء - المقصود أو غير المقصود - وفاقاً وفاعلاً في إثراء النصِّ ما لم يكن متأثراً بطريقة تكشف قدرة المبدع على استلها الموروث المعرفي، والتعامل معه، فالنظم الصحيح، والمنسوج في سياق فنيٍّ صحيح هو الضامن لنجاح ذلك الاستدعاء الذي يتحد فيه القديم والجديد، عند ذلك يصبح النصُّ مورقاً، قادراً على استلها النصَّ الغائب، واستثماره في بنية النصِّ، فينضح دلالةً، ويتفجر معنىً. الاقتباس والتضمين هما البوابتان الواسعتان لتداخل النصوص، وتفاعلهما والتزاوج بين المخزون والمبتدع .

ولابدَّ في التوقُّف عند هذين المصطلحين بوصفهما عنواناً، ومحوراً للبحث.

القَبْسُ: الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ (١) وَيُقَالُ: قَبَسْتُ مِنْ نَارٍ، اقْتَبَسْتُ قَبَسًا فاقْتَبَسَنِي: أَيِ اعْطَانِي مِنْهُ قَبَسًا، وَكَذَلِكَ اقْتَبَسْتُ مِنْهُ نَارًا، وَاقْتَبَسْتُ مِنْهُ عِلْمًا وَنَارًا سِوَاهُ (٢)، وَاقْبَسَهُ: أَعْلَمَهُ (٣).

وعند البحث عن معنى (الاقْتَبَاسِ) في معاجم اللُّغَةِ نَرَاهُ يَنْطَوِي عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ، لَا تَبْتَعُدُ كَثِيرًا عَنْ مَعْنَاهُ الْعَامِ وَهُوَ طَلَبُ الْقَبَسِ: أَيِ الشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَخَذَهُ، فَالِاقْتَبَاسُ لُغَةٌ هِيَ الْأَخْذُ، وَالِاسْتِفَادَةُ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ .

الاقْتَبَاسُ ، اصطِلاحيًا :

هُوَ أَنْ يُدَوِّجَ كَلِمَةً مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةً مِنْهُ فِي الْكَلَامِ تَزْيِينًا لِنَظْمِهِ، وَتَضَخِيمًا لَشَأْنِهِ (٤) فَهُوَ تَضْمِينُ الْكَلَامِ كَلِمَةً مِنْ آيَةٍ أَوْ آيَةً مِنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ (٥)، أَوْ مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ (ص وَ ه) (٦).

وَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَصَرَ الْاِقْتَبَاسَ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحَدَّهُ (٧) فَهَانَ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ (ص وَ ه) مِنْ دَائِرَتِهِ عِنْدَ كَثِيرٍ غَيْرِهِمْ، كَمَا هُوَ بَيْنَ فِي تَعَارِفِهِمْ لِهَذَا الْفَنِّ.

وَاصْبَحَ تَعْرِيفُهُ اصطِلاحيًا "تَضْمِينُ الْكَلَامِ شَرَاهُ، أَوْ ظَمًا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ" (٨)، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ زَادَ فِي التَّعْرِيفِ السَّابِقِ عِبَارَةً: (لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ) (٩)، أَوْ عِبَارَةً أُخْرَى

هي (لَا يَنْبَغُ عَلَيْهِ لِعِلْمِهِ بِهِ) (١).

- (١) ينظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت (٣٩٨) هـ، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٨م، مادة (قبس)، ج٣/٩٦.
- (٢) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت (٧١١) هـ، دار صادر، (د.ت)، لبنان، مادة (قبس)، ج٦/١٦٧.
- (٣) وينظر: الصحاح، مادة (قبس)، ج٣/٩٦.
- (٤) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت (٨١٧) هـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، مادة (قبس)، ج٢/٢٣٩.
- (٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ت (٦٠٦) هـ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، و د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر، عمان ١٩٨٥م، ص: ١٤٧.
- (٦) وهناك تعريفات عديدة لهذا الفن في كتب البلاغة، والأدب.
- (٧) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٣م، مادة (اقتباس)، ج١/٢٧٠-٢٧٤.
- (٨) ينظر: معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٧م، ص: ٥١٩.
- (٩) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة التوسل، شهاب الدين محمود الحلبي، ت (٧٥٢) هـ، تحقيق اكرم عثمان موسى، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص: ٣٢٣.
- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ت (٧٣٩) هـ، تحقيق د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط٢، بيروت، ١٩٩١م، ص: ٣٤٢.
- ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، ت (٨٢١) هـ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ج٢/٣٤٢.
- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (اقتباس)، ج١/٢٧١.
- (٧) قال صاحب كتاب (أنوار الربيع): ((خص الاقتباس بالقران الكريم تميزا له عن سائر الكلام))، ج٢/٢٣٢.
- (٨) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الروؤف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٠هـ، ج٢/٨١.
- (٩) ينظر: الإيضاح، ص: ٣٤٢.
- ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، ١٩٣٢م، ص: ٤٢٢.
- (١) ينظر: حسن التوسل، ص: ٣٢٣.

وعُرف هذا اللون من الفنون البلاغية منذ عهد مبكر، ولعلَّ الجاحظ ت (٢٥٥هـ)، هو أول من أشار إليه^(٢)، حتَّى أتهم عابوا الخطبة التي تَخْلُو من كلام الله، وسَموا الخالية من البسمة بالبتراء^(٣). ويذهب بعض النقاد إلى القول: إنَّ الاقتباس يدخل في مجال النثر دون الشعر، لأنَّ الشاعرا لا يقتبس، بل يعيد، ويضمن، وأما الناثر فهو الذي يقتبس كالمُنشئ والخطيب^(٤). من زاوية أخرى نجد اختلافًا آخر بين العلماء، والنقاد في عملية الاقتباس، أيقصر الاقتباس على (الأخذ)، و(الإفادة) من كتاب الله، وحديث رسوله (ص واله) فقط؟، أم يتعداهما إلى فنون أخرى؟ هناك من وقف به عند هذين الفنيين، وآخرون تجاوزا به ذينك الموردين، وادخلوا الشعر وغيره من الفنون ضمن دائرته^(٥).

واشترط السيوطي في هذا الفن ألا يَصُحَّ الشاعر أو الناثر بقوله قال الله تعالى، ونحوه^(٦). ويرى آخرون أن (الاقتباس) لا يكون بالمفردة، وإذا وردت في التعريف (كلمة) فإنَّ المراد بها الكلام المركب، وليست مفردة في حالتها المعجمية، إلا إذا كانت كلمة مميَّزة، كأن تكون من الأعلام القرآنية، أو اسم سورة، أو حروف افتتاح السور^(٧).

وجزَّ البعض التغيير الطفيف الذي قد يصاحب عملية الاقتباس من القرآن الكريم^(٨). وعدَّ الاقتباس نوعاً بديعياً، بوصفه واحداً من المحسنات البديعية^(٩) وهناك نوع من الاقتباس يُدعى (الاقتباس التوجيهي) وهو ما أشار فيه الشاعر - على وجه الخصوص - إلى قاعدة مشهورة من العلوم النقلية أو العقلية من غير القرآن، والحديث، وادخله البلاغيون تحت باب التوجيه^(١٠).

ينظر: نهاية الإرب في معرفة الأدب، النويري، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٩م، ج ١٨٢/٧.
(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان بحر الجاحظ ت (٢٥٥) هـ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدى، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٥م، ج ١١٨/١.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (اقتباس)، ج ٢٧٠/١.
(٤) ينظر: السرقات الأدبية، د. بدوي طبانة، دار الثقافة، ط ٣، بيروت، ١٩٨٦م، ص: ١٦٥.

(٥) ادخل القلقشندي، وابن الأثير الشعر في (الاقتباس).
ينظر: صبح الأعشى، ج ٢/٣٤٢.

ينظر: المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير ت (٦٢٢) هـ، تحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي ط ٢، الرياض، ١٩٨٣م، ج ١/١٥٩.

وعد بعضهم الإفادة من معاني أرباب الفنون المختلفة، وأهل المهن والصناعات من الاقتباس
ينظر: السرقات الأدبية، ص: ١٦٦.

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٩١١) هـ، مطبعة مصطفى الحلبي، ط ٢، مصر، ١٩٥١م، ج ١/١١١.

وهناك من اشترط أن تكون العبارة المقتبسة ظاهرة مشهورة معروف صاحبها، وهذا يتعلق بالتضمين
أكثر منه بالاقتباس.

ينظر: السرقات الأدبية، ص: ١٦٩.

(٧) ينظر: معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البديري، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص: ١٠.

(٨) ينظر: المكان نفسه.

(٩) ينظر: المصدر السابق، ص: ٨.

(١٠) ينظر: المصدر السابق، ص: ٢٩.

وكان للفقهاء *أراؤهُم في (الاعتباس) تعلّق الأمر بهم بقدر تعلّقه بكلام الله، ورسوله (ص واله) ويقع عندهم في ثلاثة أقسام هي:

(مقبول، ومباح، ومربود).

الأول: ما كان في الخطب، والمواظ، والعُهود، ومدح النبي (ص واله) ونحو ذلك..

الثاني: ويكون في العول، والرسائل، والقصص.

الثالث: وله ضربان، أحدهما ما نسبته الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن نقله إلى نفسه، والآخر تضمين آية كريمة في معنى قول لا يَحْسَنُ نِكْرَهُ^(١).

التضمين لغة :

* تناول السيوطي موضوع الاعتباس عند الفقهاء في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، وافرد له فصلا سماه (في الاعتباس وما جرى مجراه)، وتحدث عنه احمد بن محمد المعري، في كتابه (نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، ج / .
ينظر: الإتقان في علوم القرآن ، ج ١ / ١١٢ .
ينظر: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المعري، ت (١٠٤١) هـ تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج ٥ / ٢٧١ .
(١) ينظر: خزانة الأدب، تقي الدين الحموي (٨٧٣) هـ، تحقيق عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢ / ٤٥٥ .
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، مادة (اعتباس)، ج ١ / ٢٧٣ .
ينظر: معجم البلاغة العربية، مادة (اعتباس)، ج ١ / ٥١٩-٥٢٠ .

ضَمَّنَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ كَمَا تُودِعُ الوِعَاءَ المَتَاعَ ، وَالمَيِّتَ القَبْرَ^(١) ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِي وِعَاءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِلَيْهِ^(٢) ، وَفَهَّمْتَهُ مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُكَ ، أَيْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فِي ضِمْنِهِ^(٣) .
 وَمِنَ المَجَازِ : ضَمَّنَ الوِعَاءَ الشَّيْءَ ، وَضَمَّنْتَهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي ضِمْنِهِ ، يُقَالُ : ضَمَّنَ القَبْرَ المَيِّتَ ، وَضَمَّنَ كِتَابَهُ وَكَلَامَهُ مَعْنَى حَسَنًا ، وَهَذَا فِي ضِمْنِ كِتَابِهِ ، وَفِي مَضْمُونِهِ وَضَامِينِهِ^(٤) .

التضمين اصطلاحاً :

للتضمين في الاصطلاح معانٍ عبيدة، تختلف باختلاف العلوم ونظرتها إليه، فهو عند علماء العربية يُعْاَرُ لَفْظٌ مَوْجِعٌ لَفْظٍ غَيْرِهِ، وَمَعَامِلَتُهُ لَتَضَمَّنُهُ مَعْنَاهُ، وَاشْتِمَالُهُ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَ الفاصِلَةِ مُتَطَقًا بِهَا^(٥) .

وَفِي عِلْمِ العَرُوضِ هُوَ أَنْ " تَتَعَلَّقَ قَافِيَةُ البَيْتِ بِمَا بَعْدَهُ عَلَى وَجْهِ لَا يَسْتَقِلُّ بِالإِفَادَةِ " ^(٦) ، أَوْ هُوَ "عَلَّاقٌ مَعْنَى آخِرِ البَيْتِ بِأَوَّلِ البَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ" ^(٧) ، أَوْ هُوَ " أَنْ يَكُونَ الفَصْلُ الأَوَّلُ مُفْتَقِرًا إِلَى الفَصْلِ الثَّانِي، وَالبَيْتُ الأَوَّلُ مُحْتَاجًا إِلَى الآخِرِ " ^(٨) ، وَحِينَ يُضَمَّنُ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرٍ غَيْرِهِ عَلَيْهِ أَنْ يُشِيرَ إِنْ لَمْ يُكُنْ مَشْهُورًا^(٩) .

والتضمين عند البلاغيين له تعريفات كثيرة^(١٠) ، وهي كلها تكاد تعود إلى معنى واحد ، وهو : " استعارة كلام الأخير وإدخاله في الكلام الجديد " ^(١١) .
 وَبِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ هُوَ : " أَنْ يَأْخُذَ الشَّاعِرُ أَوْ النَّائِرُ آيَةً ، أَوْ حَدِيثًا ، أَوْ حِكْمَةً ، أَوْ مَثَلًا ، أَوْ سَطْرًا ، أَوْ بَيْتًا مِنْ شِعْرٍ غَيْرِهِ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ " ^(١٢) ، أَوْ أَنْ يُشَارَ فِي فَحْوَى الكَلَامِ إِلَى مَثَلٍ سَائِرٍ ، أَوْ شِعْرٍ نَائِرٍ ، أَوْ قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُذَكَرَ القَائِلُ ^(١٣) .

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (ضمن)، ج ١٣/ ٢٥٧ .

(2) ينظر: الصحاح، مادة (ضمن)، خ ٦/ ٢١٥٥ .

(3) ينظر: المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، وزملاؤه، مؤسسة دار الدعوة، استنبول، ١٩٨٩م، باب (ضمن)، ج ٦/ ٢١٥٥ .

(4) ينظر: أساس البلاغة، جار الله عمر بن احمد الزمخشري، (٥٣٨) هـ ، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، (ضمن)، ص: ٢٧٢ .

العلمية ، بيروت، ١٩٩٨، ج ١ /

(5) ينظر: المعجم الوسيط، باب، مادة (ضمن) ج ١/ ٥٤٤ .

(6) ينظر: المكان نفسه.

وذكر (ابن رشيق) مثل هذا التعريف، أو قريباً منه في (العمدة) فقال: ((أن تتعلق القافية، أو لفظة مما قبلها بما بعدها))

العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ، ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦) هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤، بيروت، ١٩٧٢، ، ج ١/ ١٧١ .

(7) مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر علي السكاكي (ت ٦٢٦) هـ ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م، ص: ٥٧٦ .

(8) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطابع عيسى البابي، مصر، (د.ت)، ص: ٢٧٣ .

(9) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي (ت ٩٦٣) هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٤٧م، ج ٤/ ١٥٣ .

(10) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (تضمين) ج ٢/ ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(11) المصدر السابق، مادة (تضمين) ج ٢/ ٢٦٣ .

(12) المعجم الوسيط، ج ١/ ٥٤٤ .

(13) نهاية الإيجاز في دراية المجاز، ص: ١٤٧ . وقد أدرجه الرازي تحت باب (التلميح).

والتّضمين كالإقتباس بدأ يتّضح في الكتب البلاغية منذ عهد مبكر^(١)، حتّى نخل مفهوم التّضمين خلال السنوات الأخيرة في (فلسفة الدّعة)، ومن ثمّ في (علم الدّعة)^(٢).

أمّ تقدّم ندرك الفرق بين هذين المصطلحين، واختصاص كلّ منهما بما بموردٍ من موارد الأخذ، وكثير من البلاغيين فرّقوا بينهما ما^(٣).

وشهد انفصال المصطلحين اضطراباً هو بلا شك سابق لولادة الأنواع^(٤)، وكان من جرّاء ذلك الاضطراب تدخل بين هذين المصطلحين في هذه المساحة، أو تلك .

وهذان الفئلين راد بهما أمران هما؛ الارتقاء بلغة النصّ وبنية اللفظية، وتفجير طاقته الدلالية على ألا يصل الأمر بالمبدع إلى الحدّ الذي يجعل فيه ما اقتبسه، أو ضمّنه طاغياً على نصّه، ومهيماً عليه.

ومع ما تقدّم لم يقف المصطلح القديم عائناً أمام الولوج في عملية الإبداع في الأدب الحديث، وإن كان الولوج يستدعي تغييراً في المصطلحات، والمسمّيات، حتّى عدّ بعض النقاد الاقتباس والتضمين فكرتين تَحملان الملمح القديم للمصطلح الحديث (التناص)^(٥)، وعدّ التضمين الصق من غيره بالتناص^(٦).

و(التناص) مصطلح نقدي كثر الخوض فيه بعد دخوله الآفاق النقدية العربية، فهو أحد مميّزات النصّ الأساسية التي تحيل إلى نصوص سابقة عليه، أو معاصرة له^(٧).

أنّه قراءة لنصوص سابقة، وتأويل لها، وإعادة كتابتها، ومحاورتها بطرائق عدّة على أن يتضمّن النصّ الجديد إضافةً فنيةً، وجماليةً إلى مكوناته السابقة التي يتكوّن منها^(٨).

عرف العرب (التناص) ، وأسهبوا في تحليله ، وإن لم يستخدموا كلمة (تناص) * ، ودرسوه عبر

- (١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (تضمين)، ج٢/ ٢٦٣.
- (٢) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م، ص: ٢٢٩.
- (٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (حسن التضمين) ج٢/ ٤٣٨.
- (٤) ينظر: معجم آيات الاقتباس، ص: ٩.
- (٥) ينظر: التناص و اشاريات العمل الأدبي، صيري حافظ، مجلة ألف، ع ٤، لسنة ١٩٨٤م، ص: ٢٦-٣٠.
- ينظر: الليث والخراف المهضوم، دراسة في بلاغة التناص الأدبي، د. شجاع العاني، مجلة الموقف الثقافي، ع(١٧)، لسنة ١٩٨٨م، ص: ٨٩.
- ينظر: التناص في شعر محمود درويش، حازم هاشم منخي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠٠٥م، ص: ١٦.
- (٦) ينظر: النص والتناص، د. رجاء عيد، مجلة علامات، ع ١٨، مجلد ٥، ديسمبر، ١٩٩٥م، ص: ١٧٥-٢٠٨.
- (٧) ينظر: تناص الشكل في الرسم الحديث، كاظم وير، مجلة الموقف الثقافي، ع ٢٩، السنة الخامسة، للعام ٢٠٠٠م، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ص : ٣٦.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ص: ٤٨.

* ذكر صاحب (تاج العروس) كلمة (تناص) بمعناها اللغوي، فقال: " تناص القوم، أي أزدحموا " ، وهذا المعنى هو المنطلق للمعنى الاصطلاحي، الذي يعني ازدحام النصوص، وتفاعلها .
ينظر: تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت(١٢٠٥) هـ ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي (د. ت)، (نصص)، ج١٨/ ١٨٢ .
ينظر: التناص في شعر محمود درويش، ص: ١٧ .

ظواهر التّعامل مع نصوص الآخرين، ولما يتعلّق بها من تداخل، وتواشج، واقتباس، وتضمين، ولعلّ في الاستعارة ما يبيّن بمدخلٍ مقنعٍ لمسألة التناص واليتّيه^(٢).

أردنا الوقوف عند مقدار التّطابق بين فني (الاقتباس) و(التضمين) من جهة، و (التناص) من جهة أخرى، سوف لن يكون الأمر يسيراً، لعدم توافر آلية دقيقة لقياس ذلك، لاسيّما أن هذه المفاهيم الثلاثة، مفاهيم أدبية تستعصي على الضبط، والقياس، والتحديد "إذ تعتمد على ثقافة المتلقّي وسعة معرفته، وقدرته على التّرجيح" (٣).

وسيُسعى إلى بيان العوامل، والقواسم المشتركة لغرض التّعريف على مقدار التقارب بين هذه الفنون، بعدما تمّ التّعريف على معانيها، للوصول إلى إثبات أنّ (التناص) هو المسمّى الجديد لفني الاقتباس، والتضمين، عند ذلك يتبيّن المسار التاريخي لهذين المصطلحين.

لقد ربط بعض النقاد المحدثين بين هذه الطرائق الاسلوبية؛ (التناص) والنقد العربي القديم^(٤) حيث كان (الاقتباس) و(التضمين) يمثلان فيه مصطلحين بلاغيّين ناضجين، متذكّرين ما تمثله البلاغة من موقع في النقد الأدبي للعربي القديم، سنقف عند أهمّ القواسم والمشاركات التي نعتقد إنّها محاولة قد تُقنع أنّ (التناص) هو مسمّى جديد لهذين الفئتين، وهذا لا يعني انطباقها مع بعضها تطابقاً كاملاً، إذ تبقى هنالك خصائص ينفرد بها كلّ نوعٍ منها، والغرض من بيان تلك المشاركات بين المصطلحين القديمين، والمصطلح الحديث (التناص) هو بيان انتساب فقط، ومعرفة أيّ من التسميات الحديثة التي قد تُمتُّ بصلةٍ لهذين الفئتين.

يقوم التناص على (تداخل النصوص) وتفاعلها^(٥)، وإن كان هذا التداخل يتخطى كونه تداخلاً فقط، ويصل إلى التفاعل بين النصوص، إلاّ أنه مع ذلك يبدأ بالتداخل بينها، ومن خلال هذا (التداخل) نجد أنّ "مختلف تلك النصوص تتحوّل إلى إشارات داخل النصّ الذي يتضمّنهما" (٦)، وهذا ما نجد في فني الاقتباس والتضمين

(١) ينظر: تناص الشكل في الرسم الحديث، ص: ٤٧.

(٢) ينظر: المكان نفسه.

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد فتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص

(٤) التناص مع الشعر العربي، عبد الواحد لؤلؤة، مجلة أقلام، عدد: ١٠، ١١، ١٢، لسنة ١٩٩٤م، بغداد، ص: ٢٧.

(٥) باعتبار ان التناص هو " التواجد اللغوي، سواء أكان نسبياً كاملاً، أم ناقصاً لنص في نص آخر".

ينظر: مدخل لجامع النص، جبرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص: ٩٠.

(٦) مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر، محمد ديوان، الأقلام م، ع (٤، ٥، ٦)، لسنة ١٩٩٥م، ص: ٤٦.

فالتفاعل والتداخل - وهما عماد الاقتباس والتضمين - أضحياناً الركيزة الأساس في مفهوم (التناص) ، وتعرّيفه^(١)، واصبح النصّ مع غيره ، وبازدياد هذا الترابط تفاعل ، وتداخل^(٢) على طريق يوصله إلى الأدبية ، حتّى يصل إلى ما يُعرف بتعالّي النصّ .

وقد جمعت هذه المضامين والمسئوميات فـي :
(التبدّل ، التداخل ، الاشتراك ، التآثر ، المعارضة ، الإحالة ، الارتباط ، المعاشية)^(٣) .
وهذه كلها - قد - توصل إلى مركز (التفاعل والتداخل) والكث يشير بدوره إلى مقاربات من فني (الاقتباس والتضمين) ، لأنهما (تفاعل) ، واشترك ، وتداخل بين النصوص المستضافة والأخرى المستضيفة .

ثم أنّ التناص لما كان قائماً على هذين المحورين ، فأنته يكون شاملاً للاقتباس والتضمين ، بوصفهما من صديق تلك العلاقات والتداخلات بين النصوص .

وهناك مشترك آخر ، هو أنّ أقسام هذه الفنون الثلاثة تكاد تكون واحدة ، أو متشابهة على أقلّ تقدير فمكرين قبل بيان ذلك أنّ هذه الفنون قد تدخل النصّ بقصد أو من غير قصد ، وهو عامل مشترك

(١) ينظر النص الغائب ، تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م ، ص : ٤٦ .

(٢) لمح هذه الحقيقة تصريحاً في كثير من التعاريف ، وتضميناً في بعض منها ، فمن الذكر الصريح ما نجده في المصادر الآتية :

المصطلح النقدي ، د. عبد السلام المسدي ، مطبعة كويت ، تونس ، ١٩٩٤م ، ص : ١١٩ .
التطبيق الصرفي ، د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٩م ، ص : ٣٨ .
علم النص ، جوليا كرسنيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٩١م ، ص : ٢١ .
الخطيئة والتكفير ، ص : ٣٢١ .

وذكر (التفاعل) و(التداخل) ضمناً في بعض تعريفات التناص ، وتجلّي هذا (التضمين) في مصطلحات منها :

(حوار خطابات) كما سمّاه (تودوروف) .

ينظر : المبدأ الحوار ، تزفتيان تودوروف ، ترجمة فخري صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢م ، ص : ٨ (التحويل والتمثيل) بين عدّة نصوص يقوم بها نصّ مركزي يحتفظ بريادة النصّ .

ينظر : في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة احمد المدني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٧م ، ص : ١٠٨ .

أو بمصطلح (العلاقات المترابطة) ، لأنّ التناص يمثّل منظومة من العلاقات العامة المترابطة في العمل الفني ، وتعمل فعلها عبر تمحورها حول الشكل الجديد .

ينظر : تناص الشكل في الرسم الحديث ، ص : ٤٩ .

أو من خلال (تجاوز النصوص) باعتبار أنّ النصّ هو قراءة لنصوص سابقة ، وتؤيل هذه النصوص ، وإعادة كتابتها ومحاورتها ببطرائق عدّة .

ينظر : الليث والخراف المهضومة ، ص : ٨٤ .

أو بتعبير (تقاطع عبارات) مأخوذة من نصوص أخرى .

ينظر : تناص الشكل في الرسم الحديث ، ص : ٤٨ .

أو بتجلّي في المصطلح (تعالق النصوص) ، لأنّ التناص هو " الدخول في علاقة نصوص مع نصّ بكيفيات مختلفة " .

ينظر : استراتيجية التناص ، ص : ١٢١ .

(٣) مدارات النص المغلق (من غرابة المفردة إلى تغريب النص) ، عبد العزيز إبراهيم ، الموقف الثقافي ، ع (٢٩) ، السنة الخامسة ، دار الشؤون ، بغداد ، ٢٠٠٠م ، ص : ٦١ .

آخر، فمتملما قُسم (الافتباس) إلى (ظاهر، صريح، لفظي) و (خفي، مستتر، معنوي)، قُسم (التناص) إلى مثل هذه الأقسام^(١).

ويتحقق الاشتراك في مساحةٍ أخرى، هي أن (الافتباس) و (التضمين) ما إحضار نصّ - أو بعض نصّ - غائب في نصّ حاضر، و (التناص) هو (النصّ الغائب) بحسب قول (محمد بنيس)^(٢). وإذا كان الافتباس والتضمين يدوران حول محور التقاطع والتبادل، والتفاعل، والتداخل بين النصوص في ما يُعرف ب (حسن الأخذ) كما مرّ في ذكر المصطلحين^(٣)، فإنّ التناص هو الآخر عرّف بأنه التقاطع والتعديل المتبادل بين نصوص عائدة إلى نصوص مختلفة^(٤) وهذه واحدة من المشتركات بين الفنون الثلاثة.

وبالعود إلى إشاريّة (التناص) في ضوء أحد تعريفاتِه نجدُه لا يعدُّ كونه إشارة مقصودة، أو غير مقصودة، والاشارة هي "الإيماء عند المتقدّمين" ^(٥) وفي (اللسان): "إشارة إليه باليد: أي أوماً" ^(٦).

وكذلك الحال في التضمين فهو تلميح وإشارة إلى بيت مشهور أو مثّل سائر^(٧) أو أن يُشار إلى قصّة، أو شعرٍ من غير ذكره^(٨) وبذلك يشترك التناص ويتواشج مع فن (التضمين) عبر هذه المتقاطعات المشتركة.

ومن القواسم، والمشتركات، أنّ التناص يعتمد على حقيقة لا مناص منها وهي أنّه "لن يكون قائماً بمؤلّفه، ولا ينتهي عنده وبالتالي فإنّ النصّ هو حصيلة عقول سابقة ينقلها المتأخّر عن المتقدم، وإن حاول المتأخّر أن يضيف شيئاً على ما قّمه السابق..."^(٩)، بمعنى أنّ الافتباس يستند إلى استرجاعيّة النصّ، أو النصوص، وكذلك الحال في (الافتباس) و (التضمين) فهما يُنتجان عن عودة المُبدع، ورجوعه إلى نتاجات مُبدعين من قبله ويُشركهم في نصّه، ويجعله نابضاً، حيويّاً بما يحتويه من استحضارات مباشرة، أو غير مباشرة، مقصودة، أو غير مقصودة، نابغة من خزينة المعرفة، فالعود التاريخي "القراءة التاريخية"^(١٠) هي التي تضع النصّ في مساحةٍ مشتركةٍ بين هذه الفنون الثلاثة، ومن ثمّ يتحقّق نوع من التطابق بينها، والنصّ - بعض النظر عن هذه المسميات وتوسطها العود التاريخي يُشحن، ويمنح حيويّةً، وديناميّةً متجدّدةً، تجعله قادراً على التأثير في المتلقي لما يبثّه من دلالات وانطباعات متجدّدة.

-
- (١) قسم إلى (صريح) و (ظاهر) و (خفي)، ينظر: الليث والخراف المهزومة، ص: ٩٦-٩٧.
- (٢) نظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تركيبية)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥م، ص: ٩٨.
- (٣) راجع: ص: ٤.
- (٤) أدونيس منتحل، كاظم جهاد، مطبعة مدبولي، ط٢، ١٩٩٣م، ص: ٣٤.
- (٥) معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (الإشارة) ج ١/ ٢٠٤.
- (٦) لسان العرب، مادة (أشار).
- (٧) ينظر: خزانة الأدب، ج ١/ ٤٠٦.
- (٨) ينظر: الإيضاح، ج ١/ ٣٨٨، وينظر: المعجم الوسيط، ج ١/ ٥٤٤، وينظر: نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، ص: ١٤٧.
- (٩) مدارات النص المغلق ((من غرابية المفردة إلى تغريب النص))، ص: ٦٢.
- (١٠) هناك قراءات متعددة تستطيع تقديم النص للمتلقي، فهناك (قراءة جمالية)، وأخرى (استرجاعية)، وثالثة (تاريخية) ينظر: ما هو النقد، بول هيرفادي، ترجمة سلامة حجاوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م، ص: ١٤٣.

بهذه القواسم، والمشاركات يقترب التناصُّ في بعض جوانبه من فني (الاقتباس والتضمين)، أو هو صورة لهما^(١) لكن بثوب جديد، وهو المسمى الجديد لهما، وان كان هناك من عدهما آليّة تناصيّة^(٢). تبقى هذه الفنون متفاعلات صيّة تتنوع بين موروث ديني، أو أدبي قديم، أو أدب معاصر حديث، وتلك المرجعيات تُمثل المساحة المشتركة التي تلتقي فيها - بمقادير لأغراض شتى، فيظهر النصُّ جَرَاء ذلك ضًا آخر تتباين فيه القدرة على الإبداع تبعًا لتغاير القدرة على الإفادة من النصوص المُستدعاة أولًا، ومقدرة الأديب على نسج تلك النصوص في سياق مُلائم جديد ثانياً، فيغدو النصُّ ذا مقدرة على الإمتاع والتأثير، أو هما جزء من عملية التناص، لأنه يقع في ثلاثة أقسام، ويدخل ذينك الفنيين في واحد من تلك الأقسام^(٣).

والخلاصة، هي أن المصطلح الحديث لفني الاقتباس والتضمين ليس بديلاً عنهما، أو مواجهّة لهما، إنما هو امتداد، واستمرار لهما.

وبعد الوقوف عند المعنى اللغوي، والاصطلاحي لفني (الاقتباس والتضمين)، والتعرف على مسماه ما الجديد، بات من الضروري الشروع في استعراض أنواعهما، ووظائفهما، وخصائصهما في النصوص النهجية، من خطب، وكتب، ومواعظ للإمام عليّ (ع).

(١) يعتقد بعض الباحثين أنّ النقاد القدماء عبّروا عن مفهوم التناص بمصطلحات أخرى كالاقتباس والتضمين.

ينظر: التناص وإشارات العمل الأدبي، ص: ٢٦.

ينظر: الليث والخراف المهضومة، ص: ٨٩.

ينظر: التناص في شعر محمود درويش، ص: ١٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص: ٢١.

(٣) هذه الأقسام هي (المناصّة) و(المُتناصّة) و(المُتناصيّة)، ويدخل (الاقتباس والتضمين) في القسم الثاني، وهذه الأنواع الثلاثة مُتداخلة فيما بينها.

ينظر: النص الغائب، تجليات النص في الشعر العربي، ص: ٤.

البَابُ الأَوَّلُ الاقْتِبَاسُ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ

الأَوَّلُ: أنواعه .
الفَصْلُ الثَّانِي: وظيفته .
الفَصْلُ الثَّالِثُ : خصائصه .

الفَصْلُ الأَوَّلُ
أنواعُ الاقْتِبَاسِ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ

المَبْحَثُ الأوَّلُ أنواعُ الاقتِباسِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ. المَبْحَثُ الثَّانِي أنواعُ الاقتِباسِ مِنَ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

مَدْخُلٌ .

تعدُّ ظاهرةُ استدعاءِ النَّصِّ القرآني أو معناه من الظواهر الفنية البارزة في الساحة النهجية ، التي تُؤدِّي إلى تدعيم الخطاب النهجي، وتكثيف دلالاته ^(١)، وبِغَضِّ النظر عن المُسمَّيات واختلافها تبقى هذه الأنواع منضويةً تحت مشروعيةٍ مُتعارفٍ عليها ^(٢)، والمُتلقي لنصوص النهج يجد نفسه إزاء هذه الأنواع

(١) ظهرت دراسات عديدة تتقصي أثر القرآن الكريم في النصوص الأدبية قديما وحديثا.

ينظر على سبيل المثال:

الاقتباس من القرآن الكريم ، أبو منصور الثعالبي ت (٤٢٩) هـ ، تحقيق د. ابتسام مرهون أصفار ، بغداد ، دار الحرية، ١٩٧٥ م .

أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري ، د. ابتسام مرهون أصفار ، بغداد ، مطبعة أليرموك ، ١٩٧٤ م

أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، د. شلتاغ عيود شراد ، دار المعرفة ، دمشق ، ١٩٨٧ م.

اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن الكريم ، د. سامي مكِّي ألعاني ، مجلة آداب المستنصرية، ع(٢٠-٢١)، ١٩٩١ م.

(١) (٢) ينظر: النصوص الأدبية بين السرقة والاقتباس ، غانم محمود ، مجلة آفاق ، ع (٣)، آذار، السنة الثامنة عشر (١) ، بغداد ، ص: ١٣ .

الاقتباسية التي تتمحور حول (استحضار) مفردة، أو تركيب، أو آية، أو بعض منها، أو أكثر، أو استحضار لمعانيها ، أو مبادئها.

إنَّ للبناء الفئِّي القرآني أثره في كَشَفَ معانيه ، وتوضيح دلالاته، لما له من أثر في توجيه النص، والبناء القرآني اذ در النصوص للقيام بذلك، وقد اقر له فصحاء قريش لما يقوم عليه من تناسب بين المفردات وتلازم موسيقي وصوتي، لذلك لا عَجَبُ أن نرى علياً (ع) - وهو ابن القران - يفتبس بعضاً من مفرداته، أو تراكيبه، أو آياته، أو صورهِ، أو معانيه، حتَّى صار البناءُ القرآني شكلاً أدائياً شائعاً في عباراته .

المبحث الثاني : الأو ل : أنواع الاقتباس من القرآن الكريم .

توّعت طرائق الاقتباس من القرآن الكريم في نصوص نهج البلاغة ، منها ما كان اقتباساً لمفردة قرآنية ، أو تركيب من مفردتين أو أكثر ، أو ما كان اقتباساً لأي قرآنية أو بعض منهن كما سيأتي وفق التقسيمات ، والتفريعات الآتية :

أو الاقتباس المفرد القرآني :

حفلت نتاجات الأدياء بأنواعها بوجود الأثر القرآني بصوره، أو تراكيبه، أو معانيه، ابتغاء لما يحمله من إفاضات دلالية، وفنية، لها قدرة البث الدلالي، والفئِّي .

ولم يكن النص النهجي بعيداً من ذلك، إذ دخل كثير منه ضمن دائرة (الاقتباس) القرآني سواء أكان ذلك باقتباس المفردة، أم التركيب، فالنص القرآني له حضوره، وتجلّى بمظاهر عدة، يأتي في مقدمتها اقتباس المفردة القرآنية والتي تبدو إشارة مركزة لنص غائب قد تكفي المفردة لاستحضار فاعليته .
وللمفردة أهلاً في بنية النص وقيمه الدلالية من جهة؛ وفي نفس المتلقي من جهة أخرى، وأدرك النقاد والبلاغيون العرب القدامى هذا الأمر، فتناوله كثير منهم في باب (الفصاحة)⁽¹⁾ .

(1) لعلّ ق الفصاحة بالمفردة، والبلاغة بالجملة عند كثير من البلاغيين .
ينظر مثلاً: سرّ الفصاحة، ص: ٤٩، المثل السائر، ج ١/١٤١-١٤٩ .

وهي أساس الصياغة الشكلية للمعاني والهيكلي البنائي في العمل الأدبي، فالمعاني أفكار مجردة تُخرجها المفردات إلى عالم الوجود، وتنتقلها من عالم المفاهيم إلى عالم المصاديق، وليست كل مفردة تصلح للقيام بهذا الدور ما لم يتصرف بها مبدع له من القدرة والإبداع حظ كبير، وما لم توضع بموجب تلك القدرة في سياقها الصحيح، فتختلق صوراً أدبية تحقق الإمتاع - ومن قبله الإفهام - للمتلقي، من هنا أخذت العناية بها - لاسيما المفردة القرآنية - تزداد، وأفرزت لها المؤلفات المتخصصة^(٢) عند النقاد المحدثين، بعد أن كانت تبحث في الكلام عن الفصاحة، والإعجاز، والسياق، والنظم عند القدماء .

ولها أهميتها في النقد الغربي الحديث، حتى أن بعض النقاد الغربيين جعلها محوراً لعلم الدلالة^(٣)، وأصبحت منطلقاً للبحث الدلالي عندهم، ويرى ناقد آخر - ستيفن - أنها أهم نواقل المعنى^(٤).

إن السياق الصحيح والرصف الناجح للمفردة هو الدافع لولادة دلالات ومعانٍ جديدة، ويجعلها قادرة على فتح إشارات دالة، ومحيطة إلى معانٍ مختزلة، ولا فضيلة للمفردات ما لم يحسن رصفها مع ما يجاورها من مفردات، لذلك يرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧٤، ٤٧١) هـ، أن الفضيلة وخلافها في ملازمة اللفظة لمعنى التي تليها^(١)، إذ هناك دلالات ومعانٍ مشتركة بين كثير من الناس، والسياق وحده هو القادر على تشخيص بعض الدلالات دون سواها .

وذهب (راسل) برأيه بعيداً، فهو يرى أن " الاستعمال يأتي أولاً، وحينئذ يُقَطَّر المعنى"^(٥)، غير أن السياق اللفظي - أحياناً - ليس بقادر على فجير الطاقة الدلالية للنص، ما لم يكن مشفوعاً بسياق الحال، ليكشف الضوء المُلطط عليه، ويبدو هذا جلياً في فهم المراد لكثير من الآيات من خلال معرفة أسباب النزول، التي تعد مصداقاً من مصاديق سياق الحال،^(٦) فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن

والبحث في الفصاحة بحث في الألفاظ، ودخلت يعدنذ فيما عرف بقضية اللفظ، والمعنى، وهي من القضايا التي عنى بها النقاد العرب، ثم البلاغيون منذ وقت مبكر يمتد إلى العصر الجاهلي.

ينظر: علم المعاني، قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص: ٥٠.

ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (فصح) .

^(٢) توزعت هذه الدراسات بين تاريخية، ولغوية، وفنية، ومن تلك الدراسات:

- (جماليات المفردة القرآنية)، د. احمد يا سوف، دار المكتبي، ط٢، سورية، ١٩٩٩م،
- (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)، د. فاضل السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠م.
- (من كنوز القرآن)، محمد السيد الداوودي، دار المعارف، مصر، ١٣٩١هـ - ١٩٧٣م.
- (في ظلال القرآن)، سيد قطب، دار الشروق، ط٣٥، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م

^(٣) هذا ما يراه (غيرو) . ينظر: علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦م، ص: ٧٠

^(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشير مكتبة الشباب، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣م، ص: ٤٣

ينظر: علم الدلالة، احمد مختار عمر، مكتبة العروبة، الكويت، ١٩٨٢م، ص: ٣٣.

^(١) ينظر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م / ص: ٤٦.

^(٢) علم الدلالة، ص: ٧٢ .

^(٣) تدبّه الزركشي (ت ٧٩٤) هـ إلى أهمية السياق باعتباره اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

ينظر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٣٦/١.

وبرز منهج تفسيري جديد يعتمد السياق في استقراء معاني النصوص القرآنية، ويعدّ (التفسير البنائي) للدكتور

محمود البستاني واحداً من ابرز هذه الجهود .

ينظر: التفسير البنائي للقران الكريم، مؤسسة الأستانة الرضوية، قم، ١٤٢٢ هـ .

المجتمع، والسياق الاجتماعي، وهي نشاط اجتماعي من حيث إنها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً^(٤) .

إنَّ سياق المقال، وسياق الحال بِمِثَابَةِ أَضْوَاءِ تَوَاشُحٍ فِي كَشْفِ دَلَالَاتِ النَّصِّ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ الْاعْتِمَادَ دوماً عَلَى الْمَعْنَى الْمَعْجَمِيَّةِ فِي اسْتِنطَاقِ الْمَعْنَى الْمُرَادَةِ لِلْمَفْرَدَاتِ، وَالسِّيَاقِ قَدْ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ كَشْفِ الدَّلَالَاتِ وَرَفْدِهَا بَلْ يَتَعَدَّهَا إِلَى الْمَقْدَرَةِ عَلَى التَّأْثِيرِ فِي النُّفُوسِ، بِمَا لَهَا مِنْ إِيقَاعٍ وَجَرَسٍ نَاتِجِينَ بِفَضْلِ رِصْفِ هَذِهِ الْمَفْرَدَاتِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ بِنَوْقٍ فَنِّي .

ولكُلِّ مُبْدِعٍ لُغَتُهُ ، وَمَفْرَدَاتِهِ الَّتِي تَكُونُ مُعْجَمَهُ الْخَاصَّ بِهِ ، اعْتِمَاداً عَلَى هَوَازِهِ لِمَفْرَدَاتٍ تَأْتِرُ بِهَا، وَوَعَاها ، فَشَكَّلَتْ مَخْزُونَهُ الْمَعْرِفِي ، وَرَكِيزَتَهُ الثَّقَافِيَّةَ وَشَكْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَفْرَدَاتِهِ ، وَتَرَكَيبِهِ ، وَمَعَانِيهِ أَهَمَّ رَكَائِزِ الْإِمَامِ (ع) الَّتِي اسْتَقَى مِنْهَا كَثِيراً مِنَ الْمَفْرَدَاتِ ، وَالْمَعْنَى .

إنَّ تَمَثِيلَ الْمَفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَمَعَانِيهَا لَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورٍ جَمِيعٍ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ، أَوْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ أَنَّهَا عَمَلِيَّةٌ مُسْتَعْصِيَّةٌ إِلَّا مَنْ مَلَكَ زِمَامَ اللُّغَةِ، وَأَحْسَنَ اسْتِخْدَامَ أَدْوَاتِهَا .

لَقَدْ اسْتَعَانَ الْإِمَامُ (ع) بِالْمَفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ - وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ بِهَا - لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الضَّوءِ الدَّلَالِيِّ فِيمَا قَالَهُ أَوْ كَتَبَهُ، فَهِيَ تَحْمَلُ إِضَاءَاتٍ كَاشِفَةً لِلْمُتَلَقِّي، لِذَلِكَ عَمِدَ إِلَى مُفْرَدَاتٍ بِحَسَبِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَكَثِيراً مَا أَزْدَانَتْ خُطْبَ الْإِمَامِ (ع) وَكَتَبَهُ وَحَكَّمَهُ بِالْمَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، أَوْ بِمُقَارِبَاتِهَا الْعَائِدَةِ فِي أَصْلِهَا إِلَى الْإِنْتِمَاءِ الْقُرْآنِيِّ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، أَوْ النِّقْصَانِ، أَوْ بَهْمَا مَعاً، أَوْ التَّغْيِيرِ فِي الْبُنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ، وَهَذَا بَرَمْتَهُ لَا يَبْتَعِدُ بِهَا كَثِيراً عَنِ انْتِمَاءَاتِهَا الْقُرْآنِيَّةِ.

وأورد الإمام (ع) تلك المفردات ، ومقارباتها من خلال استدعاء عفوي، واستدعاء بنائي وظيفي ، فجاءت كإشاراتٍ باثَّةٍ يَسْتَشْعِرُهَا الْمُتَلَقِّي فِي ظِلَالٍ وَأَفْوَةٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ ، وَالْمَعْنَى .

وتلَوَّنَتِ الْمَفْرَدَةُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي نِصُوصِ النَّهْجِ، فَامِنْهَا الْأَسْمَاءُ ، وَالْأَفْعَالُ، وَقَدْ تَنَوَّكَلَتْ مِنْهُمَا، فَمِنْ الْأَسْمَاءِ نَجَدَ اسْمَ الْفَاعِلِ ، وَاسْمَ الْمَفْعُولِ ، وَاسْمَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالصِّفَةِ ، وَمِنْ الْأَفْعَالِ اقْتَبَسَ الْفِعْلَ الْمَاضِي، وَالْمُضَارِعَ، وَالْأَمْرَ .

من المفردات القرآنية المباشرة نجد على سبيل المثال: (وَلِيَجْعَلَ ، مُزْدَجَّرٌ ، أَجَاجٌ ، ضَغْثٌ ، أَشْجَاجٌ ، نَاشِئَةٌ ، نَجْوَى ، هَارٍ ، الْأَجْدَاثُ ، مُوزَعُونَ ، مَثَابَةٌ ، لُغُوبٌ ، نَصَبٌ ، قَارِعَةٌ ، الْأَجَلُ ، أَطْبَاقٌ ، ذِكْرٌ ، قِسْطٌ ، مُنْكَرٌ) (١).

(٤) ينظر: المدخل إلى علم الدلالة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص: ١٢٨ .
(١) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، مصر، (د.ت).

ومن المقاربات للمفردة القرآنية التي تمركزت في بعض المفردات نجد: (السدنة ، ناكس ، الأجل ، الضلالة ، راكن ، مقموم ، وديق ، اكنان ، الإمامة ، الأئمة ، بيور ، الاستغفار ، ولأدج ، الاستكبار ، مأوم ، راكس ، أغلف)^(٢).

تلك التغييرات في المقاربات القرآنية لا تبتعد بها عن وجعيتها القرآنية لانطلاقها من جذر قرآني معروف، سرعان ما يحظر أمام المتلقي .

قد تتألف بعض المفردات لتعطي توكيباً من جملة أو شبه جملة عوّت بانتمائها القرآني كما في قوله (ع) في إحدى خطبه: (هالِم السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَلِّفِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَقَدِّ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنْتَهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وَغِيَابَاتُ الْغِيْبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ صَوَائِحِ الْأَسْمَاعِ ، وَصَائِفِ الدَّرِّ وَمَشَاتِي الْهُوَامِ ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْعَوْلِيَّاتِ ، وَهَمْسِ الْإِقْدَامِ ، وَفَسْخِ الشَّرِّ مِنَ الْإِنْوِجِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ ، وَفَقَمِّ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ ، وَأَوْتِيَّهَا وَمُخْتَبِئاً لِلْبِدْ وَضِ بَيْنِ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيِّهَا، وَمَغْرَزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْإِفْنَانِ، وَهَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَنَاشِئَةِ الْغِيْبِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتْرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذَيْوَلِهَا وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسَيْوَلِهَا، وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ...)^(٣) .

يزخر النص بالمفردات القرآنية، أو المنبثقة عنها، وتوزعت فيه حتى غدت من نسيجه وسداه، ومثلت لبنات أساسية لما تتمتع به من قدرة على العطاء الدلالي، وقوة الحث لاستحضار المعنى عند المتلقي، ولتفردا ببعض المعاني المكثفة .

والمفردات (النجوى ، رجم ، اكنان ، وغياية ، استراق ، لائوج ، غلف ، الأمشاج ، ناشئة) لها مرجعيات قرآنية^(١)، مفردات متوافقة الدلالة ، لأنها تشير إلى ما هو خفي ، وغير ظاهر، استحضرها (ع) ، وجهاً قادرةً على إثراء القيمة الفنية للنص .

(النجوى) كلمة مفردة سبقتها (مضاف ومضاف إليه): (عالم السر) ثم تلتها سلسلة من المضافات: (نجوى المتخافتين ، رجم الظنون.....) وأوحت هذه المضافات بالدقة التي أراد الإمام (ع) بيانها بأن الله ليس عالماً للسر فقط ، بل هو عالم السر في ضمائر المضميرين ، ونجوى المتخافتين على ما

خ: (٧)، ج ٨/١، خ (٩)، ج ٥٣/١، خ (٣١)، ج ٧٥/١، خ (٤٩)، ج ٩٥/١، خ (٨٧)، ج ١٩٧/١، خ (٨٧)، ج ١٧٩/١، خ (١٠١)، ج ٢٠١/١، خ (١٠٦)، ج ٢١٩/١، خ (١٢١)، ج ٨/٢، ك (١٣٠)، ج ٢٥/٢.
(٣) ينظر على سبيل المثال المصدر السابق: خ (١) ج ١٩٨، ١٨٣، ١٤٦، ج ٤٩/٢، خ (٣١)، ج ١٧٣/١، ٧٥، خ (٨٧)، ج ١٧٨/١، خ (١٣٩)، ج ٣٥/٢، خ (١٩١)، ج ٩٦/٢.
(٣) ينظر: المصدر السابق، خ (٨٧)، ج ١٧٨ - ١٨٠.

(١) ينظر : سورة الإسراء/٤٧، طه / ٦٢ ، الأنبياء/ ٣ ، المجادلة / ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، الكهف/ ٢٢ ، ٥٧، الإسراء/ ٤، الأنعام/ ٢٥، يوسف/ ١٠، ١٥، الحجر/ ١٨، التوبة/ ١٦، البقرة/ ٥٥، الإنسان/ ٢، المزمل/ ٦.

في هذه المواطن من دقة وخصوصية ، والذي عَزَزَ هذا الادعاء هو نوع المفردة الممهدة لذلك: (نجوى) من (ناجيته): أي ساورته^(٢) ، وهي من (المساورة)^(٣).

وعلم الله لا يقف عند حد، علم بكل دقائق التساور، والتخافت، وهو العالم برجم الظنون، وعقد عزيمة اليقين، التي عقد القلب عليها، وما تسترقه الأبصار حين تؤمض^(٤)، ويعلم بما ضمته اكنان القلوب) ، و(اكنان) مفردة قرآنية ، مفردها (كن) هو: (ما يُفَظ فيه الشيء)^(٥)، أو (كنان) وهو: الغطاء^(٦)، أي أن الله عالم بما هو محفوظ ، ومغطى ، وما لم يطلع عليه أحد .

و العالم بـ(غَيَات الغُيوب) ، و(غَيَابَات) هي جمع (غَيَابَة) ، أي قعر البئر، ومنهبط في الأرض^(٧). الذي يتأمل هذه السلسلة من المضافات، يجد نفسه إزاء تراكيب انتظمت في (شبه جمل) قصيرة محبوكة البناء، ومنسجمة مع السياق ، أفلتت المفردات من قيدها القاموسي إلى فضاء رحب تتزود فيه بالمعاني الجديدة، والمكونة بفعل هذه السياقات الجديدة.

للأوج: جمع وليجة وهي مفردة قرآنية، والوليجة في اللغة لها معانٍ عدة: (البطانة من المشركين، بطانة الرجل ودخلاؤه ، وخاصته ، والدخول)^(٨) وهي الدخول في مضيق^(٩) و(غُف): جمع أغلف، وقلب أغلف: بين الغلفة، كأنه غشي بغلاف فهو لا يعي شيئاً^(١٠).

هاتان اللفظتان ساهمتا في إكمال الصورة البيانية المراد بها بيان عظيم معرفة الله، والتزام اللفظي للمفردات القرآنية لم يأت عبثاً، أو فرضاً قَدِرَ ما هو استدعاء لِدَسِ عفوي لوظيفة بنائية، ويزداد هنا الإدراك إذا أتمنا قراءة النص، أنها مفردات تسعى لتشكيل بنية كلية تألفت من صور جزئية مترابطة، متتابعة، متقاربة، وهي في أغلبها من معمولات قوله (ع): (عالم السر) .

ومن خلال النظم المتميز والتواشج الجميل بين هذه المفردات القرآنية^(١١) تتجلى المقدره الفنية في بناء أكثر تميزاً، وفرادة ليصب أخيراً في فيض من المعاني والدلالات في صور ناطقة متحركة تستحضرها تلك المفردات معها لتكون أنثى أمام نص مكنز الدلالة .

ومن قوله تعالى: (وَهَمَّ يَقُولُ نَادٍ وَشُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدِمُوا بِجَبْرِ اللَّهِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً)^(١٢)، اقتبس المفردة (الويق) بتغير بسيط من اسم المكان إلى اسم الصفة، غير أن هذا لا يخرجها من

(2) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، ط ٣ ، دمشق ، ١٩٨٣م ، ص: ٧٩٢ .

(3) ينظر: لسان العرب / مادة (نجا) ،

(4) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الساقية، بيروت،

٢٠٠١م، ج ٧/٢٠ .

(5) لسان العرب ، مادة (كن) ، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٧٢٦ - ٧٢٧ .

(6) ينظر: لسان العرب، مادة (كن) ، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٧٢٧ .

(7) ينظر: لسان العرب، مادة (غُف) ، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٦١٧ .

(8) ينظر: لسان العرب، مادة (وَلَج) ، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٨٨٢ .

(9) ينظر: لسان العرب، مادة (ولج) ، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٨٨٢ - ٨٨٣ .

(10) ينظر: لسان العرب، مادة (غُف) ، وينظر: مفردات القرآن، ص: ٦١٢ .

(11) قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَن يَتَمَعَ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ فِي آدَانِهِمْ وَفَرَا وَإِنْ يَوَا كُلَّ آيَةٍ لَا

يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) . الأنعام/ ٢٥ .

كونها مفردة قرآنية لرجوعها في ذهن المتلقي إلى أصلها القرآني، فقال (عليه السلام) في وصف النبي (ص) والهِ: وَذَمَّ الدُّنْيَا: ((بَعَثَهُ حِينَ لَا غَمَّ قَائِمٌ ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُحُوصٍ ، وَمَلَّةٌ تَتَغَيَّرُ ، سَلَكُهَا ظَاعِنٌ ، وَقَاطَهَا بَائِدٌ ، تَقْدُ بِأَهْلِهَا مَيِّدَانَ السَّفِينَةِ ، تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجِّ الْبَحَارِ ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَيْقُ ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي لَيْ بَطُونِ الْأَمْوَاجِ ، تَحْفُ الرِّيَّاحُ أَبْدِيَالَهَا ، وَتَحَطُّ عَلَى أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى هَهَاكَ...))^(٣) .

بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهِ الْمُسْتَفَى (ص) وَالهِ حِينَ خَلَّتِ الْأَرْضُ مِنْ غَمِّ قَائِمٍ ، وَ مَنَارٍ سَاطِعٍ ، وَهُمَا اسْتَعَارَتَانِ تَصْرِيحَتَانِ أَرَادَ الْإِمَامُ (ع) بِوَهْنِ أَنْ يُعْبَّرَ عَنْ مَقْدَارِ الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاعِ قَبِيلِ الْمَبْعَثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ الْإِمَامُ بِحَدِيثِهِ مَعَ الْمُتَلَقِّينَ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ لِيُوصِيَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْحَذَرِ مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ الْمُسْتَقَرِّ بَلْ هِيَ دَارُ شُحُوصٍ ، مَا دَامَ سَاكِنُهَا ظَاعِنًا وَقَاطِنُهَا بَائِدًا .

والمفردتان (ساكن، ظاعن) تمثلان ترادفا لغويا له مغزى يفيد التوكيد وجاء بالتشبيه للدنيا وعدم استقرارها بأهلها بميدان السفينة في تشبيهه بليغ خُفَّتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ ، وَلِزِيَادَةِ تَوْكِيدِ الْمَعْنَى جَاءَ بِإِضَافَةِ (تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجِّ الْبَحَارِ) ، وَلَمَّا كَانَتِ الْحَيَاةُ كَالسَّفِينَةِ فَالِنَّاسِ - بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ - بَيْنَ (غَرِقٌ ، وَوَيْقٌ) أَوْ نَاجٍ عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ ، تَحْفَزُهُ الرِّيَّاحُ أَبْدِيَالَهَا ، وَتَحْمَلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ، فَالَّذِي غَوِقَ لِأَنَّ دُرُكَهُ أَحَدٌ (فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ) وَالنَّاجِي فَنَجَاتِهِ مُوقَّتَةٌ ، لِأَنَّ مُصِيرَهُ الْهَلَاكُ وَمَا دَامَتِ الدُّنْيَا بِهَذَا الشَّكْلِ ، فَيَنْبَغِي الْإِسْتِعْدَادَ لَهَا ، وَالْحَذَرَ مِنْهَا .

(2) سورة الكهف/ ٥٢ .

(3) نهج البلاغة، خ (١٩١)، ج ٢/ ١٩٥-١٩٦ .

المفردة، وأصبحت جزء من النص، وبنائه، لا سيما بعد أن مهد لها بجمل مسجوعة تتلصق بالأسفار، وتبهره، من خلال المفردات: (بعيدا، مشيدا، تديرا، قورا به ورا) ثم اتبعها بلون آخر من السجع تحقّق بالألفاظ (وارثين، آخرين، يزيدون، يستغنون)، وبالجناس الناقص في المفردتين (قورا به ورا)، ولما قدّم الإمام (ع) حديثه عن البناء أردفه بالحديث عمّموا لي بيّن حال ما بنوه، ومآل ما جمعه، فما بنوه ملبّنا بذو قبرا لهم، وما جمعه إنما أصبح كسادا وتالفا، ولو عدنا إلى قوله تعالى: "وكنتم قوما بورا" سنجد أن اقتباس هذه المفردة كان في مبنائها وفي معناها الذي دلّ عليه السياق، باعتبار أنّهم قد ذهبوا أموالا، وتركوا ما جمعه خلف ظهورهم كسادا تالفا، لا شك أنّ يفتن الإمام (ع) من معرفة المتلقي لهذه الدلالة هو الذي دعاه إلى اختيار هذه المفردة، دون سواها، وله (ع) كلام آخر في مثل هذا المعنى^(٥).

وكذلك قوله (ع): ((أبها الناس؛ استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتأخوا من صفو عين قد روت من الكدر، عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تقادوا إلى أهوائكم فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفي جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع لرأي يهتد بعد رأي يريد أن يلصق ما لا يلتصق، ويقرّب ما لا يقارب، فالله الله أن تشكو إلى من يشكي شجوكم، ولا يقض برأيه ما قد أبرم لكم))^(٦).

يبدأ النص باستعارة تصريحه في دعوته أصحابه إلى أن يسرجوا مصابيحهم من شعلة مصباح واعظ، متعظ، في قوله: (استصبحوا)، إنها استعارة للمفردة (تبصروا) بجامع التمكّن من الاهتداء، وكذلك في قوله (ع): (من شعلة مصباح) إشارة إلى وصاياه ومواعظه لهم التي تشبه المصباح ليتمكنوا من الرؤية الواضحة للحياة، وهكذا في (امتأخوا أي: تزودوا) من ينبوع معرفته الصافي من كلّ كدر، إنها استعارات تصريحية تصويرية متجاوزة، وبإضافته (واعظ متعظ) إشارة إلى كونه واعظا للناس، ومتعظا أيضا (لأنّ من لم ينعظ في نفسه فبعيد أن ينعظ به غيره، وذلك لأن القبول لا يحصل منه، والأنفس تكون نافرة عنه، ويكون داخلا في حيز قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبرّ وتنون أنفسكم))^(٧)، وهو م حينذاك يأخذون من عين صافية)، وقوله (امتأخوا) و (عين صافية) استعارتان تصريحتان جليتان، لذلك يجب عليهن ألا يركنوا إلى جهالتهم، وألا ينقادوا إلى أهوائهم، والذي يعمل ذلك إنما يكون على (شفا جرف هار)، وسيكون كالذي يحمل الردى على ظهره، أو كالساعي في ضلال فلا سبيل له ولا نصرة، إنّه ثلّوين صوري تكافٍ يودّي في النهاية إلى صورة مركبة كلية.

وقوله (ع): (شفا جرف هار)، يعود بذاكرتنا إلى قوله تعالى: (أفمن أسس بُنيانه على تقوى من اللّاه ورضوانٍ خير أم من أسس بُنيانه على شفا هار فإنها آراءه في نار جهنّم واللّاه لا يهدي القوم

^(٥) جاء في إحدى خطبه قوله: ((وأصبحت مساكنهم أجداثا، وأموالهم ميراثا، لا يعرفون في آتاهم ولا يحملون من

كبابهم، ولا يجيبون من عاهم)).

ينظر: نهج البلاغة، خ (٢٢٥) ج ٢/٢٥٢.

^(٦) نهج البلاغة، خ (١٠١) ج ١/٢٠١.

^(٧) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٢/١٣٧.

الظَّالِمِينَ^(٢)، والشفاء: الجرف^(٣)، ومنه (... إذ كنتم أعماء فألأف بين قلوبكم فأصبتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من اللور فأفقتكم منها...)^(٤) .

المعادلة الظاهرة هي أن الذي يعتمد الجهالة، والهوى سيعاني، ويكابِد من حملٍ ثقيل في حياته، ويتحمل وزره بعد ما تمه، بسبب نزوله بشفا جرفٍ هارٍ .

ومن المفردات التي وردت بصيغة اسم الفاعل نجد المفردة (ناكسا) في قوله (ع): ((فأعملوا والعمل يرفع، والتوبة تنفع، والثاء يسمع، والحال هادئة، والأقلام جارية، وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالٍ ساء))^(٥) .

الخطبة في مقام الوعظ والإرشاد، والتذكير بالموت، والدعوة إلى العمل والتوبة، والدعاء، ما دامت هناك عافية، وفسحة من الوقت ينبغي مبادرة الأعمال، و عمراً ناكساً، و (ناكسا) مفردة قرآنية تعود بنا إلى قوله تعالى: (وَمَنْ زُجِرْهُ نُكْسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفْلا يَعْظُونَ)^(٦)، وأوردها الأصفهاني في مفرداته وهي عنده من (النكس): وهو قلب الشيء على رأسه^(٧)، والنكس في المرض ان يعود بعد إفاقتِه^(٨) .

ونكسه في الخلق: نقله إلى عكس ما كان قبله، أي دُعِيده ضعيف الجسم والعقل كما كان أول مرة، وتعود الرسول (ص وآله) من أن يرد إلى أرذل العمر^(٩) .

وعمراً ناكساً: أي عمراً منكوساً، وهو مجاز مرسل علاقته الفاعلية، والمراد منه المفعولية، ويبدو انه جاء بصيغة الفاعلية للدلالية على أن الإنسان هو الذي استنفد عمره، فهو الفاعل وهذا واقع الحال .

أو مرضاً حابساً، أي مانعاً ، وقعت الاستعارة التصريحية في (حابساً) ، والجامع بين المستعار منه (حابساً) و (مانعاً) هو نَم القدرة على الفعل بإرادة ويُسْر، وقد تكون استعارة مكنية ، جسّم فيها المرض ، وأصبح كائننا بشرياً محذوفاً ، وهذا الكائن - المحذوف - مع بقاء إحدى خصائصه هو القادر على (الحبس) والمنع ، كذلك الموت الذي يأتي خلسة، فهو خالس ، وهذه استعارة تقبل أن تكون تصريحية أو

(2) سورة التوبة/١٠٩ . ينظر: منهاج البراعة، للحوئي، ج٧/٢٤٨ .

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (شف) .

(4) سورة آل عمران/١٠٣ .

(5) نهج البلاغة، خ(٢٢٥)، ج٢/٢٥٠ .

(6) ببس/٦٨ .

(7) (نكس) في لسان العرب لها معان عديدة : (قلب الشيء على رأسه، طأطأة الشيء من ذل، الرجل الضعيف،

العود في المرض) .

ينظر: لسان العرب، مادة (نكس) .

(8) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٨٢٤ .

(1) ينظر: من كنوز القرآن، ص: ٤٦ .

مكنية ، جسّمت الموت من خلال القول (خالسا) ، والمفردة (خالسا) تحمل من الدلالة ما يوحي بالقدرة على المبادرة ، والخئل ، والمباغثة .

إن هاتين الاستعارتين أضافتا حركة واضحة، نكاد نحس بها ونراها مع شيء من التساوق الموسيقي المتحقق بالجمل القصيرة المسجوعة بأسجاع متنوعة بالمفردات (يرفع، تنفع، يسمع)، (هادئة، جارية)، (ناكسا، حابسا، خالسا) .

اسم الفاعل (راكس)، اقتبس منه الإمام (ع) من قوله تعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِنَ وَاللَّهِ أُرْكَبُهُمْ بِمَا كَذَبُوا وَأَتْرِبُونَ أَنْ تَهْوَأْتُمْ أَصْحَابُ اللَّهِ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَعَنْ تَدَجِلَهُ سَبِيلًا)^(٢)، فأورده الإمام (ع) في كتاب له إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أصحاب صفين، فقال: ((فلما ضرسنا وإلهم، ووضعت مخالبا فينا وفيهم، أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا، وسارعنا إلى ما طابوا، حتى استباننا عليهم الحجة، وانقطعت منهم المعذرة من تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذ الله من الهلكة، ومن لجج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قبه، وصارت دائرة السوء على رأسه))^(٣)، إن وحدة الأصل بين (راكس) و (أركسهم) تسمح بمقولة الاقتباس القرآني، ولا بد من تتبع المعنى للوصول إلى المفردة لمعرفة أثرها في النص، لقد وردت في مواضع قرآنية آخر^(٤)، وسنجدها كانت بمحل القطب من الرحي فبعد أن دعا الإمام (ع) أصحاب صفين إلى جادة الحق، رفضوا، فجنحت الحرب، ووقدت نيرانها - كناية عن اشتدادها - ثم عصت بأضراسها، بعد أن وصلت بهم الحرب إلى هذا المقدار من الضرر استجابوا لدعوتهم (ع)، فسارعناهم إلى ما طلبوا ، لقد استباننا الحجة وانقطعت المقدره، فمن تم له ذلك (فهو الذي أنقذ الله من الهلكة)، ومن لجج وتمادى فهو (الراكس): مركوس، وهو مجاز مرسل علاقته الفاعلية، وقد يكون وروده بصيغة الفاعل للدلالة على أنهم القائمون بالفعل، باختيارهم، ورادتهم، ولم يكونوا مرغمين ، (وطى الذين هلونوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبلي وما ظلمناهم م ولاكن كانوا أنفسهم م يظلمون)^(١)، فهم ظالمون، غير مظلومين، راكسون، غير مركوسين .

والركس: قلب الشيء على رأسه، ورد أوله إلى آخره، يقال: أركسته فركس، وارتكس في أمره، قال تعالى: " والله أر كسهم بما كسبوا: أي ردّهم إلى كفرهم^(٢)، وهي عند (ابن عباس) بمعنى: (حبسهم)^(٣)

(2) سورة النساء/ ٨٨ .

(3) نهج البلاغة، ك (٥٨) ج ٣/ ١٢٥ - ١٢٧ .

(4) قال تعالى: (سَدَّ جُنُونَ آخِرِينَ يَ رِيُونَ أَنْ يَأْمُرُواكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَبُوا فِيهَا فَبِئْسَ لِمَ يَعْزَلُوكُمْ وَيَقُولُوا إِلَيْكُمْ أَلْ سَلَامُ وَيَقُولُوا أَيْبَهُمْ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتَدُوا لَهُمْ مَ حَيْثُ تَقَعْتُمْ هُمْ مَ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) .

النساء/ ٩١ .

(1) سورة النحل/ ١١٨ .

(2) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٣٦٤ .

ينظر: تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ت (٨٧٥) هـ، تحقيق د. عبد الفتاح أبو سلمة وزملاؤه، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ، ج ٢/ ٢٧٥ .

ينظر: تفسير فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت (١٢٥٠) هـ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج ١/ ٤٩٥ .

وإزداد المعنى الدلالي للمفردة بإضافة صفةٍ أخرى، وهي (ران) إنها مفردة قرآنية^(٤)، جاءت كناية عن عمى القلوب واليأس من هداها، بعد أن علا الرّين قلوبهم، أي: صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر^(٥)، هم فوق ركوسهم في الباطل مسح الله على قلوبهم، فدارت دائرة السوء على رؤوسهم، وهذه مفردات قرآنية تشكّلت في تركيب قرآني استحضره الإمام (ع) للتخصيص بعد أن قدّم (دائرة السوء) على (الجار والمجرور)^(٦).

والمفردة (راكس) توحى بهول الصدمة، وعظيم الخطر، فغدت رمزا دالاً، استطاع الإمام من خلالها توجيه النص، والسير به إلى المراد الدلالي المقصود، وجعل منها شحنة دلالية عميقة تعود بالمتلقي إلى المعاني المرتكزة في ذهنه، والسياق الذي اقترنت به.

وردت (راكس، ران) في الآيتين بالجمع؛ (أركسهم، كسبوا)، (قلوبهم) في حين أوردتها الإمام (ع)

للمفرد، وربما في ذلك إشارة واضحة إلى معاوية، باعتباره قائد جمع صفين، والذي كان سبباً في الحرب من اسم المفعول اقتبس المفردة (مقموع) قوله (ع): ((وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَالِهِمْ ذَكَرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهَمُّ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ كَعُومٍ، وَدَاعٍ خَطَّ صُورَهُ، وَتَكَلَّانَ مُوجِعٍ، قَدْ أَحْمَلْتَهُمُ النَّقِيَّةَ وَشَمَلْتَهُمُ اللَّئِيَّةَ، فَهَمُّ فِي بَحْرِ جُلُوجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَلَّتْ، وَقُلُوبُهُمْ فُرِحَتْ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى لَمُّوا، وَقَهَرُوا حَتَّى لُدُّوا وَتَقَلُّوا حَتَّى قُودُوا))^(١)، وهم بين تيّد، وخائف، وساكِت - بالقوة - وبين داعٍ، ومخلصٍ، بدرجات توافق قدراتهم، وعزائمهم، فالخائف منهم (مقموع)، وهذه مفردة قرآنية كما في قوله تعالى: ((لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَيْدٍ))^(٢)، وجيء بالمفردة (مقموع) لوصف هؤلاء، و (مقموع) من (مقمع) وهو ما يضرب به، ويؤذّن، لذلك يقال: قَمَعْتَهُ فأنقمع، أي كفته فكف^(٣)، وجاءت بمعنى الدليل^(٤)، والمقهور^(٥) في النص النهجي، وهو قريب من معناها القرآني.

وتحمل المفردة (مقموع) دلالة على مقدار ما لاقاه هؤلاء بسبب نصرتهم للحق حتى الساكن منهم فهو (مكعوم)، اضطر لذلك على الرغم منه مع ذلك نجد منهم من بقي داعياً، مخلصاً، وآخرين تكلوا، والتكل يقال للمرأة حين تفقد ولدها، وكان هؤلاء قد فقدوا اعز ما يملكون فشبههم الإمام (ع) في حزنهم بالمرة التكلية، فقهروا وذلوا، وحتى أصبحوا في بحرٍ من الضيم، والقهر، أفواههم ضامرة، وقلوبهم قرحة،

(3) ينظر: الأعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل ابن الأزرقي، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط ٣ مصر، ١٩٨٤م، ص: ٤٧٨.

(4) قال تعالى: (كَلَّا لِي رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) المطففين/ ١٤ .

(5) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٣٧٣، وفي القاموس، الرّين الطبع والدّنس، ينظر: مادة (ران) .

(6) قال تعالى: (وَيَعْبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ نَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَعَدَ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) . الفتح: ٦.

(1) نهج البلاغة، خ (٣١)، ج ١/ ٧٤ - ٧٥.

(2) الحج/ ٢١ .

(3) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٦٨٤ .

(4) ينظر: أعلام نهج البلاغة، علي ناصر خسرو، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد، طهران، ج ١/ ٦٥.

(5) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م، ج ١/ ٢١٦.

وهذا انزياحات تحمل دلالات شتى جيء بها لبيان سوء حالهم ، وما حلّ بهم ، ومع هذا كله لم يكفوا ، بل وَعَظُوا حَتَّى (لَمَوْا) ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، فَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ حَتَّى قَلَّ عَدُّهُم .

ومع كثافة المعنى نجد انسيابية لغوية من خلال الألفاظ: (لَمَوْا، ذَلُّوا، قَوَّوا) جعلت النص مفتوحا أمام كل التصورات التي تستتبع هذه الصور في ذهن المتلقي، مما جعل المفردة (مقومع) منسجمة في سياق النص هو وجود المفردات (مكعوم، مخلص، موجه) .

بجانب ما تقدّم من أسماء تطلّ علينا مفردات لأفعال قرآنية أو ما هو مشتق منها؛ بسبب اللواحق، والنواقص التي حلّت في تلك الأفعال، وأصبح من العسير جدا أن نفصل بين هذه الأفعال وما تعلق بها نتيجة لتغيير أزمنتها، والضمائر التي اتصلت بها، إلا أن الأصل في هذه الأفعال يبقى حاملا إشارة تعود به إلى أصله القرآني .

ومن هذه الأفعال على سبيل المثال: (سَجَدَ ، اصْطَفَى ، فَلَقَ ، بَرَأَ ، خَشَعَ ، ، هَدَى ، ابْتَلَى ، يُوَدِّهِ ، بَوَّأَ ، وَثَّقَ كُونَ ، يَجْرِمَنَّكُمْ ، تَرَكْنُوا ، قَنَطَ ، يَتُوبُ ، يَمَحِقُ ، وَيُؤَلِّجُ ، ، أَصْلِيهِمْ ، ذَرَأَ ، نَكَصَ ، يَسُومُونَكُمْ ، يَسْتَفِرِّزُكُمْ ، ، يَيْسَلُونَ بِأُجْسٍ ، يَعْمَهُونَ ، ابْتَدَعَ ، صَدَعَ ، ، أَحْفَ ، أُجِنَّتَهُمْ ، تَأُولُ) (٦) .

منها قوله (ع) لابن عباس (رض) عند خروجه لقتال الناكثين في لبصرة ، لما دخل عليه (ابن عباس) (رض) ، وهو يخصف نعله ، فقال له: (ما قيمة هذه النعل؟) ، فقال ابن عباس: لا قيمة لها ، فقال (ع): ((والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً ، أو أدفع باطلاً ثم خرج فخطب الناس فقال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله ، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة ، فساق الناس حتى يؤأهم مدلتهم ، وليغهم منجاتهم ، فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم)) (١) .

إذ وقع الاقتباس في الفعل (بَوَّأَ) من القرآن الكريم ، والذي ورد في آيات عدة ، وبصيغ عديدة (٢) ، (وَأَوْأَ): بَاءٌ إِلَى الشَّيْءِ ، يَبُوءُ بِبُوءٍ : رَجَعُ (٣) ، وَأَبَاءَهُ مُنْزَلًا وَيَبُوءُهُ إِيَّاهُ وَيَبُوءُ لَهُ ، وَيَبُوءُهُ فِيهِ ، بِمَعْنَى هَيَأَهُ لَهُ ، وَأَنْزَلَهُ وَمَكَّلَهُ فِيهِ (٤) .

(٦) ينظر: نهج البلاغة، مثلا خ (١)، ج ٥/١، خ (١٢٩)، ج ٢/٢٢، خ (٨٠)، ج ٢/٤٠، خ (١)، ج ٦/١، خ (١)، ج ٣١/١، خ (١)، ج ١٨/١، خ (٢٤)، ج ٦٠/١، خ (١٥١)، ج ٦٠/٢، خ (١)، ج ١٨/١ .

(١) المصدر السابق، خ (٣٢)، ج ١/٧٧ .

(٢) قال تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعأ صدق) يونس/٩٣ .

() وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يونس/٨٧ .

() وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا) الأعراف/٧٤ .

() واذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد القتال) آل عمران/١٢١ .

() وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجُودُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا

أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ... الحشر/٩ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (بوأ) .

(٤) ينظر: المصدر نفسه،

و(بؤاً) من (باء) ، وهي بمعنى مساواة الأجزاء في المكان ، خلاف (النبو) ، الذي هو منافاة الأجزاء....، وبؤأت له مكانا : سَوَيْتَهُ (٥) .

فالرسول(ص وآله)بؤأ الأمة منزلتها(فساق الناسَ حتى بؤأهم)وفي هذا تصوير استعاري،وفيه دلالة علنانه(ص وآله)هاديا للأمة، حين جمعهم بعد تشتتهم،وأمنهم بعد خوفهم، وأوصلهم مأمَنهم،حينئذ (بؤأهم منزلتهم)،ويفضل هذه المفردة تنكشف للمتلقي محورية النص،ودلالته المركزة والمعنى العام،وهو بيان عظيم فضل على العرب حين أرسل إليهم من أخرجهم من حالٍ إلى حالٍ .

وبعد أن تبوّوا منزلتهم ، استقامت قناتهم ، والمراد بالقناة: القوّة والغلبة ، وهذا مجاز مرسل ، علاقته السببية ، فالقناة - الرمح - سبب للقوة ، والشدة ، ومعنى إسناد الاستقامة إليها ، انتظام قهرهم ، ودولتهم(٦)، ويرى ابن أبي الحديد إن استقامة قناتهم " بعد أن كانت معوجة قبل الإسلام " (٧) ، أو أنّها إشارة إلى اطمئنان الببال ، واستقرار حالهم(٨) .

وتجري عملية الاقتباس في أكثر من مفردة واحدة ، مثلما نجد في اقتباس المفردات: (أجئتم،نكصتم)في إحدى خطب الإمام(ع)التي ذم فيها أصحابه ، بعد نكوصهم ، وتراخيهم في الحرب((أحده الله على ما قضي من أمره،وقدر من فعل ،وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع ، وإذا دعوت لم تجب ، وان أمهلتكم خضتم،وان حوربتكم خرتم ، وان اجعتم الناس على إمام طعنتم،وان أجئتم إلى مشاقّة نكصتم،لا أبا لغيركم ما تنتظرون بنصركم،والجهاد على قكم،الموت أو الذل لكم،فوالله لئن جاء يومي- ولتبيئي- يلقون بيني وبينكم،وأنا لكم قال،وبكم غير تدبير)) (١) .

جاءت هذه المفردات في قوله تعالى: (فَأَجَاعَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَثٌ قَبْلِي هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَسِيًّا) (٢)،وفي قوله تعالى: (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْقَتْلَانَ كَسَّ عَلَى عَقْبِهِ وَقَالَ إِنِّي وَيَّءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٣) .

النص في معرض بيان هؤلاء الذين ابتلى الإمام (ع) فهو كان يأمرهم فلا يُطيعون ، ويدعوهم فلا يجيبون مثلما كان يناديهم فلا يُجيبون ، ويُناجيهم فلا يأتون ، وإذا تركهم خاضوا في الباطل ، فشبه الباطل في البحر اللجّي العميق من خلال هذه الاستعارة المكنية ، والدال على مثل هذا التشبيه هو

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ١٥٨ .

(٦) ينظر: أساليب البيان في القرآن، سيد جعفر الحسني، مؤسسة الطباعة والنشر، ط٢، قم ١٤١٣ هـ، ق، ص: ٣٩٤ .

(٧) شرح ابن أبي الحديد، ج٢/ ١٤٨ .

(٨) ينظر: نفحات الولاية، مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم، ١٤٢٦ هـ، ج١/ ١٩١ .

(١) نهج البلاغة، خ(١٧٥)، ج٢/ ١٢١-١٢٢ .

(٢) مريم/ ٢٣ .

(٣) الأنفال/ ٤٨ .

القرينة ، والخصيصة (بخوضون)، وإذا حُورُوا (خاروا) : أي ضعفوا ، وانكسروا^(٤)، أو صاحوا كما يخور الثور^(٥)، ويعود بنا هذا النص إلى قوله تعالى: (فَأَخْرَجَ لَهُمْ جِسْدًا لَهُ خُوَارٌ)^(٦)

إذا كان هذا هو معناها في نص الإمام(ع)، فهي داخله في باب المجاز المرسل علاقته (المسببية)، لأنه ذكر (المسبب)، وأراد (السبب) وهو الخوف والإمام(ع) جاء بهذه الاستعارة ، وهذا المجاز المرسل لتفعيل المضمون الدلالي لكلامه(ع) ، وبفعل الانتخاب المقصود لهذه المفردات القرآنية أصبح النص يشع بالحياة، لأنها مفردات ناطقة، ومعيرة، وموحية، ثم يمضي الإمام(ع) في وصفهم، أنهم إذا اجتمع الناس على إمام طعنوا فيه ، وخالفوا الجماعة، وفي هذا إشارة لما وقع له حين بيعته وان (أجنوا) إلى الحرب نكصوا (إن أجنتم إلى مشاققة نكصتم) والمشاققة: الحرب، وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية أيضا، لأنه(ع) ذكر (المسبب)، وأراد (السبب) ، وهو الحرب التي من مسبباتها المشقة ، فالحرب مشاققة ، والمرء يضطر إليها كرها لا اختيارا لقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُكُمْ)^(٧) .

والنكوص هو الإحجام من الشيء^(٨)، والرجوع قهقري^(٩)، وجاءت في مواضع عديدة من كتاب الله^(١٠)، كما أنها وردت في موضع آخر في نصوص النهج^(١١)، وفيه إشارة ودلالة إلى الارتداد . من المعطى الدلالي للمفردة (نكصتم) يفهم المتلقي أن هؤلاء لم يكونوا متناقلين فقط، بل كانوا يحجون، وينقلبون على أعقابهم ، لذلك ذمهم الإمام(ع) بقوله: (لا أبا لكم) ، ومضى يسأل موبخا: (ما تنتظرون بنصركم ؟ والجهاد على حقكم؟) وكأنه(ع) أراد القول أن لا احد غيركم ينصركم، أو يجاهد عن حقكم، لأنكم أولى الناس بذلك ، فانتظمت هذه المفردات المقتبسة في عقد دلالي، حاملة معها ظلالها المعنوية، كما وردت في كتاب الله^(١٢)، في نسقٍ لفظي جميل منسجم، خاصة مع مثل هذه النهايات السجعية

(4) ينظر: أعلام نهج البلاغة ، ج ١/١٦٨ .

(5) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١/٥٥ . وينظر: منهاج البراعة ، للراوندي ، ج ٢/١٧٥ .

(6) سورة طه/٨٨ . وينظر: منهاج البراعة، للراوندي ، ج ٢/١٧٥ .

(7) البقرة/٢١٦ .

(8) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٨٢٤ .

(9) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠)هـ، تحقيق احمد حبيب قصير

العالمي، مطبعة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩هـ، ج ٥/١٣٤

ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٦٠)هـ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٤/٤٧٨ .

ينظر: الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ت(٦٧١)هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٨/٢٦ .

(1) قال تعالى: (. فَمَا تَرَ ابْتَغَاتِ الْفَدَاتَانِ نَصَّ عَلَى عَقْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بِيَوْمِئِذٍ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الأنفال/٤٨ .

وقوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكُصُونَ) . المؤمنون: ٦٦ .

(2) ينظر: نهج البلاغة، خ(٦٣)، ج ١/١١١، ك(٣٢)، ج ٣/٦٤، ك(٣٦)، ج ٣/٦٧-٦٨، ك(٥٠)، ج ٣/٨٩ .

(3) (خرتم) جاءت بمعناها القرآني في قوله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مُمُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مَن حُطِّبَهُمْ عَجَلًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَوَا أَنَّهُ لَا يَكُذِّبُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) لأعراف/١٤٨، للدلالة على عدم النفع، سوى هذا الضجيج الصادر عن جسد من غير روح، وقد ارتبطت في السياق القرآني بالفتنة كما في بعض التفاسير، وهذا

في المفردات: (خَضَمْتُ ، خُرْتُ ، طَعَنْتُمْ ، نَكَصْتُمْ) وما سبقها من مفردات أخرى (أَهْمَلْتُمْ ، حُورَيْتُمْ ، أَجِنْتُمْ) فأكتمل وقعها في ذهن المتلقي وسمعه .

ومن الأفعال المضارع مثلا نجد الأفعال : (يَجْرِمَنَّكُمْ ، تَرَكْنَا بِرِثَتِهَا ، أَصْلِيهِمْ ، يَسُومَنَّكُمْ ، تَعْتُوا ، يُوَدُّهُ ، يَسْتَفْزِنُكُمْ ، يَمْحَقُ ، تَرَكْنَا بِرِثَتِهَا ، يَوْمَهُمْ ، يُوَزَعُونَ) . قال الإمام (ع) مقتبسا الفعل (يَجْرِمَنَّكُمْ) : ((أيها الناس لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ولا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونني ، فالذي فَرَّقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الذي لُئِيكُمْ بِهِ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ما كَذَبَ البُلَّغُ ، ولا جَهَلَ السامِعُ ، ولكنِّي انظُرُ إلى ضَلِيلَةٍ دَنَعَتْ بالشامِ وَفَرَّصَتْ رِيبَاتَهُ ضَوَاحِي كُوفَانِ ، فإذا فَرَّغَتْ فَاغْرَتْهُ ، واشتدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَقَلَّتْ في الأَرْضِ وَطَأَتُهُ ، عَضَّتْ الفِتْنَةُ أبنائها بأنيابها ، وماجَت الحربُ بأمواجها))^(٤) .

إنَّ قوله: (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) يعود بنا إلى الأصل القرآني، في قوله تعالى: (ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ على أَلَّا تَعْدِلُوا)^(١)، المعنى هو (لا يَحْمِلَنَّكُمْ)^(٢)، أو لا يَكْسِبَنَّكُمْ^(٣)، أو لا يَدْخُلَنَّكُمْ في الجرم^(٤)، (ويَجْرِمَنَّكُمْ) من الجرم، واصل الجرم: قطع الثمرة من الشجرة، والجرامة: رديء الثمر المجرور، وأجرم: صار ذا جرم نحو: أثمر وألبن، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه^(٥)، وإذا استحضرنا المعنى القرآني، يكون معنى قوله (ع) هو: لا يَحْمِلَنَّكُمْ خِلافِي على تَكْذِيبِي، وهو ما أكدته (ابن أبي الحديد) بقوله: " في الكلام محذوف وتقديره " لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي على أن تَكْذِبُونِي " والمفعول فضله، وحذفه كثير، نحو قوله تعالى: (والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)^(٦) .

ما أراده الإمام (ع) .

ينظر: تفسير مجمع البيان، للطبرسي، ج ٤/٣٦٠ . وينظر: تفسير الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي، ج ٧/٢٨٥ .

ينظر: تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير ت (٧٧٤) هـ، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج ٣/١٥٩ .

(أَجِنْتُمْ) جاءت أيضا بمعناها القرآني كما في قوله تعالى: (فَأَجَاعَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَثُّ

قَبْلِي هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا) مريم/٢٣ ، دلالة على الاضطرار، كما اضطر المخاض مريم (ع) إلى جذع النخلة

(نكصتم) تدل على التراجع كما في قوله تعالى: (وَإِذْ زَيْنٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ

النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاعَتِ الْفِتْنَانُ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بؤيءٌ مُنْكُمْ إِنِّي أرى ما لا ترون إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) أنفال/٤٨ ، للدلالة على التراجع والتخاذل، وهذا ما أراده الإمام (ع) .

(٤) نهج البلاغة، خ (٩٧)، ج ١/١٩٤-١٩٥ .

(١) المائدة/٨ .

(٢) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص: ٢٨١ .

ينظر: مجمع البيان، للطبرسي، ج ٣/٢٦٣ .

(٣) ينظر: مجمع البيان، للطبرسي، ج ٣/٢٦٧ .

ينظر: تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ت (٩١١) هـ، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص: ١٣٥ .

(٤) ينظر: مجمع البيان، للطبرسي، ج ٣/٢٩١ . وينظر: الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي، ج ٦/١١٠ .

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ١٩٢ . وينظر: لسان العرب، مادة (جرم) .

(٦) شرح ابن أبي الحديد، ج ٧/٨١ .

الإمام(ع)لما قَدّم لهم هذه النصيحة،لأنه سيلقي عليهم كلاما قد يحملهم شقاقهم وخلافهم مع الإمام(ع)إلى عدم تصديقه،فهم قد اخذ ينظر بعضهم إلى بعض وكأنهم يتغامزون فيما بينهم كما اخبر الإمام(ع)في كلامه لهم،لذلك اقسّم لهم قَسَمًا بالذي(فلق الحَبَّةَ وبرأ النَّسَمَةَ)إن حديثه هذا أخذه عن الرسول(ص وآله)،الذي لا ينطق عن الهوى،إن هو إِلَّا وَحْيٌ وَحْيٌ .

ثم يمضي الإمام(ع)ليحدثهم عن(ضَلِيلٍ)- وهي صيغة مبالغة للإشارة إلى كثرة ضلالة،واضلاله ظهر في الشام،ومن خلال الاستعارة قبح صورة هذا الضَّيِّل حين شَبَّهه بالغرَاب(المحذوف)على سبيل الاستعارة المكنية التي حذف فيها(المشبه به) الغراب،وبقيت إحدى لوازمه وهي(نعق)فالنعيق هو صوت الغراب، والجامع بين(الغراب)و(الضَّيِّل)هو الشَّؤْم،والدمار والخراب،فالغراب لا يسكن إِلَّا في البيوت الخرية والمنازل المهجورة الموحشة،وقد يكون الجامع بينهما هو(القُبْح المعنوي)ويرى(ابن أبي الحديد) أن(نَعَقٌ)هو صوت الرّاعي بَغَمِهِ^(٧).

(ضَلِيلٌ)نكرة،والمقام الذي ترد فيه هو الذي يصفها،ويجدد معناها^(٨)،وهنا أراد الإمام به(الذم والتحقير)وللدلالة على انه ليس ضلّيلًا.... واحدا،بل هو ضلّيلٌ متعدّد في كلِّ زمان ومكان،فأعطى بذلك عمقا دلاليًا في الفكرة المقصودة،وصيغة المبالغة هنا تدلُّ على مقدار ضلالته للناس،وحين ينشر راياته- سلطانه - على كوفان،تفغر الفاغرة،وتشتدّ الشكيمة،ويثقل ظلمه على الناس،فتعضّ الفتنة هؤلاء الناس بأنيابها،وتموج الحربُ بأمواجها،وتبدو من الأيام كلوحها،ومن الليالي كدوحها .

إنها رصف استعاري جميل، يجعل المتلقي نفسه إزاء صور متحركة، تمنح فيها(الفتنة) الحياة ، فتغدو قادرة على العطاء ، وقد شُفِعَت هذه الصور البيانية المجسّمة بفنون بديعة جاورتها وأسهمت معها في إكمال المشهد الصوري المتحرك ، فالألفاظ (الأيام ، الليالي) شكلت فنًا تطابقًا والمفردات (كلوحها ، كدوحها) كونت جناسًا ناقصًا ، والفعل (يَجْرِمُكُمْ) هو النواة التي دارت حوله تلك الفنون في بنية النص .

(7) المصدر السابق، ج ٧/ ١٨٠ .

(8) ينظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد احمد بدوي، دار النهضة للطبع والنشر، ط ٣، مصر، ١٩٥٠م، ص: ١٢٨ .

ثانياً: اقتباس التراكيب القرآنية .

وقد يتعمق الاقتباس إلى التراكيب التي تتألف من مفردتين أو ثلاث في شبه جمل، أو في جمل اسمية، أو فعلية بسيطة، وبغض النظر عن عدد المفردات، ونوع التركيب تظل إشارات قرآنية متعارف عليها بين الناس، تسهل الإشارة إلى مرجعيتها القرآنية في كثير من الأحيان، ويجري استحضار تلك التراكيب لتوسيع دلالة النص، وتعزيزه، ومن هذه التراكيب: (لأنَّ يُوْفَى كُون ، لات حين مناص ، سبع سموات، زينة الكواكب، العمل الصالح ، فاضل الخطاب ، غيابة الجب ، منقال كل ذرة ، عالم السر ، الموعظة الحسنة ، ظلًا ممدود ، مدارح الشيطان ، لباس شعار الخوف ، قرار مكين ، دائرة السوء، طبة الرحم ، استجلب خيله قطعون أرحامكم ، تجلبوا السكينة ، دعا إلى الحكمة والموعظة ، آتاه الوسيلة ، يجلب عليكم ، واجلب خيله ، كظم الغيظ ، انبذ إليهم ، يبسط يده)^(١).

ومن قوله تعالى: (وَأَسَدٌ قُرْزٌ مِّنْ أَسَدٍ طَعَتْ مِنْهُمُ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِخَيْطِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْهَدُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُورًا)^(٢) اقتبس تركيب (اجلب عليهم) بصيغ عدة كما مر

(١) ينظر: نهج البلاغة، مثلاً خ (١٠٤) ج ١/٢٠٨، خ (١٨٦) ج ١/١٦٠، خ (١) ج ١/١٢، خ (٢٢) ج ١/٦، خ (٨) ج ١/١٣٢، خ (٨٧) ج ١/١٧٨، خ (٨٧) ج ١/١٧٨، خ (١٩١) ج ١/١٨٧.

(٢) الإسراء/٦٤ .

ينظر: منهاج البراعة، للخوئي، ج ٤/٥٠.

بنا، ومن هذه الصيغ ما جاء في قوله (ع) ((أيها الناس لقد أصبحنا في دهر عنود، وزمن كنودٍ عدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُتواً، لا ينتفع بما لعمنا، ولا نسال عمّا جهلنا، ولا نتخوف قارعةً حتى تحل بنا، فالناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنعه هم الفساد إلا مهانة نفسه، وكلاله حده، ونضيض وفره، ومنهم المصلت بسيفه ، والملعن بشره، والعجب بظنه، ووجد به قد اشط نفسه وأوبق دينه لحطام ينته فؤأو مقنب يقوده، أو منبر فرعه، ولدبئس المتجر أن ترى الثيا ل نفسك ثمناً، ومما لك عند الله عَوْساً))^(٣)، وأصل الجلب: سوق الشيء ويدُ قال: جلبت جلباً، وأجلبت عليه: صحت عليه بقهر^(٤)، إنها في مقام المجاز، وبهذا المعنى استحضرها الإمام (ع) في نصه .

وخطبته في وصف هذا الدهر العنود: الجائر ، والزمن الكنود : البخيل^(٥)، و(عنود ، كنود) لفظتان فيهما من الدلالة ما فيهما لبيان الزمن الذي استشعره الإمام (ع) بسبب الفتن بين الناس ، وعدّ ابن أبي الحديد المفردة ، (شديد) مفردة قرآنية^(٦)، فالدهر قسي عليهم حتى عدّ المحسن فيه مسيئاً ، وازداد الظالم فيه عُتواً ، فلا ينتفع العالم آنئذ بعلمه ولا يسأل الجاهل فيه عمّا جهل ، ولا يتخوف الناس من قارعة حتى تحل بهم، وهذا يحمل دلالة على هول ما هم فيه من مخ وشدائد ، حتى لم يبالون بما سيحصل لهم لفداحة ما هم فيه ، وقوله (ع): (دهر عنود ، وزمن كنود) يمنح المتلقي مجازاً عقلياً علاقته الزمانية ، أو لغوياً باعتبارهما استعارتين مكنيتين ، مجسمتين للدهر ، والزمن ، وهما مما لا يدرك .

إن النظرة المتمعنة في قول الإمام (ع) (عدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُتواً) تظهر لنا تقديم (فيه) على (المحسن)، في حين لم يجر ذلك في الجملة الثانية؛ إذ لم يقل الإمام (ع): (ويزداد فيه الظالم عُتواً)، لعل سبب ذلك يعود - في الجملة الأولى - إلى توكيد المعنى عند المتلقي، وهو إن الحديث عن الدهر، والزمن، لذلك تقدم الظرف (فيه)، وفي هذا نوع من تخصيص الكلام بما تقدم .

أما في الجملة الثانية (ويزداد فيه عتواً) فإن العلة في التأخير هي عينها في الجملة الأولى، لأن الحديث عن الدهر العنود، والزمن الشديد إنما كان بسبب ما حلّ فيهما من ظلم، وما جرّ ذلك من سفك للدماء، لذا قدّم الحديث عن الظالم، باعتباره الفاعل الرئيس في الحدث ، فهو تقديم تخصيص ، وتوكيد . والناس في هذا الدهر أربعة أصناف فمنهم من لا يمنعه الفساد إلا مهانة بنفسه وضعفاً بقوته - المشار إليه بكلاله الحد - وقلة في ماله - نقيض وفره - .

(3) نهج البلاغة، خ(٣١) ج١/٧٣ .

(4) ينظر : لسان العرب، مادة (جلب)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ١٩٨ .

(5) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢/١٤٠ .

(6) " قوله [ع] وزمن شديد: أي بخيل، ومنه قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَكَبَّابٌ خَيْرٌ لِّشَدِيدٍ) أي: وأنه لبخيل لأجل حب

الخير: " المال " ، هذا في رواية: (وزمن شديد)، التي أوردها ابن أبي الحديد في شرحه.

شرح ابن أبي الحديد، ج٢/١٣٩ - ١٤٠ .

والصنف الآخر هو المصنوع بسيفه ، وألعن بشره ، والمجلب بخيله ورجله ، وهذا من ألفاظ الكتاب العزيز، (واجلب عليهم بخيلك ورجلك^(١))، " قد اشترط نفسه " : أي هيأها للفساد في الأرض ، واوبق دينه أي: أهلكه ، من اجل حطام الدين، يختلسه اختلاسا ، أو من اجل إمارة على بضعة رجال ، وقد أشار إليها الإمام(ع) بقوله : " أو مقنّب يقوده "، والمقنّب: خيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من اجل منبر يقرعه ، أي: يعلوه^(٢)، وهي كناية عن حبّ السلطان ، وإذا كان الأمر كذلك فلبئس التجارة التي تكون النفس ثمنها فما عند الله عوض ((مَا عَنْكُمْ بِقُدِّمًا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِاقٍ...))^(٣) .

وحين الرجوع إلى قوله تعالى: (وَاجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْك وَرَجْلِكَ)، نجدها خطابا مع الشيطان، وفي نصّ الإمام(ع) نجدها إشارة إلى هذا الصنف في الناس الذي أعدّته، وهياً نفسه للفساد في الأرض، بعد أن أهلك دينه من اجل حطام الدنيا، فالمعنى والمخاطب أو المشار إليه تكاد تتقارب، لذا يمكن القول إنّها اقتباس للحال والمقال معا .

ومن التراكيب القرآنية التي جاءت بصيغة(مضاف ومضاف إليه) قوله(ع): " لباس الخوف " التي اقتبسها من قوله تعالى: (.فَرِيضٌ بِأَعْمِ اللَّائِي فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ...)^(٤) فقال (ع) واصفا مبعث الرسول(ص وآله)، (أرسله على حين فترّة من الرّسل، وطول هجعة من الأمم، وانقراض من العبر، وفجاءهم بتصديق الذي بين يديه، والنور المقتدى به، ذلك القرآن فاستطّفوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا أنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواعيكم ، ونظم ما بينكم) ثم يقول: فعند ذلك لا يبقى بيت مدر، ولا وبر إلا وادخله الظلمة توحّة، وأولجوا فيه نقمة، فيومئذ لا يبقى لكم في السماء عائر، ولا في الأرض ناصر، أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده وسينقم الله ممن ظلم: مأكلا بمأكل، ومشرّبا بمشرب: من مطاعم العلقم، ومشارب الصّبر المقو، ولباس شعار الخوف ودينار السيف، ولا هم مطايا الخطيئات، وزوامل الآثام، فأقسم ثم أقسم لينخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا ثوقها ولا تطعم بطعمها أبداً ماكرّ الجديان))^(١)

في قوله(ع): " أرسله على حين فترّة من الرسل " إشارة إلى قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَأْتِيكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ " (٢)، والفترة هي ما بين رسولين من رسل الله،^(٣) أو انقطاع الرسالة والوحي كما يرى الشيخ التستري^(٤)

(١) ينظر: المصدر السابق، ج ٢/١٤٠ .

ينظر: منهاج البراعة، للخواي، ج ٤/٥٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) النحل/ ٩٦ .

(٤) النحل/ ١١٢ .

(١) نهج البلاغة، خ(١٥٣)، ج ٢/٦٩ - ٧٠ .

(٢) المائدة/ ١٩ .

(٣) ينظر: منهاج البراعة، للخواي، ج ٦/٢٦٠ .

(٤) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري ، دار امير كبير ، بيروت، ١٩٧٨، ج ٢/٢٧٢ .

وقوله(ع): (وطول هَجَعَةٍ من الأمم) أي: بعد نومه ، وَغَلَّةٌ^(٥)، والأمم لا تنام إلا من خلال الاستعارات المكنية التي تهب الحياة لمن لا حياة له ، فالأمة هنا كائن حي- محنوف - بقرينة(هجة) ، ويجوز أن تكون تصريحيه ، استعيرت فيها(هجة) للمدة التي انقطعت فيها الرسل والأنبياء ، بجامع الغفلة ، وهكذا في قوله(ع): (وانتفاض من الميرم) وهي إشارة بيانية استعارية لانتفاض الشرائع - بسبب ترك العمل بها - والتي شبهها بالحبيل - لقوته - وقد انتقض .

ينقل بعد ذلك إلى بيان ما سيصيب الناس بعد موت رسول الله(ص وآله)ومجيء بني أمية ، إذ ستدخل الأحران كل بيت، في الحضر والبوادي(كل مَدْرٍ أو وِبرٍ) دلالة على انتشار الفساد في عموم ديار المسلمين وسيدخلون في كل بيت نعمة، إن دلالة قوله(ع) : (وأولجوا فيه نعمة) دلالة على إدخال هذه النعم عنوة في ديار المسلمين لما ي صاحب الولوج من إكراه ، وحشر بالقوة، وحينئذ - باستفحال ظلمهم - لن يكون للظلمة هؤلاء عانر ولا ناصر ، إشارة إلى زوال ملكهم ، ووقع الاقتباس لألفاظ قريبة من هذه التراكيب في مواضع أخرى في نصوص النهج ، مثل(استشعروا الخشية ، وتجلببوا السكينة)^(٦)، وفي كلا الموضعين نجد تجسيما للخوف والسكينة . وهناك تجسيم آخر للتقوى التي جعلها لباسا^(١)، وهو مأخوذ من قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أُوتِلَ عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ رِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّكَ مِنْ أَلْبَاسِ اللَّعِطَةِ هُمْ يَكُونُونَ)^(٢). والأمر الجلي هو أن الإمام(ع)ربط لباس الخوف بالظلمة والشراب مثلما ربطت الآية الكريمة بينهما من خلال(فأذاقها) .

(٥) ينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج١/٣٧٠.

(٦) ينظر: نهج البلاغة، خ(٦٣)، ج١/١١٠ .

وجاء في شرح البحراني: ((واستشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، استشعروا الخشية: اتخذوه شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب، والجلباب: الملحفة، أي: اجعلوا الخشية أول لباس لكم، ثم أرد فوه بالسكينة، وهنا استعارتان تؤكدان على ضرورة التحلي بالخشية، والسكينة)) . شرح ابن ميثم البحراني، ح١/٣٣٣ .

وينظر: منهاج البراعة، للخوئي، ج٥/٢٣ .

(١) ينظر: نهج البلاغة ،خطبة(١٩٣) ج٢/١٩٨-١٩٩ .

(٢) الأعراف/٢٦ .

ثالثاً الاقتباس المباشر ، جملتانيتية المباشرة :

يُمثل النص القرآني المباشر مرجعية فنية، فكرية، ثقافية عند الخطيب، والشاعر، على حدّ سواء لاسيّما في عصر صدر الإسلام، ومن أرضيته الصلبة ينطلق الناثر والشاعر للتعبير عما ينبغي وليرفد نصه بأدبية النص القرآني العالية، وبما يحمله من دلالات وجمالية، وتأثير في نفوس المتلقين، ليحقق لهم عنصري الإفهام والإمتاع وسمّي الاقتباس المباشر بالاقتباس النصي، أو الحرفي تميزا له عن الاقتباس غير المباشر الذي عُرف بالاقتباس الإشاري^(١) أو الدلالي، وعُرف الأول بالظاهر تميزا له عن الكامن، أو هو اقتباس الصياغة تفريفا له عن اقتباس المعاني، وتارة يُدعى بالتأثر الكلي مقابلا للتأثر المعنوي، ويدُعى بالاقتباس اللفظي تفريفا له عن المعنوي^(٢).

لقد شهد الاقتباس تعددا يعكس صعوبة الاتفاق على مُسمّياته وتنوّعت تلك المسميات عند الباحثين تبعاً لزاوية النظر، والرؤية التي يقف عندها الباحث، وكلها تضعه في نوعين لا ثالث لهما .

(١) (الاقتباس النصّي) وهو الذي لا يغيّر الشاعر أو الناثر في لفظ النص المقْتبس، و(الاقتباس الإشاري) هو الذي

يغيّر فيه الشاعر لفظ النص وتركيبه .

ينظر: معجم آيات الاقتباس، ص: ١٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٥ .

اعتمد كثير من النصوص النهجية في بناء صورته، ومعانيه ظاهرة الاقتباس المباشر، مما يؤكد أهمية استحضار النص القرآني، وأثره في النص الأدبي العربي القديم .
 وإذا كان (التناص) و (التضمن) يتصلان بالنص الأدبي على وجه الخصوص ، فإن اتصال (الاقتباس) بالنص القرآني له خصوصيته وفرادته ، وتمظهرت تلك العلاقة بصور شتى ، كان الاقتباس المباشر من أجلى تلك الصور^(٣).

سنقف عند النصوص التي استضافت النص القرآني المباشر لكي نستجلي جوانبه ا، وأهميتها في بناء تلك النصوص ، إذ كثيرا ما يتعاطى الإمام(ع) في نصوصه الأخذ من النص القرآني المباشر ، فشكّلت مساحة كبيرة في بنية نصوصه توجب التوقف عندها .

هذا اللون من الاقتباس له خصوصيته ، وتميزه بوصفه يمثل مركز الاقتباس ، فبالعود إلى تعاريف النقاد ، والبلاغيين لفن الاقتباس نجدها- في كثير منها - تنطبق على هذا النوع ، وان كان بعض منها يدخل في باب الاستشهاد *

ازدحمت به ساحة النص النهجي ، وتوزعت النصوص القرآنية بحرفيتها بين ثنايا النصوص^(١) ، لتؤدي وظائفها المبتغاة .

ومن الآيات التي اقتبسها: آية من سورة فصلت، وأخرى من سورة الأنبياء في خطبة له محدّرا من الدنيا وزخرفها: ﴿بَدِئْتُ الدَّارَ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ، فَأَعْلَمُوا - وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا ، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: " مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً " حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنزِلُوا الْأَجْدَانِقِلَاءَ يُدْعَوْنَ ضِيْفَانًا ، وَجُلِيَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ ، وَمِنَ الثَّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ ، فَهَمَّ جِيرَانًا يُجِدُّونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، وَلَا يُبَالُونَ مَنَدَبَةً ؛ إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْدِرُوا ، جَمِيعُهُمْ أَحَادٌ ، وَجِيرَتُهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَدَانُونَ لَا يَنْتَازِرُونَ ، وَقَبِيذٌ وَنُورٌ لَا يَقْبَلُونَ ، حُلْمَاءٌ قَدْ ذَهَبَ اضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَ أَحْقَانُهُمْ ، لَا يُخْشَى فَجَعَهُوْلًا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،

(٣) يرى صاحب كتاب (معجم آيات الاقتباس) إن الاقتباس النصي - المباشر - هو الاقتباس الحقيقي.

ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢ .

* اشترط النقاد والبلاغيون في عملية الاقتباس بقولهم " على أن يكون منه " ، وبذلك يخرج استجلاب النص القرآني في دائرة الاقتباس حين التصريح بالقول: قال الله تعالى، او ماشابه ذلك كما في كثير من خطب الإمام، وكتبه، ومواعظه

(١) ينظر مثلا: سورة البقرة/٣٤، نهج البلاغة، خ (١) ج ١٥/١، سورة ص/٨٠ - ٨١ خ (١) ج ١٦/١ ،

الأنعام/٣٨، خ (١٧)، ج ٥١/١، الكهف/٤٥، خ (١٠٧)، ج ٢١٦/١، القصص/٢٤، خ (١٥٥)، ج ٧٣/٢،

البقرة/٢٤٥، خ (١٨٧)، ج ١٣٦/٢، الشعراء/١٥٧، خ (١٩٦)، ج ٢٠٧/٢، الحج/١١، ك (٣)، ج ٦/٣،

آل عمران/١٩٨، ك (٢٣)، ج ٢٥/٣، هود/٨٣، ك (٢٨)، ج ٣٩/٣، النحل/٩٠، ق (٢٣١)، ج ٢٠٤/٣،

الأعراف/٩٩، ق (٢٧٧)، ج ٢٤٥/٣، الحديد/٢٣، ق (٤٣٩)، ج ٢٥٨/٣.

استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسعة ضيقاً ، وبالأهل غربةً ، وبالنور ظمّةً ، فجاؤها كما فارقوها ،
فظةً رطبةً قد ظنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة^(٢) .

يبدأ النصّ بالذمّ الصريح (بئس) ، للدنيا فقيست الدار لمن لم يتهمها . (أي: من اعتمد
بصحتها، وإنها مقصودة بالذات فركن إليها^(٣)) ، ما دام الإنسان مفارقاً لها، وقول الذين ركنوا إليها من قبل
وقالوا: (من أشدّ منا قوة) ^(٤) ، يثبت ذلك، فهم قد حملوا إلى قبورهم، وتركوها ، مع ما لهم من قوة مزعومة .

وقولهم هذا الذي اقتبسه الإمام (ع) بذّ صه القرآني جاء حلقة من حلقات السرد وفقرة من
فقراته ، نصّ الآية يتحدث بلسان هؤلاء وهو متناسب مع قول الإمام (ع) : (واتعظوا فيها
بالذين قالوا) ، فأصبحت الآية استمراراً لكلامه (ع) لا سيّما بعد قوله (ع): (فأعلموا - وانتم
تعلمون-) ، فالجملة الاعتراضية جاءت للتوكيد^(٥) ، وان كان لا محلّ لها من الإعراب^(١) ، إلا أنّها
لا تكون إلا مُقيدة^(٢) ، وبمجيء الآية جزء من السرد الخبري تكون قد أضافت إضاءة داخلية لما تحمله
من معنى موجز مكتنز .

الآية المقتبسة شكّلت ركيزة أساسية في نص الإمام (ع) ، وأوردها كسؤال ليأتي الجواب عليه، في
جمل تتراص فيما بينها فتبني نصاً يوصل المتلقي إلى صورة نابضة بالحياة تكشف عن معان عدة، منها
نبذ الدار الدنيا، والحثّ على الاستعداد للأخرة، وان الدنيا ليست دار قرار، وسرعان ما يأتي الموت، فتتبدل
الأحوال، وحينئذ لا ينفع مال ولا بنون وان الدنيا لو كانت من حقّ أحلّادات لأولئك الذين هم أشدّ
قوة، والحياة الدائمة هي الحياة الآخرة التي يرحل الناس إليها بعد موتهم، وتركهم لها .

وفي قوله (ع) في المناقنين: ((...يَتَوَطَّونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ
عِلاَقَهُمْ؛ يَقُولُونَ فِي شَبْهٍ ، وَيَصِفُونَ فِي وَهْمٍ ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضَاعُوا الْمَضِيقَ؛ فَهَمُّ لُمة الشَّيْطَانِ ،
وَحُمة النِّيرانِ، " أولئك حزب الشيطان ، ألا إنّ حزب الشيطان همّ الخاسرون))^(٣) ، اقتبس آية من سورة

(2) نهج البلاغة، خ(١٧٠)، ج ١/ ٢١٨-٢١٩ .

(3) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ١/ ٥٣٢ .

(4) فصلت/ ١٥ .

(5) قال ابن جني ت (٢٢٣) هـ، متحدّثاً عن الجملة الاعتراضية: " وهو جار عند العرب مجرى التوكيد " .

الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ج ١/ ٣٣٥ .

(1) ينظر: الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، ابن فارس ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق: مصطفى الشويمي،

مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، ١٩٦٤م، ص: ٢٤٧ .

(2) أكد ابن جني أن الاعتراض دال على فصاحة المتكلم، وقوة نفسه. ينظر: الخصائص، ج ١/ ٣٤١ .

(3) نهج البلاغة، خ(١٨٩)، ج ٢/ ١٩٢ .

المجادلة: (استَ حَوِّذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ نِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٤) .

من صفات المنافقين التي ذكرها الإمام (ع) أنهم (يتطؤون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم)، أي: لتتفق سلعتهم^(٥)، و(ينفقوا به اعلاقمهم)، أي: سلعتهم الثمينة^(٦)، وهما استعارتان تصريحيتان واضحتا للدلالة، وهم (يقولون فيشبهون)، أي: يوقعون الشبه في القلوب^(٧).

وقوله (ع): (وَيَصِفُونَ فِي وَهْمُونَ) أي: يصفون الله - بالتشبيه - في وهمون الناس، لذلك فقد هونوا الطريق، طريق الضلالة، و(أضلعوا المضيق) أي: مالوه وجعلوه ظديعاً، معوجاً، أي: جعلوا المسلك الضيق معوجاً بكلامهم، وتلبيسهم، فإذا اسلكوه أنسانا اعوج لا عوجاجه^(٨)، بعد وصفهم بمثل هذه الصفات، لم يجد الإمام (ع) أنسب من قوله تعالى: (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، أنهم ليسوا حزبا للشيطان فقط، بل هم خاسرون ، لا سيما بعد أن وصفهم بلمة الشيطان، أي: جماعته^(٩)، وبأنهم (حمة النيران)، و(الحمة: السم^(١))، واجتماع السم، (المدرک بالتدوق)، والنيران (المُدكَة باللامس) يوصل إلى (تراسل الحواس)، وتداخلها .

وعَدَّ ابن أبي الحديد (حمة النيران) كناية^(٢)، ويرى البحراني إنها استعارة، وهي ليست واحدة من هذين الفين، فبمجرد النظر إلى قوله (ع)، ندرك أن أصل الكلام: (هم كلمة الشيطان، وكحمة النيران) فيكون من السهل ان نقول انه تشبيه بليغ، لوجود المشبه والمشبه به، فلا تكون حينئذ استعارة.

وفي خطبة له (ع) يصف فيها أهل القبور قال: ((.... وكيف يكون بينهم تزاوؤ وقد طحنهم بكللهم البلي، وأكلتهم الجنادل والثرى؟ وكان قد صرنا إلى ما صاروا إليه، وارتته نكم ذلك المضطجع، وضممكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور بد عثرت القبور؟ " هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت))^(٣).

انظر في قوله (ع) ، ثم انظر في قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ)، يتبين كيف انه استقى كلامه من كلام الله ، والذي جاء مناسباً لمقام الحال ، والمقال ، فتجلت مقدرته (ع) في استثمار هذه الآية ، وامكانية الانتقال بها إلى

(4) المجادلة/ ١٩ .

(5) شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠/ ١٣٣ .

(6) أعلاق، جمع (علق)، وهو السلعة الثمينة، ينظر: المصدر نفسه .

(7) ينظر: المكان نفسه .

(8) ينظر: المكان نفسه .

(9) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٦٩/ ٢ .

(1) ينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج ٢٨٥/ ٢ .

وحمة النيران بمعنى: معظم حرها .
أو هي: إبرة العقرب، كما يرى الشيخ مغنية .

ينظر: منهاج البراعة، للخوائي، ج ١٧١/ ٢ .
ينظر: في ظلال نهج البلاغة، ج ١٧٤/ ٣ .

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠/ ١٣٣ .

(3) نهج البلاغة، خ (٢٢١)، ج ٢٤٧/ ٢ .

تساؤلات خرجت إلى غرض مجازي، وهو (الاستبعاد)، فلا يحس المتلقي بوعورة ذلك الانتقال من كلامه إلى الآية المباركة، للوصول به إلى الوعظ غير المباشر

وأورد الاستقهامات بصحبة فن بلاغي مجازي آخر، حين اسند (الطحن، والأكل)، إلى (البيلى والجنادل، والثرى) المعروف أن الطحن والبيلى ليسا من خصائص ما سلند إليه في النص، لكنه (ع) جنح بالتعبير من الحقيقة إلى المجاز، فرسم صورة بيانية لها أثرها الذهني والنفسي الكبيرين على المتلقي، لما في المجاز من "تلوين للأفكار، وتوليد للصور، وبعث للإيحاء بما هو ملائم لطبيعة المعاني"^(٤)، وأردف هذين الاستقهامين، بأخرين أراد بهما (التهويل)، والقول: كيف بكم لو تناهت بكم الأمور؟ وبعثرت القبور؟ بعد هذا ألحشد المجازي تأتي الآية حاملة معها أفقا واسعا أمام المتلقي، ليتصور ذلك كله في جو من الرهبة، والخوف، وهذا ما أراده (ع).

واقتبس قوله تعالى: (وَلَقَدْ دَأرسلنا رسلًا من قبلك منهن من قاصنا عليك ومنهن من لم نخصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)^(٥)، في كتاب له إلى شريح بن الحارث، قاضي الإمام (ع)، لما بلغه انه اشترى دارا بثمانين ديناراً، فكتب له ((...اشترى هذا المغنر بالأم من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار بالخروج من عزالق ناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى نه من ترك فعلى مببل أجسام الملوك، وسال ب نفوس الجابرة، ومزبل ملكالف راعنة، مثل كسرى، وق يصر، وتبع وحمير، ومن مع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيد، وزخرف، ونجد، وأدخر، واعتقد، ونظر بزعمه للود؛ أشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب، إذا وقع الأمر في صل القضاء وخسر هنالك المبطلون" شهد على ذلك العقل إذا خرج من اسر الهوى، ولبدم من هلاق الدنيا))^(١).

في جو من الرهبة والتذكير يطلق الإمام (ع) كلماته مناسبة للتذكير بما اعتري ملوك الأمم السابقة بفعل الموت، مع ما لهم من عز وشوكة، ليقف بسامعيه عند موضع الثواب والعقاب في يوم الحساب.

إنها نقلة من الماضي البعيد إلى المستقبل الموعود، ليقف المخاطب المخصوص أنشد (شريح بن الحارث) وكل المتلقين للنص عند حقيقة مفادها أن التحصيل الحقيقي، والملك المضمون هو ما سنلقاه أمامنا، وما نملكه في الدنيا فانه إلى زوال، وان لم يكن كذلك فنحن الزائلون، فلا ينفع ما بنيناه، وما شيدناه، وزخرفناه، ومن ظن عكس ذلك، سيكون من الخاسرين (وخسر هنالك المبطلون) فمن المناسب قوله (ع): (أين من سعى وأجتهد، وجمع، وعدد وزخرف وبنى وشيد) فلغيب كل لفظاً ي شاكلها .

جاءت الآية الكريمة في موقعها، ولولا ذكرها لبقى الكلام ناقصاً ومثلوما وأوصلت السامع إلى ساحة الاعتبار، والتفكير، وجعلته على مشارف نجدين، كلاهما يدعوه ألا يكون من الخاسرين .

(٤) المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص: ١٤٣ .

(٥) غافر/ ٧٨ .

(١) نهج البلاغة، ك (٣)، ج ٣ / ٦ .

وفي اسم الإشارة(هنالك)إحالة إلى المكان البعيد للدلالة على البعد الزمني الناتج من الإشارة إلى البعد المكاني، لان الكلام عن يوم القيامة .

ولما كان الإمام(ع)في مقام الدعوة إلى التذكير،والتقريع،والترهيب،لزم استحضار آية تزيد من هذا كله،فكانت شديدة الوقع على النفس،لا يراها بصورة مفاجئة،فأدت غرضها

وأورد قوله تعالى:(... لَذِكْ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَلَّى لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) (٢)في قوله (ع) لمن سأله "أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال(ع):((ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقتاً تروا حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب،وسقط الوعد والوعيد،إن الله سبحانه أمر عباده تحديراً ههنا ثم تحذيراً،ولكف يسيروا لم يكلف عسيره وأعطى على القليل كثيراً لم يعص مغلوباً لم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء ليعلموا ينزل الكتاب للعباد عبثاً،ولا لحق السموات والأرض وما بينهما باطلاً و" ذلك ظنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،فويلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)) (٣).

ظنُّ السائل أنَّ الإنسان مسير،فسأل:أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقد در؟فعلم الإمام(ع)بذلك، وبهذا الظن والاعتقاد يبطل الثواب والعقاب ويسقط الوعد والوعيد،ولأصبح أمر الله لعباده لهُوَ وَعَبَثًا، وارسال الأنبياء والرسول لِعَبَا، وعبادة الناس إكراها، وعصيانهم غلبة لله سبحانه

من هنا يبدأ الإمام(ع)بقوله للسائل:(ويحك)ويختمه بالآية المباركة التي بها نمت دلالة النص عند نقطة التماس بالنص القرآني،وتغدو هناك صلة عضوية بينهما تدفع بنص الإمام(ع)إلى ساحة الفهم ومن الناحية النفسية نجح النص في دحض ذلك الاعتقاد، حين فُرَّ من اعتقاد ذلك (١).

وقد يقتبس الإمام(ع)آيتين في قول قصير لإحساسه أن القول يستدعي ذلك،كما في إحدى حكمه:((لا تآمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله تعالى: " فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ "،ولاتياسن لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى: " إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (٢).

على الرغم من قصرالنص فأثَّه احتدوى اقتباسين قرآنيين جاء بهما(ع)كوسيلتين من وسائل الإقناع للسامع،لاتآمنن على خير هذه الأمة عذاب الله بدليل قوله تعالى في الآية الأولى (٣)،وبالمقابل لا تياسن هذه الأمة من روح الله بدليل قوله تعالى في الآية الثانية(٤).

إنها معادلة عقائدية يراد بها الإقناع بالدليل العقلي،والنقلي بالنص القرآني الواضح والصريح،لذا ندرك أهمية اقتباس هاتين الآيتين،فالمقتبس القرآني شكل محور النص ومرتكزه الأساس، وأمكن الوصول إلى معنى كلامه (ع)بهما.

(2) ص/ ٢٧ .

(3) نهج البلاغة، ق (٧٨) ج ٣ / ١٦٧ .

(1) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢ / ٥٢١ .

(2) نهج البلاغة، ق (٤٣٩)، ج ٣ / ٤٥ .

(3) الأعراف / ٩٧ - ٩٩ .

(4) يوسف / ٨٧ .

قال(ع)في موضع آخر من النهج:((الزهد كله بين كلمتين من القران،قال سبحانه:" لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفُحُوا بِمَا آتَاكُمْ"،ومن لم يأْس على الماضي،ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه))^(٥)،حددت الآية طرفي الزهد،وجعلته بين كلمتين،لاتاسوا،ولا تفرحوا على شيء فات،أو أتى، كن بين هاتين الكلمتين تكن من الزاهدين،ومن أراد الزهد فليمسك بطرفيه المحددين بالآية المباركة التي أصبحت روح النص .

إن اقتباس النص لم يتأت بسبب الإيجاز فقط، بقدرما تحمله من دلالات لتضع بصمات الشحن الاستدلالي في النص، والأمران المذكوران في الآية غايتان في الزهد والإعراض عن الدنيا في قوة خاصة تلزم الزهد،ونبه عليها لتعريفه بها ^(٦)

رابعاً : الاقتباس الجليلي غير المباشر (الريب) :

لا يقتصر الاقتباس القرآني على الأخذ المباشر فقط،إنما امتدّ ليشمل نوعاً آخر،يُدرَك من خلال وجود النص القرآني في التشكيل اليباني للنصوص،وقد يبتعد قليلاً،فَيَدْخُل مَاحَةَ الاقتباس غير المباشر البعيد،وكلاهما يُعَدُّ اقتباساً غير مباشر للقران الكريم،وهما بحاجة إلى تأمّل ومعاودة للكشف عنه،وقد يحتاج إلى قراءة أو أكثر- في النوع الأول- أو إلى قراءة تسندها ثقافة قرآنية تُعين المتلقي على الرجوع إلى النصوص القرآنية التي تحمل المعاني المقتبسة كما في النوع الثاني.

من الصعوبة بمكان أن يحدّد المتلقي المواضيع التي جرى فيها الاقتباس القرآني غير المباشر لا سيما في النوع الثاني،والبلاغيون بإجازتهم للنقل والتغير بالنص المقتبس ادخلوا هذا النوع في الاقتباس^(١)،وهذا ما أجازه كثير من البلاغيين والنقاد^(٢).

ويرى بعض النقاد انه لا يدخل في باب الاقتباس،إذ على الناقل أن يكون أميناً بالحفاظ على النص ولا بأس بعدئذ بما لم يَكُ قَصْدَ به الاقتباس^(٣).

(٥) نهج البلاغة، ق(٤٣٩)، ج٣/٢٥٨.

(٦) شرح ابن ميثم البحراني، ج٢/٦٣٨.

(١) ينظر: معجم آيات الاقتباس، ص: ١٥ .

(٢) ينظر: المثل السائر ، ج١/١٦١-٢٠٢، ٢٢٢، تحرير التحرير ، ص : ١٤٠، خزانة الأدب ، ج٢/٤٥٦ .

(٣) هذا ما يراه الباحث (حكمت فرج البدري) في كتابه (معجم آيات الاقتباس) ذلك هو يَخْرُجُ كتاب أبي منصور الثعالبي- (الأقتباس من القرآن الكريم) الضخم، إلاّ آبيات لا تخرج عن أصابع اليد الواحدة - ممّا هو اقتباس في نظره ، لأنّها اقتباسات غير مباشرة فألف كتابه المذكور، وجمع فيه الاقتباسات المباشرة(النصية) للنص القرآني في الشعر، ولم يتطرق إلى الجانب البلاغي إلاّ في وقوفه عند المصطلح ، في حين جمع الثعالبي في كتابه الاقتباسات غير المباشرة(الإشاري) بنوعيه القريب والبعيد ، والتغيّر الجائر عند صاحب البدري (معجم آيات الاقتباس) هو ما كان طلباً للوزن المناسب للشعر فقط .

إن التعامل مع النص القرآني هنا يكون بمعزلٍ عن التداخل البنائي مع النص، ويصبح اختلاطاً معنوياً في بعض جوانبه .

ونستطيع أن نزع من هذا النوع من الاقتباس هو الاقتباس الحقيقي لان الاقتباس يشترط به أن " يراد به غير القران " وفق مقصدياته وضرورياته .

إن الإمام(ع) حين يترك النصّ دون الإشارة إلى الآية المقتبسة، يفترض أن المتلقي يدرك جميع تلك الإشارات، والتضمينات القرآنية، وهو فرض له ما يعضده، باعتبار أن المتلقي آنذاك كان قريب عهد من كتاب الله، و من المفترض أن توجد معرفة تستوعب التراث القرآني في صدور المسلمين . يمتلك النصّ - عادة باعتباره ظاهرة أدبية - طاقةً داخليةً كامنةً لإنتاج دلالة ما، ولكل أديب قدرته على استخراج هذه الطاقة، وبتنمّتها لتنتج منه الدلالات المتعددة، والاستعانة بالنصّ القرآني غير المباشر القريب واحدة من أوجه إظهار طاقة النص .

اقتبس الإمام(ع) قوله تعالى: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْتُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَلُومٌ كَفَّارٌ)^(١)، وقوله تعالى: (يَطْمَعُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)^(٢)، وقوله تعالى: (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوزَهُمْ هَوَاقِين)^(٣)، و: (وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّطُ الرِّيحَ بِشْرًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا نَدَّهَا لَآسِفًا لِلْبُدَيْئِ فَأَتَوْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِمَعَكُمْ تَكْوِينٌ)^(٤)، و: (وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا)^(٥)، بصورة غير مباشرة في خطبة طويلة له(ع) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم(ع) فقال: ((الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي زعماءه العالون، ولا يودي قده المجتهدون؛ الذي لا يدرك عدوهم، ولا ياله غوص الظن الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل مموّد، فطو الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه))^(٦).

صاغ الإمام(ع) معانيه في النص من معاني تلك الآيات في قوالب لفظية جديدة، وحين يتلقاها المتلقي تجلّه إلى المنابع القرآنية التي استقى منها تلك المعاني .

ينظر: معجم آيات الاقتباس ، ص: ١٥-١٦ .

(١) إبراهيم/٣٤ .

(٢) طه/١١٠ .

(٣) الشعراء/٢٤ .

(٤) الأعراف/٥٧ .

(٥) النبأ/٧ .

(٦) نهج البلاغة، خ (١)، ج ١/٧ .

ويرى الراوندي، والشيخ مغنية أن قوله(ع): (لَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَالُونَ))، من قوله تعالى: (وَإِنْ تَعْتُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ...) . النحل/١٨ . ينظر: منهاج البراعة، ج ٢/١٢٦ . وينظر: في ظلال نهج البلاغة ، ج ١/١٦

في البدء نجد صلة الموصول- الذي - تكشف لنا قدرة الله جل شأنه، وعظمته، فسياق الموصول وصلته في محل بيان تعظيم الله تعالى فلا يبلغ بحته القائلون، أو يحصي نِعَمَاءَهُ العادِّون، أو يؤيِّ حقَّه المجتهدون.

إنَّ هيمنة النفي في النصِّ، أفادت مهمة التصريح بالعجز التام عن الوصول إلى المدح، أو الإحصاء، أو أداء حقِّ الله، من جهة، أو إدراك، أو إيَّا به بهمة أو فطنة من جهة أخرى، كما أفاد توكيد المعنى، وتركيزه في ذهن المتلقي.

وبالرجوع إلى الآية المباركة نجد (نعمة) بصيغة المفرد (إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وفي كلام الإمام (ع) (نعم) بصيغة الجمع، لأن السياق سياق جمع (عادون، مجتهدون، همم، فطن) وصيغة الجمع تدل على عظيم فضل الله، أو كما قال (الراوندي) في تفسيره: " وفي إيراد لفظ النعمة مفردا في كلام الله، وعلى لفظ الجمع في كلام أمير المؤمنين (ع) سرٌّ عجيب، وهو أن الله دل عباده على الآية العظام، بان قال نعمة واحدة منها لا يمكنكم عدَّ وجوه كونها هذا حقيقة، وإلا فالشيء الواحد لا يمكن عدَّه، وقيل المراد به الجنس، وإنما ذكر علي عليه السلام نعمائه، ونعمة على الجمع في الروايتين، إشعاراً أن أصول نعمة لا تحصى لكثرتها، فكيف تعدَّ وجوه فروع نعمائه " (1)، وحين وصل إلى الحديث عن الله، جاءت صيغ المفردات: (صِفته، حدِّ، نعت، أجل) ، وبالرجوع إلى بيان فضله على العباد، عاد الحديث بصيغة الجمع (لَهْدِيقِ ، رِيَّاحِ ، صُخُورِ) ، وبهذا يكون (ع) قد ولدَّ من الآيات حالة جديدة تسترشد المعنى الذي قام عليه النصُّ المستضاف .

وَضَمَّنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ دَأْرَسْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَنَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (2)، وقوله تعالى: (فَأَوْجِسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) (3)، في خطبة جاء فيها: ((بنا اهتدتم في الظلماء، وتسنتم العلياء ، وبنا انفجرتم عن السرار، وقرمعتم لم فقه الواعية وكيف يراعي النبأته أصمته الصيحة، ربط جنائكم ي فارقه الغقان، ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر، واتوسمكم بحلية المغترين، سترني عنكم جلباب الدين، وبصونديكم صدق النية، أقمت لكم على سنن الحق في جواد المظدة ؛ حيث تلتقون ولا دليل، وتحقرون ولا تميّهون ، اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان ، غر رأيي أمرئ خلا ف عني ما شككت في الحق مذ أوتيه علم ي وجس موسى عليه السلام خفة على نفسه، أشفق من غيبة الجهال وتول الضلال، اليوم وثاق فنا على سبيل الحق والباطل ، من وثق بماء لم يظم)) (4)، وأصل الكلام هذيتم بنا في الظلماء، فإيقاع المسند إليه أول الكلام يجعل السامع مثقفاً إلى

(1) منهاج البراعة، ج 2/26.

(2) إبراهيم/5، وهناك عدة آيات في هذا المعنى؛ (البقرة/257، المائدة/16، إبراهيم/1، الطلاق/11).

(3) طه/67.

(4) نهج البلاغة، خ (3)، ج 1/33 - 35.

سَمَاعِ الْخَبَرِ، وَاتِمَامِهِ، وَيَكُونُ مُهَيَّبًا لِقَبُولِهِ فَإِذَا ذُكِرَ ازْدَادَ قُوَّةً، وَتَمَكَّنَا ، وَمَعَ هَذَا التَّقْدِيمِ تَأْتِي الِاسْتِعَارَةُ فِي تَشْبِيهِ أَلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بِالنُّورِ بِجَامِعِ الْهَدَايَةِ فِي كُلِّ وَالظُّلْمَاءِ اسْتِعَارَةُ تَصْرِيحِيهِ أُخْرَى لِلْجَاهِلِيَّةِ بِجَامِعِ عَدَمِ الْإِهْتِدَاءِ، أَنَّهُ سِيَاقُ اسْتِبْدَالِي تَحَقُّقٍ بِالِاسْتِعَارَةِ، وَهُوَ سِيَاقُ انزِيَّاحِي لِعُمُومِ الْمَجَازِ مِنْ بَابِ الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ فَقَطْمَكَ يَسْمِيهِ (كُوهِين) ^(٥).

وَتَتَّبِعُ هَاتَيْنِ الْاسْتِعَارَتَيْنِ ، أُخْرَى ثَالِثَةٌ جَسَمِ الْعُلَيَّاءِ فِيهَا ، فَأَصْبَحَتْ لَهَا ذُرْوَةٌ (وَتَسَنَّمْتُمُ الْعُلَيَّاءَ) ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا بِفَضْلِ أَلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بَعْدَ ذَلِّ الْجَاهِلِيَّةِ وَهَذَا هِيَ ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعُلَيَّاءَ جَاءَ لِبَيَانِ عُلُوِّ كَانَتْ هُمْ ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِمْ .

وَاسْتَحْضَرْتُ تِلْكَ الْاسْتِعَارَاتِ صُورًا مَرْسُومَةً بِالْأَلْوَانِ، وَكُلُّ مِنْهَا غَنِيَةٌ فِي مَكُونَاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ الرَّافِدَةِ لِلنَّصِّ بِشَحْنَةٍ دَلَالِيَّةٍ زَوَّدَتْ الْقَارِئَ بِرُؤْيِيَةٍ عَمِيقَةٍ، وَاضِحَةٍ .

وَفِي قَوْلِهِ (ع): (وَيَدِينَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ) أَيْ دَخَلْتُمْ فِي الْفَجْرِ بَعْدَ لَيْلٍ مُظْلِمٍ فَالسَّرَارُ: اللَّيْلَةُ وَاللَّيْلَتَانِ يَبْتَدِرُ فِيهِمَا الْقَمَرُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَلَا يَظْهَرُ ^(١)، وَهَذَا تَوْكِيدٌ لِمَعْنَى الْأَوَّلِ، فَهَمْ بِمَنْزِلَةِ النُّورِ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

(وَقَرَّ سَمْعٌ) عَاءٌ عَلَى السَّمْعِ الَّذِي لَمْ يَقَعْهُ الْوَاعِيَةُ بِالثِقَلِ وَالصَّمَمِ، وَهَذَا تَمْهِيدٌ لِقَوْلِهِ (ع): (كَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ)، وَهُوَ مَثَلٌ أَرَادَ بِهِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِبْرَةِ الْجَلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِبْرَةِ الضَّعِيفَةِ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ خَرَجَ إِلَى النِّفْيِ؛ أَيْ لَا تَنْتَفِعُ الْعِبْرَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ لَا تَنْتَفِعُ الْعِبْرَةُ الْكَبِيرَةُ .

فَانطَقَ لَهُمُ الْعَجْمَاءُ كِنَايَةً عَنِ بَيَانِ الْحُجَّةِ لِذَلِكَ نَجَدُهُ (ع) يَقُولُ بَعْدَهَا مَبَاشَرَةً: (غَرَبَ رَأْيُ أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي) أَيْ غَبَدَ وَخَابَ ^(٢)، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا إِخْبَارًا أَوْ دَعَاءً، عَلَى حَدِّ قَوْلِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ^(٣)، وَهُوَ إِلَى الْإِخْبَارِ أَقْرَبُ بِمَقْتَضَى السِّيَاقِ، وَلَمَّا يَسْبِقُهَا مِنْ جُمَلِ إِخْبَارِيَّةٍ .

وَوَقَعَ اقْتِبَاسُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) ^(٤)، فِي قَوْلِهِ (ع) لَمْ يَدْجَسَ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، وَأَرَادَ بِهِ: أَنَّ خُفَاهُ عَلَى الْأُمَّةِ، لَا عَلَى نَفْسِهِ، كَخَوْفِ مُوسَى (ع) مِنَ الْفِتْنَةِ وَالشُّبُهَةِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْكُفَّيْنِ عِنْدَ إِقَاءِ السَّحَرَةِ عَصِيْبِهِمْ ^(٥)، وَقَوْلُهُ: (الْيَوْمَ تَوَافَقْتُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ) مِنْ قَوْلِهِ

^(٥) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري ، دار توبقال، المغرب ، ص: ١١١

^(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج/١٧٧ .

^(٢) ينظر: المصدر السابق، ج/١٧٩ .

^(٣) ينظر: المكان نفسه .

^(٤) طه/٦٧ .

^(٥) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج/١٧٩ .

ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي، ج/١٨٦ . وينظر: مجمع البيان ، الطبرسي ، ج/٣٩/٧ .

ينظر: جامع البيان ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ) ، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر ،

بيروت، ١٤١٥هـ، ج/٢٨/٩ .

ينظر: تفسير الجلالين ، السيوطي ، ص: ٤١١ .

تعالى: (وَهَيِّئْ لِنَا ذُخْرًا فَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَضِيبٍ مَاءٍ لَمِيزٍ (٦) أَي: تواقف القوم على الطريق، وقفوا كلهم عليها، واتضح الحق والباطل^(٧)، وقوله (ع): (من وثق بماء لم يظماً) أراد به أن من تبعه اطمأن، وهدى كما يطمئن من أصابه عطش، ومعه الماء .

وتمثل قوله تعالى: (وَقُولِ الدِّينِ أَمْرًا دُونَ ذُلِّ سُورَةٍ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الدِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِصْرًا يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ) (٨)، وقوله تعالى: (أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَوْرًا أُعِيدَ لَهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كَمِثْلَ الْهَيْئَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا فَأَجَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (٩)، في خطبة له في استنفار الناس إلى أهل الشام جاء فيها: ((افأ لكم! لقد بدمت عتابكم، أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذلل من العز خفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دلأ أعينكم كم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الدهول في سكرة، ويتج ع ليك حواري فتعمهن ف كأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي ثقة سجين الليلي، وما أنتم بركن مال بكم، ولا زوافر عر يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كليل ضل عزها ف لأما جمعت من جانب، انتشرت في آخر ..)) (١٠).

خاطب الإمام (ع) أصحابه بعد توائهم، وتقاعسهم، عن رد اعتداءات جند معاوية، وابتدأ كلامه بالتبرم والضجر منهم، وتساءل موبخاً: أرضيتم بالدنيا بدلاً من الآخرة؟ وبالذلل حفاً عن العز؟ بعد أن وصلت بهم سكرتهم إلى الحد الذي يرتج عليهم، فيتحيرون، ويترددون، وكأن قلوبهم مألوسة، أي: دخلها الجنون^(١١)، وهو مجاز عقلي أسند الجنون فيه إلى غير ما هو حقه، فأصبحوا عند الإمام (ع) غير ذي ثقة (سجين الليلي) أي: أيد الدهر، فهم ليسوا بركن يطمئن إليه لا همم بالزوافر: الأنصار^(١٢).

ويوصفهم بالإبل المتفرقة التي غاب عنها صاحبها، أراد القول أنهم أصبحوا كذلك لغياب الصواب عن عقولهم، لقد ارتج عليهم فلا يميزون بين الحق والباطل، أو لأنهم في سكرة، وغمرة، وكلما جهوا من جانب انتشروا من جانب آخر .

النص يزخر بالتشبيهات التي تضع المتلقي أمام صور متحركة واضحة ودمجيء " الكاف " يظهر

التساق مع " الكاف " في الآيتين .

وعند المقارنة بين الآيتين، وقول الإمام (ع): (كأنكم من الموت في غمرة) نجد تقديم الموت في

كلامه، وتأخيره في الآيتين: (المغشي عليه من الموت) و (.. يغشى عليه من الموت)، ويبدو - والله اعلم

(6) البلد/ ١٠ .

(7) ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ١/ ١٧٩ .

(8) محمد/ ٢٠ .

(1) الأحزاب/ ١٩ .

(2) نهج البلاغة ، خ (٣٣)، ج ١/ ٧٨ - ٧٩ .

(3) ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ١/ ١٥٢ .

(4) ينظر: المكان نفسه .

- أن الإمام (ع) قدّم الموت إنّما أراد تقديم البب الذي جعلهم يفضّلون الدنيا على الآخرة، ورضوا بالذلّ عوضاً عن العز، فهم قد نسوا الموت، وتناسوه

إن ترابط الآيتين في النص وتداخلهما للخروج بهذا المعنى التشبيهي الجميل والمعبر يدلّ على مقدرة فنية عالية، منحت قوله (ع) قوّة، وجمالية .

ولا تخفى العلاقة بين قوله تعالى: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِإِذْمِي وَإِذْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)^(٥)، وقوله (ع): (وان كانت تبوء بأثامها) في خطبة له، وقد استظأ أصحابه إذنه في القتال بصفين، فقال: (أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت! فوالله ما أبالي؛ أدخلت إلى الموت، أم خرج الموت إليّ، وأما قولكم شكاً في أهل الشام! فوالله ما دفعت الحرب يوماً، إلا وأنا أطمح أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعضو إلى ضوئي، وذلك أحب إليّ من أن اقتلها على ضلالها، وان كانت تبوء بأثامها)^(١).

وظن البعض أن الإمام (ع) تأخر في إذنه لأصحابه بالقتال كراهة منه للموت ، فبادر (ع) من فوره إلى دحض ظنهم ، فأخذ بعرض أقوالهم والردّ عليها ، أما قولهم أنّ تأخره كراهة الموت ، فكان الردّ عليهم بصورة بيانيّة استعارية بقوله (ع) لا يبالى وسواء عنده أدخل على الموت أم خرج الموت إليه ، أخرج الإمام (ع) الموت من عالم المعنويات إلى عالم المحسوسات ، بهيئة كائن حي له القدرة على الحركة، لوجود إحدى خصائصه ، وهي المقدرة على الخروج .

قدّم دخوله على الموت، قبل خروج الموت إليه ، للدلالة على عدم خوفه من الموت، فجعّل المبادرة له قبل أن تكون من الموت، فكان استخدام الاستعارة هنا استخداماً مبدطاً للغة يزود المتلقي بقدرة عالية للنفاد إلى حقيقة الأشياء .

ويبدو من سياق كلامه (ع) أن للقوم قولاً آخر، يظنون فيه أنّه تأخر - بالإضافة إلى كراهته للموت - شكاً في أمره مع أهل الشام وحريه معهم ، توضح ذلك من قوله: (وأما قولكم شكاً في أهل الشام)، لذلك جاء بالقسم ليقول: (والله ما دفعت الحرب يوماً ...)

ثم ذكر إنّما يفعل ذلك بغية أن تلحق به طائفة من جند معاوية فتهتدي به، فللتأخير ما يبرره عند الإمام (ع) ، والقسم من ضرور الإنشاء الطلبي*، و تكرار القسم يظهر أنّ كلامه مع منكرين، أو مترددين، وعبر عن اهتدائهم بالقول: (وتعضو إلى ضوئي)، ليخرجوا من ظلمة الجهالة إلى نور الحق .

جاء استحضار الآية بصورة غير مباشرة للدلالة على مظلوميته (ع) مع هؤلاء الذين تقوّلوا عليه، وظلموه ، إن حاله معهم كحال (هابيل) مع (قابيل)، إذ ظلمه أخوه ، وبأء بإثمه ، وإثم أخيه، وبهذا

(٥) المائدة/ ٢٩ .

(١) نهج البلاغة، خ(٥٤)، ج ١/ ٩٩-١٠٠ .

* وقد جعله ابن جني ت (٣٩٢) هـ من ضرور الخبر حين قال: " أن القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبراً آخر " .

اللمع في العربية، أبو الفتح ابن جني، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، منشورات الرفاعي، الرياض، ط ٢، ١٩٨٣م ص: ٢٥٥ .

أضفى النصّ القرآني الغائب الحاضر أجواءً داخليةً وخارجيةً ساهمت في إذكاء دلالية النصّ بما يمتلكه من غنى وثراء دلالي.

وقال واعظاً في إحدى خطبه: ((. فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم ، فأثما قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة ، والتشاغل عن الموعظة ، ولا ترخصوا لأنفسكم ! فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ، ولا تدأفوا في هجم بكم الإدهان على المصيبة.))^(٢)

بدأت الخطبة بالنصح ، والإرشاد تارة، وبالأمْر أُخرى: (الله الله أيها الناس) ، (فاستدركوا بقية أيامكم) ، (عباد الله) ، (اعلموا أن يسير الرياء شرك) ، (جانبوا الكذب) ، (لا تحاسدوا) ، وشكّل الاقتباس واحداً منها، فاستهلّ به (فاصبروا لها أنفسكم) ، ولم يقل: (صبروا) ، أو (عليها) عوضاً من (لها) ، وعند الرجوع إلى قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَاةِ وَالْعَنِيِّ يَرْجُونَ وَجْهَهُ) ^(١) ، ندرك أنه من الواضح البين أن ثمة تشابهاً ظاهرياً بين الآية، والمعنى المُقتبس، وندرك قوله (ع): (صبروا لها) بدلاً من (صبروا عليها) ، فالأيام متحركة، وليست ثابتة، فلا يصحّ التصبّر عليها، بل لها ، لتكون معها في دورة الزمن بمرضاة الله، وحتى لا نكون في غفلة وتشاغل حينئذ نرخص لأنفسنا، فنقودنا - تذهب بنا - إلى مسالك الضلال .

وقوله (ع): (ولا تدأفوا في هجم بكم الإدهان على المصيبة) يرتبط بعلاقة تناص مع قوله تعالى: (وَأُولَئِكَ لَوْ تَوَدَّعْنَ فِي نُفُوسِنَّ) ^(٢) فالأمر بتركه مأخوذ من قوله تعالى انف الذكر ، والمداهنة؛ هي النفاق ، والمصانعة ، وهو باب من أبواب المعصية المنهي عنه، فجاء تعبيره بالمجاز عبر استعارة مكنية تظهر المداهنة إلى حيّز الوجود المادي ، من خلال فعلها (تهجم بكم) وأراد به الإمام (ع) ، (تدفعكم دفعا) عنوة ، نحو المعصية .

وقال (ع) متحدثاً عن رسول الله (ص وآله): ((بَعَثَ مُحَمَّدًا لِحَيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالْهَوَسْلَامَ بِالْحَقِّ لِخُرْجِ عِبَادِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى جِدَّتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقِرَانِ قَدْنَبِيِّ وَأَحْكَمِهِ لِيُعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَّوهُ ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكُرُوهُ ، فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ ، هَذَا أَرَاهُمْ مِنْ قُرْتَبِهِ ، وَخَفَّوهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مِنْ مَحَقِّ الْمَثَلَاتِ ، وَاحْتَصَدَّ مِنْ لِحْتَصَدِّ بِالنَّقِمَاتِ)) ^(٣) ، في النصّ مُعادلتان تقودان إلى قوله تعالى: (لِرِ كِتَابٍ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ^(٤) ، الغاية من مبعث الرسول المصطفى إخراج الناس من ظلمات الجاهلية ، وعبادة الأوثان ، إلى نور الإسلام وعبادة الرحمن ، وتلك معادلة بين (الظلمات والنور) ، و(الجاهلية

(2) نهج البلاغة، خ، (٨٢)، ج ١/ ١٤٨ .

(1) الكهف/ ٢٨ .

(2) القلم/ ٩ .

(3) نهج البلاغة، خ (١٤٢)، ج ٢/ ٤٠-٤١ .

(4) إبراهيم/ ١ .

والإسلام) ، و(الشيطان والرحمن) ، إن معرفة الله تعني الدخول في طاعته، وجوده يعني الخروج منها والدخول في ساحة الشيطان

وقوله(ع): (فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراه م من قدرته) وهذه إشارة تناصية تحيل إلى قوله تعالى: (سَدُّ رِيحِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أُنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَٰمِ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^(٥).

وخوفهم من سطوته بالآيات الزاجرات، وبما أراه م من محق الكافرين وديارهم بالعقوبات، وأراد بالمثلات: العقوبات^(٦)، ربطت الآية بين ما تقدم عليها، وما تأخر، ربطاً فنياً حين ألق اضاءاتٍها على النص، لتصبح العلاقة بين مفردات النص، والتوجه بها إلى معنى واحد هو بيان عظمة دور الرسول(ص وآله) .

" وتتنامى الفكرة في ذهن قائلها ثم يتقن صاحبها في وسيلة إعلانها إلى الناس، ويقدر ما يوافق بين مدلول الفكرة، ومستوى المتلقي، تكون الفكرة واضحة مقبولة، ويخلاف ذلك تكون غامضة، وغير مفيدة"^(١)، هنا ندرك استعانة المبدع بوسائل شتى لتسليح له إيصال، ما يريده إلى المتلقين، وهذا ما فعله الإمام(ع) بالافتباسات غير المباشرة لآي من القرآن الكريم .

وفي خطبة له قال: ((مُرْفُضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ اللَّاهِمُ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا تَأْخُذُ، وَتَعْطِي ، وَعَلَىٰ مَا تَعَافِي وَتَبْتَلِي ؛ هَدَاً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدَ لَكَ ، وَأَحَبَّ الْحَمْدَ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدَ عِنْدَكَ ، هَدَاً يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ ؛ هَدَاً لِأُحْجِبُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ ، هَدَاً لَا يَنْقَطِعُ عُدُّهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ ظَمْتِكَ ، إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ وَلَمْ يَدْركْ بَصْرٌ ، أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَارُ ، وَأَخَذْتَ بِاللِّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ...))^(٢).

بلباسٍ بديعيٍّ مُتنوع، خرج النصُّ زاخراً بالافتباسات القرآنية، قد يكون من اليسير إحالة بعضها إلى وجعياتها في الاقتباس أحياناً، ومن العسير في غيرها أحياناً أخرى .

عند قراءة النص يتذكر المتلقي قوله تعاللي: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)^(٣)، وقوله تعالى: (لَا تَرْكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَرْكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّاطِيفُ الْخَبِيرُ)^(٤)، وقوله تعالى: (إِنَّا

(٥) فصلت/ ٥٣ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد، ج٩/١٤٧، وينظر: شرح محمد عبدة، ج٢/٤١

(١) من الأدب والبيان، د. محمد بركات، حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م، ص: ٢٥ .

(٢) نهج البلاغة، خ٢(١٥٥) ج١/٧٠-٧١ .

(٣) البقرة/ ٢٥٥ .

(٤) الأنعام/ ١٠٣ .

نَعْنُ نَحْدِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَتُّوْا وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ فِي إِمْلَامٍ مُّبِينٍ (٥)، و (يُعْفُ الْمَجْرِمُونَ بِسَيِّئِهِمْ مَا فِي وَحْدِ النَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) (٦).

يُدرِكُ المتلقي عند قراءة الآيات، إنها تتكلم عن قدرة الله، وصفاته بصيغة الغائب: (هو الحي)، لا تأخذه، (لا تتركه)، إلا قوله تعالى: (أحصيناها) و (أخذ بالنواصي) في حين يأتي النص بصيغة المخاطب (أنتك حي في يوم)، (لا تأخذك سنة ولا نوم)، (لم ينته إليك نظر)، (لم يدركك بصر)، (أدركت الأبصار)، (أحصيت الأعمال)، (أخذت بالنواصي والأقدام).

لعل السبب يعود إلى افتتاح الخطبة بالدعاء، والثناء، والذي يتطلب خطاباً مباشراً مع الله جلّ علاه، ليس الكلام (عن الله) كما في الآيات، أنه كلام (مع الله) ما جعل تلك الاقتباسات منسجمة معنويًا، وسياقيًا مع النص، لقوله (ع): (لك الحمد، أَرْضَى الحمد لك، الحمد إليك، الحمد عندك، ما أردت يوجب عنك، دونك، عظمتك، ...).

ويحس المتلقي بالالتفات من (الغيبية): (أمه رُضاء) إلى الحاضر: (اللهم لك)، والذي تمثل بالدعاء المباشر، بشوقٍ دفع الإمام (ع) للعدول من الحديث عن الله إلى الحديث معه. وقوله: (وأخذت بالنواصي والأقدام) إشارة منه (ع) إلى بيان فضل الله، ورحمته، وعنايته بسائر مخلوقاته، فهو جلّ علاه أخذ بنواصي الجميع*.

لقد نجح الإمام (ع) في جمع الآيات في نسيجٍ فنيٍّ دالٍّ أخاذٍ، بموسيقاه، مما يترك الأثر في نفس المتلقي بجو عرفاني، مع ما في النص من ومضات فكرية تلوح في قوله (ع): (لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر) من قوله تعالى: (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١)، إلا أنه (ع) قدم (عدم درك الأبصار) له على (درك الله الأبصار) كما في الآية، وأورد المعنى الأول في صيغتين مترادفتين دلالة على التوكيد فيما يبدو.

وكذلك الأمر في خطبة له (ع) في الكوفة، وهو قائم على حجارة نصيبها له (جعدة بن هبيرة) المخزومي، وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف، وكأَنَّ جبينه ثفنة بعير، ومما جاء فيها بعد حمد الله، والثناء عليه: ((لم يولد ببحانه فيكون في العز مشاركا، ولم يلد فيكون مؤثماً هالكاً، ولم يتقنه

(٥) يس/١٢.

(٦) الرحمن/٤١.

* قال الخوئي، قوله (ع): (وأخذت بالنواصي والأقدام) إشارة إلى قوله عز وجل: (يعرف المجرمون سيماهم) يفؤخذ بالنواصي والأقدام). الرحمن/٤١. وأشار التستري إلى أنه إشارة إلى قوله تعالى: (ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم). هود/٥٦. ويبدو أن إشارة التستري أقرب إلى الصواب، لأن كلامه (ع) في معرض استظهار رحمة الله، وفضله وهذا ما يتلأم مع الآية الثانية.

ينظر: منهاج البراعة، ج٧/٣٦.

وينظر: نهج الصباغة، التستري، ج١/٣٧٨.

(١) الأنعام/١٠٣.

وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة، لا نقصان، لي ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير القن، والقضاء المبرم، ومن شواهد خلق السموات موطنات بلا عمد، قائمات بلا سند هاهن فأجبن طائعات، مذعنات، غير متلكنات، ولا مبطنات، ولولا إقران له بالروبيية واذعانهن بالبط واعية لما جعلهن موضعاً لعرشه، ولا مسكناً لملكه ولا مصعداً للطييب، والعمل الصالح من خلقه^(١).

وكما في النص السابق، إذ بمجرد الانتهاء من قراءة النص أو سماعه تتراءى للمتلقى الآيات المباركات التي استقى منها الإمام (ع) اقتباساته كقوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)^(٢)، وقوله تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعْدَ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَتَنْبِتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَبَاتٍ وَأَتَوْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)^(٣)، (وَأَسْرَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ كُحَانٌ فَعَالَ لَهُ الْوَالِدُ الْأَرْضِ أَنْتَ يَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَلِيلاً أَتَيْنَا طَائِعِينَ)^(٤)، وقوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)^(٥).

قوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) جاء بها الإمام (ع) ليصل إلى نتيجتين هما: إن الله لم يولد، لذلك لم يشاركه بالعز أحد، إذ لم يسبقه بالوجود أحد، وإنه جل علاه لم يلد، لذلك لم يكن موروثاً من قبل من ولد* وهاتان حقيقتان تقودان إلى نتيجتين هما: إن الله لم يسبق بالوجود وإنه ليس بهالك، لذا أعقب كلامه بقوله: (ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان).

وقوله (ع): (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) مما أرانا من علامات التدبير القن فيه إشارة خفية إلى معنى قوله تعالى: (سَدْرُ رَبِّهِمْ آيَاتٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أُنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَئِكَ يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَطَى كُلَّ شَيْءٍ شَهِيداً)^(٦).

ويجري التغيير أحياناً في صيغة الجمع إلى المفرد، أو العكس بحسب مقتضى الحال، كقوله (ع): (وَإِذَا حُيِّتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَأْفِهَا بِمَا يَرْبِي عَلَيْهَا، وَالْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي)^(٧)، الآية المباركة بصيغة الجمع: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَطَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)^(٨)، ولأن الكلام موجّه لابنه الحسن (ع) أجرى الآية - بعد اقتباسها - بصيغة المفرد، لتتنسج مع سياق المقال.

(2) نهج البلاغة، خ (١٧٧)، ج ٢/١٢٥-١٢٦.

(3) الإخلاص/٣.

(4) لقمان/١٠.

(1) فصلت/١١.

(2) فاطر/١٠.

* أشار إلى هذا المعنى في موضع آخر في نهج البلاغة

ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٣/٦٣.

(3) فصلت/٥٣.

(4) نهج البلاغة، حكمة (٦٠) ج ٣/٦٢.

(5) النساء/٨٦.

وتتنشظى عملية الاقتباس إلى لُجج متناثرة، يقود جمعُها إلى الجذر القرآني الذي انبثقت منها، كما في قوله (ع) في وصية له لابنه الحسن (ع) بعد انصرافه من صفين: ((..واعلم أنك إنما خلقت للأخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة، وإنك طريد الموت الذي لا نجو هارده، ولا يفوت طالبه، ولا بدُّ أنه مدركه، فكن منه على حذر إن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك، وبين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك))^(٦).

قوله تعالى: (إِنَّمَا تَكُونُوا بِرُكْبِكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرْجٍ مَّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَا يُكُونُونَ بِهَا مِنْ حَيْثُ) (٧)، توزع في قوله (ع) : (وإنك طريد الموت + لا ينجو هارده + لا يفوت طالبه) ، لأنه مدركه، والضَّمير (الهاء) يعود إلى الموت في (هاربه، طالبه، أنه) ومجموع هذا كله يوصل إلى (درككم الموت) ، وهي جميعها متفرعة من الكلمة القرآنية (درككم) ، لأن كلمة (درك) تتضمن (طارده) ومن ثم لا ينجو هارده ولا يفوته طالبه ولا بدُّ أنه مدركه .

ونجد أصداء قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْتَمُونَ)^(١)، وقوله تعالى: (إِن يَسْأَلُكُمْ قَوْمٌ قَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ وَذَلِكَ الْأَيَّامُ نَدْوَاهُمْ أَيْنَ النَّاسِ وَلِيَطْلُمَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَدُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ هَوَالًا لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(٢)، في قوله (ع) لعبد الله بن عباس: ((أما بعد، فأنتك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، وإن الدنيا دار نول فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم دفعه بقوتك))^(٣).

(وتلك الأيام ندولها بين الناس) تعبير قرآني، والتعبير المقابل لها بعد الاقتباس (وإن الدنيا دار نوله) لاحظ فارق بينهما هو (الأيام) التي حلَّ مطَّها (الدنيا) ولا فارق بين المعنى في ذهن السامع، وإن كان التعبير القرآني لا يرقى إليه أيُّ كلام .

(٦) نهج البلاغة، (٣١) ج ٣/٥٤-٥٥ .

(٧) النساء/٧٨ .

(١) الأعراف/٣٤ .

(٢) آل عمران/١٤٠ .

(٣) نهج البلاغة، ك(٧٢)، ج ٣/١٤٦ .

جَاهِزِيَّةُ الْجَمَلِ - أَلْفَرَقَةُ - يَرْوِيهَا الرَّبِيعِيُّ (المعنوي) .

يَتَقَرَّدُ الِاقْتِبَاسُ فِي هَذَا النُّوعِ بِخِصِيصَةِ التَّعَالُقِ المَعْنَوِيِّ بَيْنَ النِّصِّ القُرْآنِيِّ، وَالنِّصِّ النِّهْجِيِّ، فَيَصْبِحُ مِنَ العَبِيرِ عَلَى المَتَلْقَى أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَهُمَا، أَوْ الرُّجُوعِ إِلَى المَوْرَدِ القُرْآنِيِّ الَّذِي اسْتَدْقَى مِنْهُ الإِمَامُ، فَيَغْدُو غَائِبًا فِي شَكْلِهِ، حَاضِرًا فِي مَعْنَاهُ.

وَهُوَ بِمِثَابَةِ اسْتِجْلَابَاتِ لِمَعَانِي النُّصُوصِ بِصُورَةٍ مَقْصُودَةٍ أَوْ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ ، وَهُوَ تَأْتِرُ بِالمَحْفُوظِ القُرْآنِيِّ وَيَأْخُذُ بَعْدًا يَتَجَاوَزُ فِيهِ الِاقْتِبَاسُ الإِشَارِي لِأَنَّ (الِاقْتِبَاسَ الإِشَارِي) مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ [أَوْ النَّاثِرُ] ، مِنْ الآيَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْتَزِمَ بِلَفْظِهَا وَتَرْكِييْبِهَا ، أَوْ هُوَ مِمَّا عُرِفَ فِيهِ أَنَّ الشَّاعِرَ [أَوْ النَّاثِرِيَّ] شِيرَ إِلَى آيَةٍ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ^(١) ، أَمَا المَعْنَوِي فَيَذْهَبُ إِلَى أَعْدٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَعَلَّقُ بِالمَعْنَى فَقَطْ وَعُرِفَ هَذَا اللُّونُ مِنَ الِاقْتِبَاسِ ، وَأُفْرِدَتْ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ عِنْدَ كِبَارِ العُلَمَاءِ وَمِنْذُ عَهْدِ مُبَكَّرٍ^(٢)، وَلَمَّا جَوَّزَ بَعْضُ البَلَاغِيْنَ التَّغْيِيرَ فِي المُقْتَبَسِ أَوْ نَقَلَهُ عَنِ مَعْنَاهُ الوَارِدِ فِيهِ^(٣)، عُدَّ هَذَا اللُّونُ مِنَ الِاقْتِبَاسِ صِدَاقًا مِنْ مَصَادِيقِ الِاقْتِبَاسِ ، وَلِيُجِزَّ هَذَا النُّوعُ فِي النُّصُوصِ بِسَهُولَةٍ، وَيَسِرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يَعْكَسُ صَعُوبَةَ الإِمْسَاكِ بِهِ فِي أَحْيَائِنَ كَثِيرَةٍ، نَتِيجَةً

فِي بِنِيَةِ النِّصِّ، وَإِنْ كَانَتْ بِمِثَابَةِ مَنَارَاتٍ مُضِيئَةٍ وَكَاشِفَةٍ عَنِ مَعَانِي النِّصِّ، وَدَلَالَاتِهِ

(١) مَعْجَمُ آيَاتِ الِاقْتِبَاسِ، ص: ١٩ .

(٢) يَنْظُرُ: مَعْجَمُ المِصْطَلَحَاتِ البَلَاغِيَّةِ، وَتَطَوُّرِهَا، مَادَّةُ (اقْتِبَاسٍ) .

وَيُعَدُّ كِتَابُ " الِاقْتِبَاسِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ " لِلتَّعَالِبِيِّ ، مِنْ أَعْدَمِ المِصْنَفَاتِ الَّتِي أُفْرِدَتْ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الِاقْتِبَاسِ .

وَمِنْ المَوْفَلَاتِ الحَدِيثَةِ نَجِدُ أَنَّ البَاحِثَ أَحْمَدَ غَنِيمَ تَتَاوَلُ فِي جَانِبِ مِنْ دِرَاسَةٍ - عُنَاوَرِ الإِبْدَاعِ الفَنِيِّ فِي

شِعْرِ أَحْمَدِ مَطْرَ - هَذَا اللُّونُ مِنَ الِاقْتِبَاسِ وَخِصَّصَ لَهُ مَسَاحَةً مَلْحُوظَةً .

يَنْظُرُ: عُنَاوَرِ الإِبْدَاعِ الفَنِيِّ فِي شِعْرِ أَحْمَدِ مَطْرَ، كَمَالِ أَحْمَدِ غَنِيمِ ، مَطْبَعَةُ سِتَارَةِ ، قَم، ٢٠٠٤م

(٣) جَوَّزَ ابْنُ الأَثِيرِ أَخَذَ مَعْنَى وَالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَالخَبَرِ، فَيُكْسَى لَفْظًا غَيْرَ لَفْظِهِ،

يَنْظُرُ: المِثَلُ السَّائِرُ، ج/١-٢٢٢-٢٤٢ .

نصوص (النهج) كثيرا ما استضافت المعاني القرآنية، وكثيرا ما نجد النصوص (النهجية) تدور في فلك تلك المعاني، أو تكون هي محورا لها، فللقران امتداداته المعنوية الكثيرة في كلام الإمام (ع)، مما يجعل الإحاطة بها أمرا عسيرا فيضطر الباحثون إلى الإشارة لما تيسر من نماذجه .

ومن نماذج هذا اللون من الاقتباس، قوله (ع) في إحدى خطبه: ((لَمْ يَدْخُلْ سُبْحَانَهُ فَهَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ تُرْسَلُ لِقَدْصٍ بِهِمْ قَدَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةَ الْمَكْدِبِينَ لَهُمْ))، من سابق سمعنا... (٤)، إذ استوحى (ع) معنى قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (٥)، والمعنى واضح وجلي، فالنبي المرسل هو النذير كما في الآية المباركة، ويأتي بكتاب منزل وحجة لازمة، ومحجة قائمة، وأولئك الأنبياء لا يؤثرون بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم .

وقوله (ع): (من سابق سمى له من بعده) تضمن معنى قوله تعالى: (... وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَدْيِ اسْمِهِ أَحْمَدٌ...) (١)، وقد تكرر ذكر مبعث الرسول المصطفى في كلام الإمام (ع) في نصوص النهج (٢).

على ذلك سلفت القرون، ومضت الدهور، وسلف الآباء، ولحق الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمداً (ص وآله) لإنجاز عده، وتماخذه، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣)، وقوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَظِيمًا) (٤)،

هذا النبي الذي يعرف النبيون أمره، وبمات به، ونصوا أولئك الرسل والأنبياء أرسلهم الله حتى لا تكون للناس على الله حجة "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل" (٥)، وفي ذلك دلالة على عظيم عناية الله بالعباد، ورحمته بهم .

واستحضر معنى قوله تعالى: (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم...) (٦)، في خطبة له (ع) يصف فيها من يتصدى للحكم بين الأمة، وليس لذلك أهل فقال: ((إِنَّ ابْغَضَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ رِجَالانَ: رَجُلٌ وَهُوَ

(٤) نهج البلاغة، خ (١) ج ١٨/١ - ١٩ .

(٥) فاطر/ ٢٤ .

(٦) الصف/ ٦ .

(٢) ينظر: خ (٣٢) ج ٧٧، خ (٨٥) ج ١٥٥، خ (٩١) ج ٨٦، خ (١٠١) ج ٢٠٠، خ (١٩١)

ج ٩٥، خ (٢٠٨) ج ٢/ ٢١٩ .

(٣) المائدة/ ١٩ .

(٤) الأحزاب/ ٤٠ .

(٥) النساء/ ١٦٥ .

(٦) العنكبوت/ ١٣ .

الله إلى نفسه فهو جائر في قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حلاته، وبعد فاتته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيته...)) (٧).

من وآله الله إلى نفسه: أي تركه ونفسه^(٨)، خرج من ساحة رحمة الله فيصبح جائراً: (ضال عادل عن الطريق)^(٩)، مشغوفاً بكلام بدعة، من دعاة الضلال وفتنة لمن اقتدى به، بعد أن ضلّ، وهوى عن هدي من سبقه سيكون مضلاً لمن اقتدى به، فيدخل في مصداق قول الرسول (ص وآله): ((من سن سنة حسنة لفتها أهلها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعمله و هو ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة))^(١٠)، لذلك فهو - هذا المضل - سيكون (حمال) خطايا غيره، وصيغة المبالغة (عالم) تدل على كثرة ما يحمله من ذنوب، باعتبار تزايد ما ستحمل من ذنوب الناس الذين ضلوا بسببه، كما إنها - صيغة المبالغة - تحمل من التوكيد، كما في الآية حيث نجد " وليحملن " المؤكدة بالنون الثقيلة .

وهذا المعنى يعود بنا إلى الآية المشار إليها، والى قوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم م بغير علم ألا ساء ما يزرون)^(١١).

أعطت الآية حقيقة هي أن هؤلاء يحملون أوزاراً فوق أوزارهم، وكلامه (ع) أوصلنا إلى هذه الحقيقة، بعد أن بين مفقدها، فالإنسان إذا خرج عن طريق الهداية، واقتفى أثراً معوجاً، وتبعه بعض الناس، سيتحمل أوزارهم .

وفي قوله (ع): ((إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى لبسوا ملحتهم، وليدعهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم، أما والله إن كنت لفي ساقته، حتى ولت بحذاقيرها، ما ضعفت ولا جبننت، وإن ميروني هذا لقطها؛ فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من ملئي، ولقريش، لقد قاتلتهم م كافرين، ولاقات لهم م مقتونين))^(١٢).

نجد معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ م يَعْلَمُونَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُم م الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)^(١٣)، يطالعنا في مستهل النص الذي تكلم فيه عن بعثة النبي (ص وآله)^(١٤).

(7) نهج البلاغة، خ (١٦)، ج/ ٤٧ .

(8) شرح ابن أبي الحديد، ج ١/ ٢٤٠ .

(9) المكان نفسه .

(10) ورد الحديث الشريف بصيغ عدة، ينظر:

بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي ت (١١١١) هـ، مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ٦٨/ ٢٥٧ .
صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦) هـ، دار الفكر، بيروت، عن طبعة بالأوفست صادرة عن دار الطباعة العامرة، استنبول، ١٩٨١ م، ج ٨/ ١٥١ .

مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل ت (٢٤١) هـ، دار صادر، بيروت، (د.ت) ج ٢/ ٥٠٥ .

(2) النحل/ ٢٥

(3) نهج البلاغة، خ (٣٢) ج ١/ ٧٧ .

(4) الجمعة/ ٢ .

وفي نهاية النص اقتبس معنى قوله: (لِي تَنْفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَمُغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَلِيُّ مِمَّا تَصِفُونَ)^(١)، فضمنه قوله: (فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه)، صاغ المعنى القرآني في جملة فعلية، هيمنت فيها الأصوات الشديدة والقوية التي تعبر عن انفعال شعوري، يعتمر قلب الإمام (ع)، وينم عن غضب وتصميم على دحر الظلم، والانتصار للحق، وإخراجه من بطن الباطل الذي شبهه بحيوان ابتلع جوهرًا ثمينا أعز منه قيمة وأتم فايدفأحتجيج إلى شق طننه في استخلاص ما ابتلع^(١).

ومن الواضح أن ثمة سمة استرجاعية في استعارة الإمام (ع) هذه تمثلت في إعادة تشكيل استعارات مسبقة في القرآن الكريم، في الآية المذكورة أن الله قوي قادر ف ضرب الباطل بالحق فزحق والإمام (ع) سعى جاهدا لإنقاذ الحق بقوله: (لأنقبن) وسياق كلام الإمام (ع) وحي إلى ضياع الحق وقيام الباطل، وفي هذا التعبير إشارة جلية لما عليه الناس من فتن واضطراب حتى أنهم لم يعودوا قادرين على رؤية الحق وأتباعه، مما اضطر الإمام (ع) إلى إخراجه وإظهاره إلى الناس ليلقي الحجة عليهم .

نحن إذن أمام استعارة " تناصية " لارتباطها بالاستعارة القرآنية تصوير استعاري يدهش المتلقي ويستوقفه طويلا، ويمنحه المقدرة على تخيل صور يكاد يراها، أنه تصوير نابض بالدلالة، حين جسم ما خفي ودق، وأخرجه إلى عالم الوجود، وحوّل المعنى الذهني إلى مدرك مادي^(٢).

حمل التصوير الاستعاري دلالات عدة، منها إظهار الباطل بصورة حيوانية، وأخرى تظهر قيمة الحق عند الإمام (ع) فأستدعى ذلك خوض غمار الحرب من أجله، وثالثة تبيّن المشقة والمعاناة التي واجهها الإمام (ع) في إخراجه، وإقراره وتثبيتته، ورابعة تظهِر علو الباطل، وطغيانه، واستتار الحق للدلالة على

(5) وينظر أيضا: نهج البلاغة، خ/١٤٠، ج/٣٦، خ/١٤٣، ج/٤٠، خ/١٥٣، ج/٢٦٩، (١٥٥) ج

٧١/٢، خ/١٥٦، ج/٧٧، خ/١٦٤، ج/٩٩، خ/١٦٨، ج/١٠٤، ك/٦٢، ج/١٣٠/٣ .

(6) الأنبياء/١٨ .

(1) شرح ابن ميثم البحراني، ج/١/٢٦٦ .

(2) وله (ع) تصوير استعاري آخر جسم فيه الباطل، وهو قوله: ((الدافع جيشات الباطل)) وقوله ((ولقد ضربت أنف

هذا الأمر ويجذاه))، ينظر: نهج البلاغة، خ/٤٩، ج/٩٥، خ/٦٦، ج/١٣٩/٣ .

ويرى صاحب (شرح نهج البلاغة) إنها كناية " أراد بها (ع) أنه سيقاقل أهل الباطل حتى يهتدوا إلى ما هو عليه من الحق وبذلك يموت الباطل، ويتخلص الحق مما يشوبه من هذا الباطل " .

شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي، بيروت، دار الرسول، والمحجة البيضاء، ١٤١٨ هـ، ج/١٨٦/٢

كثرة الفتن التي واجهها الإمام (ع) آنذاك^(٣) مع قريش، بدليل قوله (ع): (مالي ولقريش)، وهو استفهام على سبيل الإنكار لما بينه وبينهم مليمٌ وجب الاختلاف، وجدد فضيلته، وحسم لأعدائهم في حربه^(٤).
أراد القول أن الباطل امتزج مع الحق، فأستتر وضاع، وهنا تكون الشبهة، عند التباس الحق بالباطل تختلط الأمور على الناس، وينخدعوا بكل ناعقٍ وضليل، حين يختلط الحق بالباطل يسهل خداع الناس، مما دعا الإمام (ع) إلى التنبيه على هذا الأمر مرارا في كلامه^(١)، وأكد هذا الأمر بقوله: (وإنما سُميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق)^(٢).

وله (ع) قولٌ آخر ضمّنه معنى قرآنياً، فنلمح فيه صداه، حيث قال: ((فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه))^(٣)، حملت هذا المعنى عدة آيات مباركات كقوله تعالى: ((أَيُّهَا تَكُونُوا يَتْرِكْكُمْ الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيَّةٍ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَلَأَ هُلَاءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَبْلَ الْبُرُوجِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ (٤))، وقوله تعالى: ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ وَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥))، كل أمريء لاقٍ ما يفر منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته^(٦)، والأجل جنة حصينة^(٧)، هكذا هي فلسفة الموت عند علي (ع) لا الخوف يُنجي منه ولا التقرب إليه يمنح البقاء، فالهروب منه هو رُوبٌ إليه، لا بروج تمنعه، ولا حصون، ويتسأل إليهم دون مانعٍ له إلا الأجل، وهونعٌ إلى حين .

تصدّرت النصّ جملتان منفيّتان: (ما ينج) ، (لا يعطى) ، فأصبحتا جملتين منفيّتين ، توحد فيهما السجع، والطباق في المفردتين: (خافه) و(أحبه)، فنتج عن ذلك التوحد، والتلازم تمام المعنى، والتناغم الصوتي، وفّر متعة مضافةً تمثّلت في وضوح المعنى، وسلامة العبارة .

(٣) في قوله (ع): ((فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ))، يرى التستري في تفسيره إنها فتنة الجمل، ووصفين والنهروان، ويرى الراوندي

إنها استعارة لفتنة الجمل، ويرى السيد حسين الشيرازي إنها استعارة أراد بها فتنة الخوارج.

ينظر: بهج الصباغة، للتستري، ج ٣٧٢/٥ . وينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج ٤٢٤/٢.

وينظر: توضيح نهج البلاغة، حسين الشيرازي، دار تراث الشيعة، طهران، (د.ت)، ج ٩٤/٢.

(٤) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢٦٦/١ .

(١) قال (ع): ((فلو أن الباطل خلص على مزاج الحق لم يَخَفْ عَلَى الْمُتَرَدِّينَ ...)) .

ينظر: نهج البلاغة، خ (٤٩)، ج ٩٥/٥ .

(٢) ينظر: نهج البلاغة، خ (٣٧)، ج ٨٥/١ .

(٣) المكان نفسه .

(٤) النساء/ ٧٨ .

(٥) الأعراف/ ٣٤ .

(٦) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٤٥)، ج ٤٥/٢ .

(٧) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٢٠)، ج ٥/٢ - ٦ .

ولا تخفي الصلة بين قوله تعالى: (مَا عِنْتُمْ يَدٌ فَدُومًا عِنْدَ اللَّهِ بَلَىٰ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَوَّرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٨)، وقوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا آتَيْنَاهَا مِنْ رَبِّهَا رِزْقًا وَإِنَّا لَوَاقِعُونَ)^(٩) من جهة، وقوله (ع): ((الحمد لله الذي لا يفلح من لا يفلح))^(١٠) والجمود، ولا يكديه

الإعطاء والجود إذ كل معطٍ مُعْطَصٍ سِوَاهُ، وكلُّ مانعٍ مَذْمُومٍ ما خَلَاهُ، وهو المَلْفُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمِ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ، ضَمُّنُ أَرْزَاقِهِمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِيَيْنِ إِلَى الْوَالِدِ بَيْنَ مَا لَدَيْهِ^(١١). (لا يفقره للع) (لا يزيد في ماله المنع)^(١٢) ولا يكره الإعطاء: (لا يفقره ولا ينفد ظننه)^(١٣)، و(كل معطٍ مُنْتَقَصٍ سِوَاهُ)، و(كل مانعٍ مَذْمُومٍ ما خَلَاهُ)، (سِوَاهُ، ما خَلَاهُ) أداتان استثنائيتان مُتَّصِلَتَانِ بِالضَّمِيرِ الْعَائِدِ لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَالْجُمْلَةُ لِقَوْلِهِ (لَا يَفْلُحُ مَنْ لَا يَفْلُحُ) أي ليس منعه بخلاً فيستحق الذم، بل حكمة فيستحق الحمد أيضاً لأنه منع ظاهر، وأعطى في الحقيقة والمعنى "ولو بسط ال رزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل في در ما يشاء الله بعباده خبير بصير"^(١٤).

والخبر (المنان) صيغة مبالغة للدلالة على كثرة المن على العباد، مع كثرة عطائه لعباده لا يفقر ولا تنقص خزائنه "وما عندكم نفع وما عند الله باق"، تتجلى عظمة خزائن الله، بعدم نفاذها مع كل هذا المن والعطاء والجود للخلائق، والكائنات مع كثرة عياله "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها، ومستودعها كل في كتاب مبين"

ويرى ابن أبي الحديد أن قوله (ع): ((اللهم أيما عبدٍ من عبادك سمع قاتنا العادلة غير الجائرة، والأصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا، فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك والإبطاء عن إعزاز دينك، فأنا نستشهدك عليه يا أكثر الشاهدين شهادةً، ونستشهد عليه جميع من أسكفت أرضك وسمواتك ثم أنت بعده الغني عن نصو، والآخذ له بشبهه...))^(١٥).

قريب من قوله تعالى: (... وَإِنْ تَوَلَّوْا يَدْبُلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)^(١٦)، قال (ع) : ((ثم أنت بعده المغني عن نصره))^(١٧)، والأظهر من ذلك الصلة بين قوله تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)^(١٨)، وقوله (ع): (إنا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادةً) .

(8) النحل/٩٦ .

(9) هود/٦ .

(10) نهج البلاغة، خ(٨٧)، ج/١٥٩ .

(1) شرح ابن أبي الحديد، ج/١١٧/٦ . وينظر: منهاج البراعة، للخواي، ج/٢٨٨/٦. وينظر: في ظلال نهج البلاغة، ج/٦/٢ .

(2) المكان نفسه . وفي رواية (الراوندي): ((لا يضرو المنع)). منهاج البراعة، للراوندي، ج/٣٧٨/١ .

(3) نهج الصباغة، التستري، ج/٢٠١-٢٠٢ .

(4) نهج البلاغة، خ(٢٠٧) ج/٢١٩/٢ .

(5) محمد/٣٨ .

(6) شرح ابن أبي الحديد، ج/٢١٩ .

(7) الأنعام/١٩ .

لقد تَمَّظَر النَّصَّ بِأَسْلُوبِ الدَّعَاءِ الْإِنشَائِيِّ الْمَطَّلِّ عَلَى الْمُتَلَقِّي بِالدَّعَاءِ (اللَّهُمَّ)، وَبِهِ يَدْعُو الْإِمَامَ (ع) بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْ نَصْرَةِ كُلِّ مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) وَأَبَى إِلَّا النُّكُوصَ: التَّأخَّرَ^(٨)، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ أَكْبَرُ الشَّاهِدِينَ، وَاشْجَعَمِيعَ مَا اسْكَنَهُ اللهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ .

إِنَّ اسْتِحْضَارَ الْأَسْمِ الْمَوْصُولِ " مَا " (جَمِيعَ مَا اسْكَنَتْهُ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَمُولِ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ مِنْ كَائِنَاتٍ حَيَّةٍ وَجَمَادَاتٍ بِالشَّهَادَةِ، وَلَوْ قَالَ (مَنْ اسْكَنَتْهُ) لاسْتَوْجَبَ ذَلِكَ تَخْصِيسَ الْعَاقِلِ دُونَ سِوَاهُ، أَرَادَ الْإِمَامَ (ع) الْعَمُومَ مِنْ خِلَالِ اسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا) لِتَكُونِ الشَّهَادَةُ عَامَّةً كَبِيرَةً.

وَعَكْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (الرُّكُوبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(١) فِي قَوْلِهِ (ع): ((أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الْإِصْطِفَاءِ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمَغَالِبَ، وَأَلَّلَ بِهِ الصَّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ))^(٢).

(أَرْسَلَهُ، وَقَدَّمَهُ، وَرَتَّقَ بِهِ، وَسَاوَرَ بِهِ، وَأَلَّلَ بِهِ، وَسَهَّلَ بِهِ) الضَّمِيرُ فِيهَا يَعُودُ إِلَى الرَّسُولِ (ص) وَآلِهِ، وَمَعَ مَا رَافَقَهَا مِنْ سَجْعِ ثَلَاثِ مَقَاطِعِ صَوْتِيَّةٍ مُتَنَاعِمَةٍ أَضْفَتَ بِعَدَا مُوسِيقِيَا عَلَى النَّصِّ .

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ: أَيِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ اسْتِعَارِيٌّ قُرْآنِيٌّ جَلِيٌّ، وَالِإِصْطِفَاءُ هُوَ الْإِخْتِيَارُ^(٣)، حَيْثُ كَانَ الرَّسُولُ مُقَدَّمًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى صَارَ الْمُصْطَفَى عَلَمًا لَهُ^(٤)، وَقَدَّمَهُ بِالِإِصْطِفَاءِ يَعُودُ بِنَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ يُصِطِّفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)^(٥)، مَعَ أَنَّ الْآيَةَ جَاءَتْ حَدِيثًا مُبَاشِرًا مَعَ الرَّسُولِ (ص) وَآلِهِ (ع) وَكَلَامِ الْإِمَامِ (ع) وَرَدَ بِصِيغَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الْمَاضِي، وَانْصَرَفَ الْمَضَارِعُ إِلَى الْمَاضِي لِغَرَضِ اسْتِحْضَارِ سِيرَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَتَرْبُويَّةٍ لِيَقْتَنِي بِهَا الْمُتَلَقِّي .

وَتَتَابَعَتِ الصُّورُ الْبَيَانِيَّةُ فِي النَّصِّ، (رَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ) اسْتِعَارَةٌ تَعْنِي لِصَلْحِ بِهِ الْمَفَاسِدِ^(٦)، فِي الْجُمْلَةِ اسْتِعَارَتَانِ مُتَلَاصِقَتَانِ تَمَثَّلَتَا فِي (رَتَّقَ) وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ لِلْفِعْلِ أَصْلَحَ بِجَامِعِ (النَّفْعِ)، وَفِي (الْفَلْتِقِ) وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ لِلْمَفَاسِدِ بِجَامِعِ (الذَّفِ)، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي (سَاوَرَ بِهِ الْمَغَالِبَ) أَي: وَانْتَبَّ بِهِ الصَّعَابَ^(٧).

وقوله (ع): (وسهل به الحزونة) وصف استعاري رُفِدَ بِهِ النَّصِّ، فَالْحُزْنَ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالسَّهْلَ: مَا لَانَ مِنْهَا، وَاسْتَعْبِرَ لغير الأرضِ كالأخلاقِ ونحوها^(٨).

حَتَّى سَرَّحَ بِهِ الضَّلَالَ أَي طَرَدَهُ وَأَسْرَعَ بِهِ ذَهَابًا^(٩)، وَعَزَّزْتَ هَذِهِ الْاسْتِعَارَةَ قَوْلَهُ: (أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ)، فَأَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ مُقَدِّمَةً لَطَرْدِ الضَّلَالَ، فَيَصْبِحُ الْمَعْنَى أَكْثَرَ رَسُوخًا فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي، لِأَنَّ النَّفْسَ

(8) شرح ابن أبي الحديد، ج ١١/٤٨ .

(1) إبراهيم/١ .

(2) نهج البلاغة، خ (٢٠٨) ج ٢/٢٢٠ .

(3) نهج الصباغة، التستري، ج ٢/٢٥٧ .

(4) المكان نفسه

(5) الحج/٧٥ .

(6) شرح ابن أبي الحديد، ج ١١/٥١ .

(7) المكان نفسه .

(8) المكان نفسه .

أنس بما هو مُدرك بالحواس وبنور الكتاب الساطع تفرق الضلال، وانهزم عن يمين وشمال في صورة استعارية متحركة .

أثر النص الغائب في ثنايا نص الإمام (ع) واضح جلي، استطاع الإمام (ع) تدويره في نصه إلى الحد الذي لا يستطيع المتلقي فصله عن كلام الإمام (ع) فأصبح نسيجاً مغايراً جديداً متعدّد الدلالات . إن إرسال المصطفى بالضياء - الإسلام - ترتّب عليه اثر خاص هو ذهاب ما يقابله من الظلام، وهو الكفر، فتصبّ عبارة (أرسله بالضياء) منطوية على دلالة عميقة، أنه ليس إرسال فقط، بل ذهاب نقيضه.

وقال (ع) في وصية له لقادة جنده: ((.. فأن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فأنه بمن طاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاس عنك، فأن المتكاريه غيبه خير من مشهده، وقد وده أغنى من نهوضه))^(١).
وبالعود إلى قوله تعالى: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلاصكم ويغونكم القذنة وفيكم سمعون لهم واللّه عظيم بالظالمين)^(٢) نجد معناها في قوله (ع): (فأن المتكاريه غيبه خير من مشهده وقعوده أغنى عن نهوضه) .

إن التقارب واضح وجلي بين النص القرآني ونص الإمام (ع) من حيث المعنى من خلال التناص ، غير أن التباين بينهما بالصيغ ؛ الآية بصيغة الجمع وكلام الإمام (ع) بصيغة المفرد (غيبه ، مشهده ، قعوده نهوضه) وبجمل خبرية مؤكدة ، واشتركا بالجانب الوعظي .
ومما جاء في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام): ((ما أقبح الخسوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى))^(٣) .

ونذكر أن ثمة ارتباطاً معنوياً لهذا الكلام بقوله تعالى: ((... حتى إذا كُتّم في الفلك وجرى بهم برّيح طيبة وفروها بهما جاعتهما ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنّهم أحيط بهم دعا الله مخلصين له الذين أذنبنا من هذه الكوفة من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يغيون في الأرض يغيرون الحق))^(٤)، وبآيات أخر تحمل المعنى نفسه^(٥) .

النص في معرض الحديث عن الخسوع عند الحاجة ، والجفاء عند انتهائها ، وإذا كان هذا الأمر قبيحاً بين العباد وعلاقتهم ببعضهم ، فهو أشدّ قبحاً في علاقتهم مع الله ، الذي تجب طاعته والإقرار بفضله في السراء والضراء ، وعند الوقوف عند معاني الآيات المباركات نصل إلى هذه الصفة

(9) المكان نفسه .

(1) نهج البلاغة، ك(٤) ج٣/٦ - ٧ .

(2) التوبة/٤٧ .

(3) نهج البلاغة، ك(٣١) ج٣/٦١ .

(4) يونس/٢٢ - ٢٣ .

(5) العنكبوت/٦٥، الفجر/١٥ - ١٦ ، النحل/٥٣، الإسراء/٦٧ .

من صفات المنافقين ، وَعَبَّرَ الإمامُ (ع) عنه بأساليب متنوعة^(١)، وإذا رفعنا النذم (ما أفبح) نجد فئتين بديعيتين تمتثلان في الموازنة في الجملتين: (الخشوع عند الحاجة = الجفاء عند الغنى) والطباق الظاهر في المفردات (خشوع ، جفاء) ، (حاجة ، غنى) ، ويكاد حرف العين في (أفبح ، حاجة عند) يفصح عن الألم واللوعة والحرقة التي تعترى صدر الإمام.

وقال (ع): ((إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تقفوا أقصاها قلّة الشكر))^(١)، وتكرر مثل هذا المعنى^(٢)، وكثيرا ما ارتبط دوام النعم بالشكر في كتاب الله كقوله تعالى: (وَإِذْ تَأْتِنُ رِيكُمُ لَدُنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَإِذْ تَكْفُرُونَ لَا تَكْفُرُونَ) (٤)، و(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (٥).

ارتبط الشكر بالزيادة في الآية الأولى، وبالعبادة في الثانية، وبالعبادة في الثالثة دلالة على منزلة الشكر عند الله، وهذا ما عكسه الإمام (ع) في قوله أَنفِ الذِّكْرَ، وفي غيره من الأحاديث في غير موضع كما مرّ، غير أن اللافت للنظر عند السامع هو تشبيه النعم بالأنعام التي ينفّر الجحود في صورة بيانية واضحة المعالم .

إنّ قوله (ع): ((لا تنفروا) خصيصة من خصائص الاستعارة المكيئة التي جَسَمَتِ النعم وشبّهتها بالأنعام، وحفلت بغير قليل من الدلالات؛ منها التعبير عن النعم بالأنعام، وما ندره هذه الحيوانات من خير وطعام، وللدلالة على كثرتها ، ولارتباط قبليها بكثرة الشكر، إذ أنّها تنفّر، وتهرب عند قته، إنّها صورة حياة متحركة .

إنّ بقائها مشروطاً بوافر الشكر، وهذا الشرط أخذَه الإمام (ع) من الشرط القرآني الواضح: "لَدُنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" ، لم يستخدم الإمام (ع) الأمر المباشر، بل حبّبه إلينا بأسلوب بعيد عن صيغته الاستعلائية قال تعالى في الحديث عن وليّ الدم: ((لَا تَقْدُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جُنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسُوفُ فِي الْقَبْرِ إِلَيْهِ كَان مَظْهُورًا))^(١)، فأقتبس الإمام (ع) هذا المعنى وصاغه بقوله: ((أولى الناس بالعمفو أقدرهم على العقوبة))^(٢).

(٦) قال (ع) في هذا المعنى: ((إن صحّ أمن لاهياً ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، ويقتط إذا ابتلى وإن أصابه بلاء دعا

مُضْطَوِّبًا نَالَ رِخَاءً أَعْرَضَ عَنْهُ)) . نهج البلاغة، ق (١٥٠) ج ٣ / ١٨٩ .

(١) نهج البلاغة، خ (١٢) ج ٣ / ٥٤ . وقال (ع) : ((احذروا نفار النعم فما كلّ شارد بمرود)) .

ينظر: خ (٢٤٦) ج ٣ / ٢٠٧ .

(٢) قال (ع): ((والله مستأديكم شكره)) . ينظر: نهج البلاغة، خ (٢٣٦) ج ٢ / ٢٦١ .

(٣) إبراهيم / ٧ .

(٤) البقرة / ١٥٢ .

(٥) البقرة / ١٧٢ .

(٦) الإسراء / ٣٣ .

(٧) نهج البلاغة، خ (٥٢)، ج ٣ / ١٦٤ .

وتجلى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَيِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُغَيِّبٌ مِّمَّنْ يَدْعُونَ)^(٨)، في قوله (ع): ((عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار))^(٩)، وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا النُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(١٠)، في قوله (ع): ((رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه))^(١١).

تتعطل آلية فهم النص ما لم نستحضر النص القرآني الذي استقى منه الإمام (ع) معناه، ولا بد للمتلقي من إدامة التدبر في النص ليقف عند القاسم المشترك بينهما .

وفي قوله (ع): ((للظالم البادي غدا بكفه عظة))^(١٢)، اقتباس معنوي لقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَصْغُرُ الظَّالِمُ عَلىٰ يَبِيهٍ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)^(١٣).

جملة فعلية - مضارعة - اتكأت على الأسلوب الكنائى، لتكشف لنا حالة من ندم على ضياع العمر ظلما للنفس، ولغيره، فعبر الإمام (ع) عن الحسرة ببعض اليد، وتكررت هذه الصورة الكنائية في غير موضع من المواضع النهجية كقوله: ((بعض يه ندامة على ما اصحر له عند الموت من أمره))^(١٤)، إنها كناية وفق المنظور البلاغى القديم، ورمز بحسب المصطلح النقدي الحديث ليعبر عن الغيظ والندم الشديدين على ما عملوا من شر أو على ما لم يعملوا من خير، ونجح الإمام (ع) في جعل هذه الصورة قادرة على بتدلالاتها .

ومهما كانت النصوص القرآنية متوارية في نصوص الإمام (ع) - في هذا النوع من الاقتباس تحديدا - إلا الله يترك أثرا في ذهن المتلقي يساعد على الوصول إليه، ومثلت حضورا مرنا طوعيا لا استحضارا قسريا .

وكذلك اقتبس معنى قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَظِبَ الْقَلْبِ لَأَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَاصْبِرْ لَهَا إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ بِالظَّالِمِينَ)^(١٥)، وضمنه قوله (ع): ((من لان عوده كثفت أغصانه))^(١٦)، وهو اقتباس معنى معكوس لدلالة معكوسة، إذ هو نتيجة عكسية للآية المباركة، فالآية دعوة إلى ترك الفظاظة والغلاظة، حتى لا ينفذ الناس من حوله (ص واله)، وفي كلام الإمام دعوة إلى اللين ليكثر الاتباع والمريدين:

لا تُكُنْ غليظاً فينفر عنك الناس = كُن لينا يكثر الناس من حولك.

(8) الأنفال/ ٣٣ .

(9) نهج البلاغة، خ(٨٧)، ج٣/ ١٦٩ .

(1) الجمعة/ ٥ .

(2) نهج البلاغة، خ(١٠٧)، ج٣/ ١٧٥ .

(3) نهج البلاغة، ح(١٨٦)، ج٣/ ١٩٥ .

(4) الفرقان/ ٢٧ .

(5) نهج البلاغة، خ(١٠٥)، ج١/ ٢١٢ .

(6) آل عمران/ ١٥٩ .

(7) نهج البلاغة، ح(٢١٤)، ج٣/ ٢٠١ .

وللاّمام(ع)اقتباسات عديدة من هذا النوع في النصوص النهجية قامت بتعجيل إنزال معاني النصوص إلى ساحة فهم المتلقي⁽⁸⁾، وتثبيتها في ذهنه.

(8) ينظر مثلاً: نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج١٥٦/٣، خ(٤٦)، ج١٦٣/٣، خ(٦٧)، ج١٦٥/٣، خ(١٥٨)، ج١٩٢/٣، خ(١٧٤)، ج١٩٤/٣، خ(٢٦٠)، ج٢١٠/٣.

المبحث الثاني: أنواع الاقتباس من الحديث النبوي الشريف .

يُعدّ الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ومصادقا من مصاديق السنة النبوية*، ومثّل مرجعية فكرية، لغوية، أدبية مهمة عند المسلمين، ومن ثم فإن العودة إليه تعني الانتهاك من معين لا ينضب لاسيما بعد الدراسات اللغوية، والأدبية، والبلاغية منها على وجه الخصوص، وتعني أيضا منح مصداقية متميزة للنتاجات اللغوية، والأدبية انطلاقاً من مصداقية حديث النبي المصطفى (ص واله).

وكما مرّ بنا . في تعريف الاقتباس . أنّ الاخذ من الحديث النبوي الشريف نوع من أنواع الاقتباس ولقرب الامام (ع) من النبي (ص واله)⁽¹⁾، والتصاقه به، استطاع الافادة من كلامه فضمنه خطبه، وكتبه، وحكمه، ومواعظه، فتداخل كلامه بكلام رسول الله (ص واله) حتى اصبح " ككلام رسول الله (ص واله) لأنّ مستقاهما من قليلٍ ومفرغهما من ذنوب " ⁽²⁾.

لقد تنوع اقتباسه من الحديث النبوي، من تراكيبه، ونصوصه وكثيرا ما كان يوشح كلامه به، مثلما وشحه بمفردات من القرآن الكريم وآياته، وانفتح على كلام رسول الله كانفتاحه على كتاب الله، فجزيا على لسانه في خطبه، وكتبه، ومواعظه، وسيسلط الضوء على أنواع هذه الاقتباسات، وتتبعها في نصوص الامام (ع) .

* باعتبار تقسيمها الى حديث الرسول (ص واله) وعمله، وقراره .

(1) تربي الامام في حجر النبي (ص واله)، وحامى عنه، ونصره عند ظهور الاسلام قبل غيره من قريش، ويني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاظهر دون غيره من الاصهار . ينظر: مناقب علي بن ابي طالب، علي بن محمد الشافعي ابن المغازلي ت (٤٨٣) هـ، تحقيق: محمد باقر البهبوري، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٤ هـ، ص: ٤٠٤، مطالب السؤال في مناقب ال الرسول، كمال الدين ابوسالم محمد بن طلحة الشافعي ت (٦٥٢) هـ، النجف الاشرف، (د.ت)، ص: ٣٠ . ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام (ع) جود كاظم منشد، دراسة دكتوراه كلية الاداب، جامعة البصرة، منشورات ذوي القربى، قم، ١٣٨٤ هـ، ص: ٤٠٥ .

(2) هذا قول الشريف الرضي تعقبا على قوله (ع): ((الْحَجْرُ الْغَضْبُ فِي الدَّارِ هُنَّ عَلَى خَرَابِهَا))، كما نقله ابن ابي الحديد.

ينظر: شرح ابن ابي الحديد. ج ١٩/٦٦.

أو . اقتباس آت . ركيب الحد . دي التبووي الش . رير ف .

صحيح أنّ حضور تراكيب الحديث التبووي الشريف لم يكن مثل حضور المفردة القرآنية ، إلا أنه كان حضوراً فاعلاً ، وبأنّ للدلة في النص التهجّي ومن امثلة ذلك اقتباسه للتركيب المتلف من المفردتين المتلاقتين (حطوة نضرة) ، قوله (ع): ((أما بعد ، فأني أحذركم الدنيا فأثها حطوة خضرة ، خُت بالشهوات ، وتحببت بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتحطت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لآتدوم حبرتها ولآتؤؤ فآجعتها ، غارة ضارة عاتل لآرأة لة ، نافذبات دة ، أكالة غوالة...))^(١) وأوردها في خطبة قبلها ، والتي قال فيها: ((الحمد لله غير مقنوطس من رحمته ، ولا مستكفمن عبادته ، الذي لآتج منه رحمة ولا ففقد له نعمة ، والدنأا دار منأها الفناء ولاهها منها الجلاء ، وهي حطوة خضرة ، وقد عآت للطالب ، والتبست بقلب الناظر...))^(٢).

وقعت هاتان المفردتان كثيرا في وصف الرسول (ص وآله) للدنيا بانها (حطوة خضرة)^(٣) ، ووصفها تارة اخرى (خضرة حطوة)^(٤).

في قوله (ص وآله): (انّ الدنيا حطوة نضرة) ، وفي قوله (ع): (أني أحذركم الدنيا فأثها حطوة نضرة) كلاهما جاء بالتوكيد ، غير أنّ كلام الرسول (ص وآله) هو اخبار عن الدنيا ، وفي قول الامام (ع) تحذير منها ، واحاط تحذيره هذا باداتين توكيديتين (فأني ، فأثها) ، ثم عدل سبب تحذيره منها ببيان صفاتها من خلال جمل وصفية قصيرة متناسقة بحروفها ، واسجاعها ، وللمعان في التحذير منها ، ستحضر صيغ المبالغة في (غرارة ضرارة) ، (أكالة غوالة) بنسق سجعي صاحبه فنّ بديعي هو الجناس ، والمتعق بالمفردات : (غرارة ضارة عاتلة زاء لة ، نلفة باء دة).

جاء هذا كله بعد ان مهّد بوصفها . القّد . بس . (حطوة خضرة) ، منها لفظتان تحملان دلالة واضحة تلقي بظلالها في النص ، أنّهما لفظتان مكنزتان ، في الخطبة الاولى ، بدأ كلامه بدم الدنيا والتحذير منها ،

(١) نهج البلاغة ، خ (١٠٧) ، ح ٢١٦ / ١ .

(٢) المصدر السابق ، خ (٤٤) ، ح ٩١ / ١ .

(٣) ينظر : صحيح مسلم ابي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (٢٦١) هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٨ / ٨٩ .
و : سنن ابن ماجة ، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت (٢٧٥) هـ ، تحقيق محمد فؤاد ، دار الفكر ، بيروت ، ص : ٣٢٥ .

و : السنن الكبرى ، احمد بن الحسين بن علي البيهقي ت (٤٥٨) هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ص : ٥٥٢ .

(٤) ينظر : مسند احمد ، ج ٧ / ٣ ، ح ٦٨ / ٦ .

و : سنن الدارمي ، عبد الله بن بهرام الدارمي ت (٢٥٥) هـ ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، (د . ت) ، ح ١٠ / ٢ .

و : صحيح البخاري ، ح ٢ / ١٢٧ ، ح ٣ / ٢١٤ ،

سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ت (٢٧٩) هـ ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، ط ٣ ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ،

ح ٣ / ٣٢٧ .

وحافظ على حديثه عنها في معظمها ثم ذكر مآل المغتربها، والمخدوع فيها، بعد أن يعودوا الى القبور حفاة عراة^(١) وسيعودون ليوم الحساب (كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداء علينا، إنا كذّابوا بن)^(٢).

ختم بهذه الآية التي تنتهي بالتوكيد، مثلما بدأ به خطبته الأخرى - مورد الشاهد - فقد بدأها بحمد

الله وتعظيمه بصفات عدة ثم عرج الى ذكر الدنيا فوصفها بتعبير رسول الله

ومن ذلك اقتباسه للتركيب (الفئة الباغية) ، في قوله (ع) في طلحة والزبير: ((والله ما انكروا علي منكرا ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، ولهم ليطلبون حقا هـ م تركوه ، وما هم فذكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه ، وان كانوا لؤه دوني فما الطلبة الاقبلهم ، وان اول عطيم للحكم على انفسهم ، وان معي بصيرتي : ما لبست ولا لبس علي ، انها للفئة الباغية فيها الحما والحمة ، والشبهة المصدقة))^(٣)

(الفئة الباغية) مفردتان وردتا في قول المصطفى (ص وآله) لعمار بن ياسر ((يا عمار تقتلك الفئة

الباغية))^(٤) أو في اخباره عن مقتل عمار بأنه ((تقتله الفئة الباغية))^(٥) وجاءتا بالمعاني المترابطة، وأراد ان

يؤجز بهما صفات من تكلم عنهم، وبيان والتوكيد والايجاز عو له، وقد دتم له ذلك .

وتواجدت بعض التراكيب الدالة على أثر الحديث الشريف حيثما وجدت وهي وان كانت قليلة الا

انها تبوح بمرجعيتها في أقوال المصطفى (ص وآله) مثل التراكيب: (حظائر القدس)^(٦)، (وعشاء النقر)^(٧)،

و (طوبى لمن) ، وهذا الأخير له اكثر من موقع في نصوص الامام ، فتأتي تارة ضمن

حديث مباشر^(٨)، وأخري بتعبير طفيف ، كما في اقواله (ع):

(1) ينظر: نهج البلاغة ، ج ١/ ٢١٩ .

(2) سورة الانبياء / ١٠٤ .

(3) نهج البلاغة، خ (١٣٣) ، ج ٢ / ٢٧ .

(4) مسند أحمد ج ٢/ ١٦١ ، سنن الترمذي، ج ٥/ ٣٣٣ ،

الكافي، الشيخ الكليني ت (٣٢٩) هـ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مطبعة الحيدري، ط ٣، طهران، ١٣٨٨ . ج ٢٥/ ٢٢ ،

المعجم الوسيط ، سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، ١٩٩٥ م، ج ٧/ ٢٩١ .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيتمي ت (٨٠٧) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ٧/ ٢٤١ ،

بحار الانوار ، ج ١٩/ ١٢٤ .

(5) مسند أحمد، ج ٤/ ١٩٧ ، صحيح البخاري، ج ٣/ ٢٠٧ ، صحيح مسلم، ج ٨/ ١٨٦ ،

تفصيل وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ت (١١٠٤) هـ ، تحقيق مؤسسة ال البيت لاهياء التراث، ط ٢

مطبعة قم المشرفة، ج ١٥/ ١٣٩ .

(6) ينظر: نهج البلاغة، خ (٨٧) ، ج ١/ ١٦٧ .

(7) المصدر السابق، ك (٤٥) ، ج ١/ ٩٢ .

(8) كما سيمر بنا في الاقتباس للحديث النبوي الشريف، في قوله (ع): (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

ينظر: نهج البلاغة، خ (١٧١) ، ج ٢/ ١١٦ - ١١٧ .

- ١- ((طُوبَى لِمَن لَّدِي قَلْبٍ سَلِيطٍ عَمَّ مَن يَهْدِيهِ))^(١).
- ٢- ((طُوبَى لِنَفْسٍ أَتَتْ إِلَى رِيحِهَا فَرَضَهَا))^(٢).
- ٣- ((طُوبَى لِمَن ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحَسَابِ، وَتَقَدَّرَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ))^(٣).
- ٤- ((طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ...))^(٤).
- ٥- ((مَا قَالَ النَّاسُ لَشَيْءٍ " طُوبَى لَهُ " إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءِ))^(٥).
- مع النظر الى اقتتران هذه المفردة بحرف الجر (اللَّام) كما وردت في الحديث النبوي: ((طُوبَى لِمَن شغله عيبُهُ عن عيوبِ الناس))^(٦).

ومن ذلك اقتباس التركيب: (بادروا بالاعمال) في قوله (ع): ((بادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله))^(٧) وهو مما ورد عن قول النبي الكريم (ص وآله): ((بادروا بالاعمال))^(٨) اوفي غيره من الاحاديث التي بدأها (ص وآله) بقوله: ((بادروا بالاعمال))^(٩) او ((بادروا ألعمل))^(١٠) واعتمد مفردة (بادروا) في مواضع عدة في النهج^(١١).

واسم التفضيل (افضل) الداخلة في كلام الرسول (ص وآله) من خلال المضاف اليه في قوله (ص وآله): ((افضل العبادة احمزا))^(١٢) نجد ظاهراً . مقتبساً في قوله (ع): ((افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه))^(١٣) ، احمزا: أي اتقها^(١٤) ، وهو معادل للقول: (ما اكرهت نفسك عليه) .

- (١) المصدر السابق، خ (٢١٠)، ج ٢/ ٢٢٢ .
- (٢) المصدر السابق ، ك (٤٥)، ج ٣/ ٨٤ .
- (٣) المصدر السابق ، ق (٤٤)، ج ٣/ ١٦٢ .
- (٤) المصدر السابق ، ق (١٠٤)، ج ٣/ ١٧٣ - ١٧٤ .
- (٥) المصدر السابق ، ق (٢٨٦)، ج ٣/ ٢٢٢ .
- (٦) ينظر: الباب الاول، الفصل الاول، ص: ٦٦، الفصل الثاني، ص: ٨٩، ٩٤.
- (٧) نهج البلاغة، خ (١٧٨)، ج ٢/ ١٣٦ .
- (٨) مسند احمد ، ج ٢/ ٥٤ ، سنن الترمذي ، ج ٣/ ٣٣٠ .
- (٩) ينظر: المعجم الاوسط، سليمان بن احمد الطبراني ت (٣٦٠) هـ ، تحقيق ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، (د.ت.)، ج ٣/ ١٥٦ ، و: بحار الانوار ج ٦/ ١٩ ، ج ٧٤/ ١٧٦ .
- (١٠) نهج البلاغة، خ (١١٠)، ج ١/ ٢٢٣ .
- (١١) ينظر: نهج البلاغة ، خ (١٠٢)، ج ١/ ٥٢ ، خ (١١٠)، ج ١/ ٢٢٤ ، خ (١٨٥)، ج ٢/ ٥٤ ، خ (١٧٨)، ج ٢/ ١٣٤ .
- (١٢) بحار الانوار، ج ٦٧/ ١٩١ .
- (١٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير ت (٦٠٦) هـ، تحقيق طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد أطناحي، مؤسسة اسماعيليان، ط ٤، ج ١/ ٤٢٢ .
- (١٤) نهج البلاغة ، ح (٢٤٩) ، ج ٣/ ٢٠٧ ، وينظر: شرح ابن ابي الحديد، ج ٣/ ٧٦ . و شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/ ٥٧٨ .
- (١٤) شرح ابن ابي الحديد ج ٢٠/ ٧٦ .

اشترك حديثه(ع) مع الحديث النبوي بالتركيب ، وان اختلف نوع المضاف اليه، إلا أنهما يوصلان الى معنى واحد، وان كان في الحديث النبوي لفظ عموم (العبادة) وفي قول الامام(ع) لفظ خصوص (الاعمال)، باعتبار الاعمال مصداقا من مصاديق العبادة .
وكذلك في المعنى المقابل للمفردة(احمزها)، وكلا الحديثين اخبار . من وجهة نظر بلاغية . تفيد فائدة الخبر، ويدلان على النصح والارشاد .

وقوله(ع): ((وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها ، وخذ عفوها ونشاطها، إلا ما كان مكتوبا عليك من الفرائض))⁽¹⁾ - وهو الاخر مقتبس من الحديث النبوي - لا يتناقض مع القول السابق، اذا ما نظرنا الى امور عدة اولها: الحديث الاول في مقام بيان افضل العبادات، وثانيها: ان القول الثاني جاء في مقام المعالجة لمن ارهق نفسه، وثالثها: انه - الثاني - كان موجها الى شخص بعينه وهو(الحارث الهمذاني)* .

(1) نهج البلاغة، ك(٦٩)، ح٣/١٤٣ .

* هو الحارث بن عبد الله بن كعب بن اسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعيب بن معاوية الهمذاني، وكان أحد الفقهاء ، له قول في الفتيا، وكان صاحب الامام .
شرح ابن ابي الحديد، ج١٨/٣٢ .

ناقيلاس ، الحديثي تبوي ، المباشر .

بحسب تعريف مصطلح الاقتباس، الذي يشترط ايراد المقتبس في الكلام ((لاعلى أنه منه))^(١)، يخرج كثير من ايراد اقوال المصطفى(ص واله) من دائرة الاقتباس، ويندرج تحت باب اخر، الا وهو (الاستشهاد)^(٢) بسبب ايراد تلك الاحاديث والاقوال على أنها من الرسول(ص واله) بسبب تقديمها بعبارة تصرح بذلك، وقد تُوحي اليه، مثل (قال رسولُ الله، قال لي، اخبرني، انبأني، سمعته يقول ..) لذلك لا يتبقى إلا القليل جداً من شواهد هذا النوع من الاقتباس، من ذلك قوله(ع): ((احبب حبيبك هوناً ما، عسى ان يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما، عسى ان يكون حبيبك يوماً ما))^(٣)، وهذا القول هو عين ما قاله الرسول(ص واله)^(٤).

انّ استحضار الحديث بنصّه وافراده من غير مقدمة او تعليق، يترك النصّ يسبح في فضاء رحب ويفتح العقل على مصراعيه، ويتخطّى به حدود الزمان والمكان، ليكون موجّها الى الناس كافة الى يوم الدين ومن ذلك ايضا قوله(ع) في احدى حكمه: ((ما عال من اقتصد))^(٥)، وقد روي هذا الحديث بلفظه^(٦) عن رسول الله(ص وآله)، وبرواية اخرى: ((ما عال امرؤ اقتصد))^(٧)، في الاولى يكون اقتباسا مباشرا، وفي الاخرى يُعدّ اقتباسا غير مباشر، وكلاهما خبر خرج الى النفي؛ نفي الفقر عن الاقتصاد .

(١) ينظر: التمهيد .

(٢) ينظر: نهج البلاغة، خ(٧١)، ح١١٤/٢، ح١١٦/٢، خ(٢٠٥)، ح٢١٤/٢، ك(٤٧)، ح٨٥، ٧٦/٣، ح٨٧، ح(٤٥) ح١٦٣/٣ .

(٣) المصدر السابق، خ(٢٦٨) ح٢١٧/٢ .

(٤) ينظر: كنز العمال، المتقي الهندي ت(٩٧٥) هـ، تحقيق بكرى حيانى، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ج٢٤/٩ .

و: الترمذي، ح٢٤٣/٣، المعجم الاوسط ح٢٠١/٦، مجمع الزوائد، ج٨٨/٨ . و: بحار الانوار، ح١٧٤/٧١ .

(٥) نهج البلاغة، خ(١٤٠)، ج١٨٥/٣ .

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٢٥٢/١٠ .

و: الجامع الصغير، ج٥٠٠/٢، و: المعجم الكبير، ج١٠٩/١٠ .

(٧) بحار الانوار، ج٣٤٧/٦٨، ج٦٠/٧٥، ج٢١/١٠٠، ج١/١٠١ .

وروي (لاعال من اقتصد) .

ينظر: المعجم الاوسط ، ٢٠٦/٥، ج٣٦٥/٦ .

وقال(ع) في خطبة وعظية: ((ياأيها الناس؛ طُوبى لِمَن شغله عيبُهُ عن عيوبِ الناس، وطوبى لِمَن لزم بيتَهُ وأكلَ قوته، واشتغلَ بطاعةِ رَبِّهِ، وبكى على خطيئِهِ، فكان مِن نفسه في شغلٍ، والناس منه في راحة))^(١)، وقوله من قول الرسول(ص وآله): ((طُوبى لِمَن شغله عيبُهُ عن عيوبِ النَّاسِ))^(٢) .
وطُوبى شجرةٌ في الجنة^(٣) فيصيح المعنى كنايةً يُراد بها المعنى الآخر للمفردة، وكأنَّ معنى القول:
(الجنةُ لِمَن شغله عيبُهُ عن عيوبِ النَّاسِ).

(١) نهج البلاغة، (١٧١)، ج٢/١١٦ .

(٢) مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي ت(٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٩٨٥ م ، ج١/٣٥٨ .

ينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج٢/٢١٤ .

ينظر: منهاج البراعة، للخوئي، ج٢/١٦٧ .

وجاء بصيغ اخرى مثل:

(طُوبى لِمَن وَجَدَ فِي صِحْفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا) . ينظر: سنن ابن ماجه، ج٢/١٢٥٤ .

و(طُوبى لِمَن طَالَ عَمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ) . ينظر: سنن ابن ماجه، ج٣/١٧١ .

و(طُوبى لِمَن تَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَنْقِصَةٍ) . ينظر: سنن ابن ماجه، ج٤/١٨٢ .

و(طُوبى لِمَن عَبَدَ أَخْذَ بَعْنَانٍ فَرَسَهُ ...) . ينظر: سنن ابن ماجه، ج٩/١٥٩ .

(٣) ينظر: بحار الانوار، ج١٥/٢٠٧، ج٣٠/١١٩، ج٣١/٣٢٠، ج٣٨/١٤٠ .

نالتباس الحديث الذ **جبل** ريف غير المباشرة (ريب) .

لهذا النوع من الاقتباس نماذج ليست بالقليلة في ثنايا نصوص النهج^(١)، وبأمكن المتلقي ان يضع يده على كثير منها لو كان ذا حفظ للمشهور من الاحاديث النبوية ، واحتل مساحة واسعة من النصوص النهجية، وان كانت اقل من المساحة القرآنية، الا انها بدت كظاهرة وسمت كثيراً من تلك النصوص .
قد يأتي الحديث المقتبس - احيانا - مع تغيير طفيف بالتقديم والتأخير، وقد يأتي مع الزيادة والنقصان تبعاً لسياق المقال .

قال (ع): ((والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ، ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ، ولكن كل غدرة جرة ، ولكل جرة كفرة ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ، والله ما أستغفل بالمكيدة ، ولا استغمز بالشديدة))^(٢) .

أقسم (ع) على امر ظاهر بقسم صريح: (والله)، ويؤكد ذلك الامر بحرف الباء (بأدهى)، بقدر ما أكد غدر معاوية وفجوره مرة ثانية بحرف اللام (لكنت)، وأراد بذلك توكيد امر ظاهر، وهو انه لولا كراهية الغدر لاصبح من ادهى الناس، هنا اظهر للسبب ، والذي منعه هو ان الامر يبدأ بالغدر، مروراً بالفجور والكفر لينتهي بسخط الله، حين يفضح الغادر بلواء يدل على غدره يوم القيامة، وهذه نتيجة .

وهذه الكلام في الواقع اقتباس من قوله (ص وآله): ((لكل غادر لواء يوم القيامة عرف به))^(٣) .
فالحديث اذن أخذ بطرفي النص ، لكونه سبباً لامتناع العمل بالغدر، ونتيجة للعمل به ، فأورده ا (ع) بمثابة جملة ، اشتركت في البناء السردى للنص ، واستكمال معناه ، في تسلسل استدلالى ، وفي جمل قصيرة ، مسجوعاً تقضى الى محصلة اظهرت السبب والنتيجة في آن .

(١) ينظر مثلاً: نهج البلاغة، خ(١٦٤)، ج١/١١٢، خ(١٥٨)، ج١/٨١، خ(١٦٠)، ج٢/٨٦، خ(١٦٢)
ج٢/٩٧، خ(١٧١)، ج٢/١٠٩، خ(١٩٤)، ج٢/٢٠٤، خ(٢٠٩)، ج٢/٢٢٠، ك(٢٧)، ج٣/٣١، ك(٢٨)، ج٣/٣٤، ك(٣١)، ج٣/٤٢، ك(٤٨)، ج٣/٨٧، ك(٣)، ج٣/١٥٢، خ(٥)
ج٣/١٥٢، خ(٥٤)، ج٣/١٦٤، خ(١٤٥)، ج٣/١٨٥، خ(٢٤٤)، ج٣/٢٠٧ .

(٢) نهج البلاغة، خ(١٩٥) ج٢/٢٠٦ .

(٣) مسند ابي الجعد، علي بن الجعد الجوهري، تحقيق ابي القاسم عبد الله البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

ص: ٢٠٧ . و: صحيح البخاري ، ج٨/٦٢ . و: بحار الانوار، ج٩٢/١٩٧ ،

وقد ورد هذا الحديث بطرق تختلف قليلاً عن صيغته الاولى .

ينظر: مسند أحمد ج٢/١٦ . ويرى ابن ابي الحديد ان كلام الامام (ع) حديث صحيح مروى عن النبي (ص وآله) .

ينظر: شرح ابن ابي الحديد، ج١٠/١٦٦ .

قَدَّمَ الامام(ع)جملة (يعرف به)على جملة(يوم القيامة)كما هو في قول الرسول(ص واله)ولعلَّ سياق الكلام - الذي يدور حول محور الغدر،وصاحبه - هو الذي جعله يقدم(عَرف به)للتوكيد، والتخصيص،اذ لم يكن الحديث عن(يوم القيامة) بقدر ما كان عن صاحب ذلك اللواء،وكأنه اراد ان يعود بالضمير المستتر في(عَرف به) الى معاوية،وهو محل الشاهد .

وكذلك قوله(ع):((... الا وَاِنِّي لَمَ اَر كَالجَنِّاقِمْ طَالِبٌ هُهَا،ولا كَالنَّارِ نَاهَارِي هُهَا، الا وَاِنَّهٗ مَن لايَنْفَعُهُ الحَقُّ يَضُرُّه الباطلُ،وَهٗ لَمْ يَسْتَقِمَّ بِهِ الهٗ دَى يَجْرُبُ بِهِ الصَّلَاةُ الى الرَّدى...))^(١)،الامر الذي اشار اليه الحديث النبوي الشريف:((رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها))^(٢) ارتكز النصان على النفي(ما)في الحديث النبوي و(لم)في حديث الامام(ع)، وكلاهما اعتمد التشبيه،(مثل)و(الكاف)ومع هذين الفرق بأنواع الادوات ، نلاحظ تقديماً وتأخيراً،اذ قَدَّمَ الكلام في النار في الحديث وقَدَّمَ الكلام في الجنة في نص الامام(ع) . ولم يقتصر كَلَامُه (ع) على النفي فقط ، بل تعداه الى توكيد ذلك النفي ، واخراجه بصورة بيانية اعتمدت التشبيه عينه في حديث رسول الله (ص وآله).

تحدث(ع)في خطبته عن الدنيا ، وحثَّ على العمل ليوم غدٍ (الا وَاِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارُ وَغَدَاً السَّبَاقُ) ،ثم يمضي مُحَوِّلاً على العمل(في ايام امله قبل حضور اجله..) ، وحديثه كان دعوة للفوز بالجنة قبل الدعوة لتجنب النار ، فالغاية الجنة ، (الا وَاِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارُ ، وَغَدَاً السَّبَاقُ ، وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةُ) ، من هنا قَدَّمَ ذكر الجنة على ذكر النار، واحضار التوكيد(واني) دلَّ على توكيد هذه الحقيقة ، واهميتها ، وقد تأتي لتوكيد استغرابه وسخريته منها .

انَّ سياق المقال،ومقتضى الكلام هو الذي عدل بالامام(ع)الى مثل هذا التقديم والتأخير،المهم أنَّ الحديث النبوي قد تسرَّبت معانيه،وتفرَّعت دلالاته في حديث الامام(ع)،فطغى بدلالاته في بنية النصِّ . وامتداد بنية النص النبوي،في نسق كلامه(ع) ،واعتماد صيغتي النفي والتشبيه في قوله(ع): ((لا عقل كالتدبير ،ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا وعَرَ كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ،

(١) نهج البلاغة،خ(٢٧)ج١/٦٧-٦٨ .

(٢) الجامع الصغير،جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ،دار الفكر العربي،بيروت،(د.ت).ج٢/٤٩٦ .

وجاء بتقديم(طالبها) على(واردها) في الروايات .

ينظر: المعجم الاوسط،ج٢/١٧٧،ج٤/٧٣،ج١٩/٢٠،بحار الانوار،ج٤٤/٧٤،كنز العمال،ج١٦/٢٠٣ .

ولا علم كالتفكير ، ولا عبادة كإداء الفرائض...^(٣)، وهما صيغتان تقودان الى حصر وتوكيد ما قاله ، وهذا من قوله(ص واله) : ((لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق))^(١) .

وفي مورد ذمه المدبر لأصحابه حين تقاعسوا عن نصرته ، اقتبس حديثا نبويا شريفا^(٢)، حين قال مويخا: ((ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل، وأنكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات))^(٣)، وهذا نقيض ما قال الرسول(ص واله) ماحا الانصار: ((أنكم لتكثرون عند ألف زع، وتقلون عند أوطأ مع))^(٤) .

جاء ق سَمَهُ (والله) لتوكيد حقيقة هؤلاء، ثم استدعى اكبر حشد من المؤكدات تمثلت في(ان، القسم، الألام): ((أنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات))^(٥) - رغبة منه(ع) في توكيد حال هؤلاء، وتقيده منهم، والمفردات(الباحات، الرايات) كنايةتان عن الغنائم والحرب، أنهم كثير في السلم والغنائم^(٦)، وقليلون في ساحات الحروب تحت الرايات، وهذان الوصفان من لوازم الجبن والوطأ مع، كما ان مقابلهما من لوازم الشجاعة، وعزة النفس، لذلك مدح السول(ص واله) الانصار بعكس هذه الاوصاف .
نحن ازاء نوعين من الطبايق؛ لغوي ظاهر في المفردتين: (كثير، قليل) ومعنوي تمثل في تناقض المعنيين(الباحات والرايات) .

نجح الامام(ع) في الاحالة الدلالية العكسية للحديث، اعتمادا لمنظوميته المعنوية، ومنظومته الدلالية، تاركا ادراك القيمة الايحائية للمتلقي حين يستذكر حديث رسول الله(ص واله) في الانصار .

وكذلك قوله(ع) في حق اهل البيهتخ((الذين يخيبركم حكمهم م عن علمهم ، وصمتهم م عن منطقتهم ، وظاهرهم م عن باطنهم ، لاخيالفون الدين ، ولا يختل فون فيه ، فهو بينهم م شاهد صادق ، وصامت ناطق))^(٧)، وهو من قوله(ص واله): (اني تارك فيكم الثقيلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي،

(3) نهج البلاغة، خ(١١٣)، ج٣/١٧٧ .

(1) سنن ابن ماجه ، ج٢/١٤١٠ ، الجامع الصغير، ج١/٤٢٨، ج٢/٧٥٠، مجمع الزوائد، ج٤/٢١٦، بحار الانوار، ج٧٤/٥٩ .

(2) ينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج٢/٢٩٥ . وينظر: بهج الصباغة، للتستري، ج١٠/٥٨٩ .

(3) نهج البلاغة خ(٦٦)، ج١/١١٣-١١٤ .

(4) النهاية في غريب الحديث، ج٢/٤٤٣ .

وورد بصيغة: ((انكم لتقولون عند الطع ، وتكثرون عند الفع)) .

تفسير القرطبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت(٦٧١) هـ، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ

العربي، بيروت، (د.ت)، ج١٤/٣١٥ .

وينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج٢/٢٩٥ .

(5) ورد بصيغة: (الباحة ، والراية) بصيغة الافراد في شرح الخوئي . ينظر: منهاج البراعة، ج٥/١٢١ .

(6) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٣٤١ .

(7) نهج البلاغة، خ(١٤٣)، ج٢/٤٣ .

كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فأنهما لن يفترقا حتى يودا علي الحوض (١).
لذلك فإنهم (عليهم السلام)، (لن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى) والمفردة (الدين) اسم
جامع ، ومن صديقته (كتاب الله).

وقال في وصيته لابنه الحسن (عليهما السلام): ((... وأمر بالمعروف تكي من أهله، وانكر المنكر بيدك
ولسانك وبأين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات
للحق حيث كان)) (٢)، وهذا ما أكده الحديث النبوي الشريف: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم
يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) (٣)، وكلاهما دعوة للعمل الصالح، وحث على
فعله، والتصدي للمنكر كل بحسب قدرته، باليهاؤ اللسان، أو بالقلب .

دعا الحديث النبوي الى ذلك بفعل الامر في احدى صيغ الامر، الفعل المضارع ولام الامر
فليغيره، وكلام الامام (ع) جاء بصيغة النصح والحث على انكاره باليد، واللسان، بعد التمهيد في الحث على
فعل المعروف ، والامر بالعمل به .

ولما كان الامام (ع) لا يريد مدافعة الباطل بالقلب فقط من قبل ابنه الحسن (ع) لا نجد المقطع (ومن
لم يستطع فبقبله)، فهو امام الامة والمدافع عنها من بعده وعليه ومدافعة الباطل باليد واللسان، وعليه ان
يبين من فعله يجهده، وان يجاهد في الله حق جهاده، وألاً تأخذه في الله لومة لائم، حتى لو تطلب الامر
خوض الغمرات حيثما كانت، والدليل على ذلك ما نجد في كلامه (ع) لسائر الناس حين يدعوهم الى دفع
الباطل، ومدافعته، باليد، واللسان، او بالقلب، كل بحسب استطاعته (٤).

والدليل الاخر هو قوله (ع): ((وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم)) وهذا مما
يتخطى الدفع بالقلب فقط، وكذلك دفع الباطل ولو يخوض الغمرات (ولفظ الخوض مستعار لمعانة
الشدايد، والدخول فيها لطلبه الحق) (٥)، ومن هنا ندرك فائدة التصرف بالحديث ليناسب مقام
المقال، وليطابق مقتضى الحال .

وكذلك قوله (ع): ((الصدقواء منج، وأعمال العباد في عاجلهم صب لئد نهم في آجلهم)) (٦)
، وهذا المعنى مأخوذ من قول المصطفى (ص واله): ((داؤوا مرضاكم بالصدق)) (٧)، فقوله (ص واله) الأمر

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧/٣٩٩ .
وينظر: السنن الكبرى، للنسائي، ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت (٣٠٣) هـ، تحقيق د. عبد الغفار سليمان، وسيد
كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م، ج ٥/٤٥ .

سنن الدارمي، ج ٢/٤٣٢ .

مسند ابي الجعد، ص: ٣٩٧ .

(٢) المصدر السابق، ك (٣١)، ج ٣/٤٤ .

(٣) مسند احمد، ج ٣/١٠ .

(٤) ينظر: نهج البلاغة، ق (٣٧٣)، ح ٣/٢٤٣، ق (٣٧٤)، ح ٣/٤٣، ق (٣٧٥)، ح ٣/٢٤٤ .

(٥) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/٣٦٤ .

(٦) نهج البلاغة، ح (٦)، ج ٣/١٥٣ .

(٧) السنن الكبرى، ج ٣/٣٨٢، كنز العمال، ج ١٠/٢٣، بحار الأنوار، ج ١٠/٩٩، ج ٦٣/٢٥، ج ٦٣/١٧٢، ج ٧٨/٢٠٣ .

صريح بفعل الأمر (داووا). وقول الامام المقتبس في معناه خبر فيه (فائدة الخبر) يفيد السامع معنى جديداً لم يكن يعلم به من قبل، فهو خالِ الدَّهْنِ من هذه المعلومة التي جاء بها الامام في ايجازٍ مكثفٍ الدَّلالةِ .

وقوله (ع) : (أعمالُ العبادِ في عاجلهم نَصَبَ اعيُنهم في آجلهم) مُقتَبَس من قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ خَيْرًا مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْتَزُّكُمُ اللَّهُ تَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (١) ، والمقطع الاول في الآيه المباركة هو محلّ الشاهد ، فما نعمله الآن وهو نصب اعيُننا سنجدّه . يوم الحساب . محضراً، نصب اعيُننا .

وهكذا تلمح مرة اخرى عرضاً وترغيباً بالاسلوب الخبري الموحى بالأمر المُحَبَّب للمتلقي، والفارق بين القولين لم يكن باختلافِ الاساليبِ النحوية من حيث كونها ادوات، او البلاغية من حيث كونها اساليب، بقدر ما كان اختلافاً في الطَّرْحِ ليلتقيا في نقطه واحده، فالرسول (ص واله) حَصَرَ التداوي بالصدقة فقط ، والمُتَبِّين بحرف الجر (الباء) ، والذي يوحى بالحصر والتخصيص ، والمعزز لذلك قوله (ص واله) بالدواء المنجح .

(١) آل عمران/ ٣٠ .

وينظر: شرح ابن ابي الحديد، ج ١٨/ ٨٠ ..

رَبِّ قَتْلِاسِ ، الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، غَيْرِ ، بِأَثَلِهِ (هـ لِيَهْنِر - وَي) .

هو نوعٌ لا يقلُّ شيوعاً عن سابقه في سطورِ النصوصِ النهجية^(١) وتمثّل بتحفيزِ الخزينِ الثقافي عند المتلقي ذي الاطلاع على الحديثِ النبوي الشريف والمحاولة الرجوع به الى معاني تلك الاحاديث ، وصياغتها في تشكيل بنائي جديد ينسجم وسياق النصّ الوارد فيه .
لقد هدّد ل الامام (ع) من معاني الحديث النبوي، مثلما كان الامر مع المعاني القرآنية فكانا منطلقاً لعملية الابداع عنده .

و قوله (ع) عند خروجه لقتال اهل البصرة: ((مالي ولقريش ! والله لقد قاتلتهم كافرين ، لا قاتلٍ نهم مفؤذين ، واني لصاحِبِهِم بِالْأَمْرِكِ مَا أَنَا صَاحِبُهُ هُمُ الْيَوْمَ !))^(٢) .
(مالي ولقريش) استفهام على سبيل الانكار لما بينه وبينهم^(٣) ، وعند التمعن في النص ندرك مغزى افرغ ادوات التوكيد من خلال (قَسَمُوكَ د، وَاللَّامِ، وَنُونِ التَّوَكِيدِ) المجتمعة في النصّ ، وبحسبِ التصنيف البلاغي نستطيع تصنيف هذا النصّ بأعتباره خبراً انكارياً، ولعلّ هذا التوكيد مأخوذ من تأكيد الرسول (ص وآله) في الحديث الذي اشار الى هذا الامر، اذ جاء عنه (ص وآله) لعلّي (ع) : ((ستقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل))^(٤) ، جاء التوكيد بحرف (السين) .

^(١) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٦٤)، ج ١/١١٢، خ (١٥٨)، ج ١/٨١، خ (١٦٠)، ج ٢/٨٦، خ (١٦٢)، ج ٢/٩٧، خ (١٧١)، ج ٢/١٠٩، خ (١٩٤)، ج ٢/٢٠٤، خ (٢٠٩)، ج ٢/٢٢٠، ك (٢٧)، ج ٣/٣١، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤، ك (٣١)، ج ٣/٤٢، ك (٤٨)، ج ٣/٨٧، ك (٥٣)، ج ٣/٩٢، ك (٦٣)، ج ٣/١٣٣، ح (٣)، ج ٣/١٥٢، ح (٥)، ج ٣/١٥٢-١٥٣، ح (٥٤)، ج ٣/١٦٤، ح (١٠)، ج ٣/١٤٥، ج ٣/١٨٥، ح (٢٤٤)، ج ٣/٢٠٧، ح (٢٨٧)، ج ٣/٢٢٢، ح (٣٤٢)، ج ٣/٢٣٤، ح (٣٨٩)، ج ٣/٢٤٧، ح (٤٤٤)، ج ٣/٢٥٩ .

^(٢) نهج البلاغة، خ (٣٢)، ج ١/٧٧-٧٨ .

يورد ابن ابي الحديد في شرحه تنمته لكلامه (ع) وهي: (والله ما قمت منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الاول :

أدمت لعمري شريك المحض صامحاً وأكلت بالزبد المقترة الب حراً
ونحن وهبناك العلا ولم تك عالياً ، وحطنا حولك الجرد والشمر

ينظر: شرح ابن ابي الحديد، خ (٣٣)، ج ٢/١٤٧ .

وبصيغة: ((ما تنقم منا قريش))، في شرح الخوئي . ينظر: منهاج البراعة ، ج ٧/٢١٣ .

وأورد ابن ميثم البحراني تنمة اخرى لهذه الخطبة في شرحه

فقال: "وقد نقت في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ: لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة

والخلافه قال له ما أتينا اليهم الا انا اجتأنا عليهم " .

شرح ابن ميثم البحراني، ج ١/٢٦٦ .

^(٣) نظر المكان نفسه .

^(٤) المناقب، ص: ٦١، بحار الانوار، ج ٣٨/١٣٤ .

وقوله (ع) - وان كان خبريًّا - يحمل في طيِّه تهديداً، لاسيما اذا تذكرنا انه (ع) قاله عند خروجه لقتال المارقين من قريش (فهو تهديد بأن يوقع بينهم القتال على فدتهم وضلالهم على الدين) (١). ولتزامم ادوات التوكيد دلالة اخرى تظهر غضبه، وسخطه، وو عيده لهؤلاء، وقد ختمه بقوله: (واني لاصحابهم بالامس، كما انا صاحبهم اليوم!)، وهو تصريح بأن حاله لم يتغير اليوم عما كان عليه في الامس عند قتاله المشركين مع رسول الله (ص وآله)، ولا فرق بين قتاله للمشركين على التنزيل، وقتاله للمارقين والناكثين والخارجين على التأويل.

وقال (ع): ((قَدَّرَ الارزاقَ كَثْرَها ، وَقَلَّها بِوَقَسَمَها على الضيقِ والسَّعةِ ، فَعَدَّلَ فيها لِيَبْلُتِيَ مَنْ اراد بِميسورها ، وَمَعسورها ، وَلِيخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ ، وَالصَّبْرَ مِنْ غَيبِها وَفَقِيرِها ، ذُمَّ قَدْرَها بِسَعَتِها عَابِدِها فَاقْتَدِها ، وَبَسَلَتِها طَوَارِقَ آفَاتِها ، بِوَفِّ - جِرْ أَفْرَاجِها أَوْ غَصَصَ أَثْرَاجِها وَطَقَّ الأَجَالَ فَأَطْلَمَها بِوَقَصَرِها ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا...)) (٢).

لقد صحَّ النبي الاعظم بالمعنى نفسه في قوله: ((انَّ اعطاءَ هذا المالِ فِتْنَةً وامساکه فِتْنَةٌ)) (٣). انَّ الناصبة ومعموليها، وما عطف عليهما، قدَّمت لنا بخبرٍ توكيديٍّ موجزٍ ومكثَّفٍ هذه الحقيقة التي فصل الامام (ع) القول فيها بحشدٍ لفظيٍّ متناسقٍ، انتظم في طباقاتٍ مسجوعةٍ من المفردات: (كثُرًا وقَلَّها، الضيقِ والسَّعةِ، ميسورها ومَعسورها، غَيبًا وفَقِيرِها، سَلَامَتِها وآفَاتِها، اِفْرَاجِها وَاثْرَاجِها، اِطَالَها وَقَصَرُها) والذي زاد من جمالية النصِّ وأثره في المتلقي هو انتهاء تلك المفردات بحرفِ المدِّ ذي الوقع الكبير في الازن والتصور لأكبر قدرٍ من الانفتاح الكمي لتلك التصورات، وكأنَّ تلك المفردات قد انفتحت على مصراعها لتعطي أكبر ما تستطيع من معانيها بفضلِ هذا المدِّ المُفْتَحِ الى ما لانهاية.

أراد الامام (ع) بقوله الله قَدَّرَ الارزاقَ فَكَثَّرَها عند الميسرِ وَقَلَّها عند المعسرِ سَمَّها على الضيقِ والسَّعةِ) هما مفردتان تحيلان الى (الغنى والفقر)، وكثرتُها عند الميسرِ ابتلاءٌ له في الانفاقِ الحلالِ واخراجِ الحقوقِ، وَقَلَّها عند المعسرِ اختبارٌ له في الصبرِ أو عَدَمِها، (عَدَّ فيها مَنْ اراد بميسورها، ومَعسورها، وليختبرَ بذلك الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَيبِها وفَقِيرِها)، اذ يعود اختبار الشكر عند الغني واختبار الصبر عند الفقير بحسب الترتيب في قوله (ع)، والامر في كليهما فِتْنَةٌ، وكلُّ منهما قد ينجح في الاختبار أو يفشل فأعطاؤه (في الغنى) فِتْنَةٌ، وامساکه (في الفقر) فِتْنَةٌ.

لقد جاء قوله تفصيلاً وبياناً لاسباب تلك الفتنه، لاسيما بعد ان بين الارتباط الموضوعي المحتمل بين السَّعة والضيق، والسلامة والآفات، والأفراح بالاتراح، وكذلك الأمر في الآجال - فهي ميدان الاختبار الكبير - فأطالها لبعض، وقصرها للآخر، فقَدَّمَهَا وأخَّرَهَا، وهذا كله فِتْنَةٌ واختبار.

(١) نهج البلاغة، خ (٥٦)، ج ١/١٠١.

(٢) المصدر السابق، خ (٨٧)، ج ١/١٧٧.

(٣) مسند احمد، ج ٥/٥٨.

مجمع الزوائد، ج ٣/٨٧.

وفي خطبة له (ع) قال بعد حمد الله، والثناء عليه: ((... وأنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله بأمره صادعاً ، وبذکره ناطقاً ، فأنى أميناً ، ومضى رشيداً ، وخلف فينا راية الحق : من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق ، دليلها مكيت الكلام))^(١).

انصب الحديث بأسلوب سردي خبري، ولأن السامع له انئذ لم يكن خالي الذهن من هذا الخبر، لذلك عدَّ خبر لازم الفائدة، هو خبراً للتذكير، وحاملاً معنى حديث نبوي شريف شاع وانتشر بين الناس والدالة عليه مفردات النص (وَلَخَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ) وقد صد بها قول المصطفى (ص واله): ((أني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً))^(٢)

وقوله (ع): (من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق) يعود الى قوله (ص واله): " مثل أهل بيتي مثل كسفينه نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق " ^(٣)، امتزج الحديثان معا في (راية الحق) ، والمقصود بهما: الثقلان، الكتاب والعتره^(٤) تلك الراية التي خسر من وضعها خلف ظهريه، وتقدم عليها ، او من تخلف عنها وتركها ، فالأول خارج من الدين ، والثاني هالك ، والفائز من لزمها

وقوله: (دليلها مكيت الكلام) يعني نفسه (ع) لأنه المشار اليه من العتره^(٥)، والضمير المتصل (الهاء) يعود الى الراية المتقدم ذكرها، كناية عن ان الكتاب لا يفارقه وهو لا يفارق الكتاب بحسب مضمون الحديث الشريف.

وفي آية ابداعية انطلق بها من معنى الاحاديث النبوية ((خذ ما تعرفه ودع ما لاتعرف))^(٦) ، و ((من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه))^(٧)، والحديث: ((دع ما يريبك الى ما لا يريبك))^(٨)

(١) نهج البلاغة، خ (٩٦)، ج ١/١٩٣ .

(٢) ينظر: منهاج البراعة، للراوندي، ج ١/١٥٨ . وينظر: منهاج البراعة ، للخوازي، ج ٧/١٥٨ .

ورد الحديث بصيغ عدة تتفق كلها في المعنى نفسه .

ينظر: المعجم الصغير ، ج ١ / ١٣١ ، المعجم الاوسط ، ج ٤ / ١٠ ، المعجم الكبير ، ج ٣ / ٦٦ ،

بحار الانوار ، ج ٢٣ / ١٠٨ ، ج ٣٥ / ٢٢٩ ، ينابيع المودة ، ج ٢ / ٨٩ .

(٣) مجمع الزوائد، ج ٩ / ١٦٨ .

كما ورد بصيغ أخرى متقاربة.

ينظر: ينابيع المودة ، لذوي القربى ، الشيخ سليمان بن ابراهيم الحنفي ت (١٢٩٤هـ)، تحقيق سيد علي جمال اشرف

الحسيني، مطبعة اسوة، (د.ت) ، ج ٢ / ٩٠ .

و: المعجم الكبير، للطبراني، ج ١ / ١٣٩ . و: بحار الانوار، ج ١٨ / ٣٤٧ ، ج ٢٣ / ١٠٥ ، ج ٢٧ / ١١٣ . و: كنز العمال، ج ١٢ / ٤

(٤) شرح ابن ابي الحديد ج ٧ / ٧٠ .

(٥) ينظر: المكان نفسه

(٦) مستدرک الوسائل، ومستنبط المسائل، المحقق النوري الطبرسي ت (١٣٢٠هـ)، مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث،

١٤٠٨ هـ ، ج ١٧ / ٢٥ .

(٧) صحيح مسلم، ج ٢ / ١٣١٦ ، المعجم الصغير، ج ٢ / ٤٣ ، المعجم الاوسط، ج ١ / ١١٥ .

(٨) البخاري، ج ٣ / ٤ ، سنن الدارمي، ج ١ / ٢٩ ، ج ٢ / ٤٥ ، مجمع الزوائد، ج ١٠ / ١٢٥ .

وبِأَلْيَةٍ تَتَأَصَّبُ، سواء أكانت بقصد أم بغير قصد، معنى الحديثين مدمجاً في بنية شكلية نصية جديدة في وصية الامام الحسن (ع): ((. . . فاصلح شواك ، ولاتبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لاتعرف ، والخطاب فيما لم تتكف ، وامسك عن طريق اذا خفت ضلالتك ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال)) (١).

لقد تواسجت معاني الحديثين لتصب في النص دفعة واحدة، اذ يرى ان القول: (ودع القول فيما لاتعرف) من قول المصطفى (ص واله) الاول والقول: (والخطاب فيما لم تتكف) من الحديث الثاني، والقول: (وامسك عن طريق اذا ما خفت ضلالتك) من الحديث النبوي الثالث (٢).

تسربت معاني الاحاديث وتوزعت بين سطور النص وثناياه ، وبكلمات يسيرات " ان قيمة العبارة الفنية تتضخم بمقدار ما تنجح الى السهولة واليسر " (٣).

وفي كلام موجز مكثف في ذم ابليس والتكبر ، فذكر (قائيل) ضمناً ، وما الحق به من آثام: ((. . . ولا تكونوا كالتكبر على ابن امه ، من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت الظمة بنفسه من عداوة الحسوف دحت الحمية في قلبه من نار الغضب ، وقح الشيطان في انفه من ريح الكبر الذي اعقبه الله به الندامة ، وألزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة)) (٤).

ويرى التسري في شرحه انه مقتبس من الحديث النبوي: ((ما من نفس قد ل ظمماً الا كان عن ابن آدم الاول كفل منها، وذلك لأنه اول من سن القتل)) (٥)، ذابت ملامح الحديث البنائية لتحل محلها دلالاته المعنوية بلغة دالة، قادرة على العطاء والافناع، على وفق بناء صوتي اخاذ وقد تجسد في هيكل من الجنس المظتط بالسجع، فكان الحديث من نسيج كلامه فاضحى نصلد سح ببراعة لفظية، ومعان صيغت بصورة بارعة لما دعا الى عدم التكرار كما فعل قائيل فلحقته الندامة والآثام الى يوم الين ويدرك المتلقي تلك الاشارة الضمنية - في الكلامين - الى (قائيل) دون التصريح باسمه .

وكلامه (ع) مبني على ما اقره الرسول (ص وآله) ما عله ، لأنه - قائيل - (اول من سن القتل)

(1) نهج البلاغة، ك (٣١)، ج ٤٤/٣ .

(2) ينظر: شرح ابن ابي الحديد، ج ٥٠/١٦ .

(3) دراسات فنية في صور القرآن ، د . محمود البستاني ، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ١٤٢١هـ ، ص : ٤٦ .

(4) نهج البلاغة، (١٨٧)، ج ١٦٥/٢ .

(5) بهج الصباغة، التسري، ج ١٥/١-١٦ .

وينظر: تاريخ الطبري، ج ١/ ٩٦-٩٧ .

أَلْفَصْلُ الثَّانِي وَضِيفَةُ الْاِقْتِبَاسِ

المَبَحَثُ الأوَّلُ: الوَضِيفَةُ الدَّلَالِيَّةُ.
المَبَحَثُ الثَّانِي: الوَضِيفَةُ الفَنِيَّةُ.
مَدخَلُ :

وظَّفَ الأمام ما أقتبس من القرآن والحديث النبوي في نصوصه بطرقٍ شتَّى، من خلال توظيف المعاني والدلالات، والإشارات في الآية، أو الحديث .
إنَّ استحضارهما . بالطرق المختلفة . لم يكن استحضاراً شكلياً، بل هو سعيٌّ نحو التوظيف، والاستخدام الدلالي ، وسعي نحو قصديَّةٍ مرجوة ، ومبتغاة لم يكن الغرض منها التزيين فقط، فالنص ليس عملاً إبداعياً فقط، إنما هو "مدونةٌ حدِّث كلامي ذي وظائفٍ متعدِّدة " (١).
كان الأمام (ع) مدركاً لأثر النصِّ في التوظيف، فتمثلت معلماً واضحاً من معالم النص النهجي عنده من هنا نجد نصوصه ذات أثر في خدمة الإنسانية، والحضارة، فهو أدب وظيفي أوعلى الأقلِّ كانت الوظيفة من مرتكزاته الأساسية (٢)، حيث يُّوظف كلُّ شيء من أجل الهدف.

(١) تحليل الخطاب الشعري " إستراتيجية التناص " د محمد مفتاح، ص: ١٢٠

حين تكلم في خطبه ، وكتبه، ومواعظه ، لم يكن غرضه السرد التاريخي المُجرد لما يقتبسه، بقدر ما كان يبتغي استنطاق الحدث ، والخروج به إلى توظيف مُثمر للإسهام في بناء الإنسان والمجتمع ، فالقصدية والغرضية ، والوظيفية كانت نصب عينيهِ في أغلب الأحيان إذ لم يكن النصُّ عنده بمعزل عن الحياة ، فهو إمام الأمة ، وقائدها ، ومُرشدُها ، وله القدرة على توظيف النص ، لتمكنه من أدواته الفنيّة التي يستطيع بها توجيه نصّه نحو القصدية المُبتَغاة في توجيه الأحداث ، وإحداث الأثر فيها، أو من خلال " كشف مكنونات الذات ثم إيصالها إلى الملتقى " (٣)

ويدرك الملتقى لنصوص النهج الغرض الوظيفي المُتعدّد الجوانب، والنتائج عن تفعيل الخزين المعنوي للنصوص المقتبسة فيه، ولا تقلُّ أهمية الوظيفة عن أهمية الإبداع، باعتباره استثماراً لذلك الإبداع، وسيشمل الفصل نوعين من المستويات الوظيفية، المستوى الدلالي، والمستوى الفني، وبيان ما لهذين المستويين من أقسام وفروعٍ

لمبحث الأَوْلَى : التوظيف الدلالي

سُدَّ سَلَطَةُ الضوء في هذا المبحث على أبرز الاتجاهات الرئيسة في التوظيف الدلالي ، والمُتَّكِل في أنماطٍ وظيفيّة هي: (وظيفة التوكيد ، ووظيفة التذكير والتنبية، ووظيفة الشرح التعليل ، ووظيفة الترهيب والترغيب ، ووظيفة التحذير ، ووظيفة الإيجاز ، ووظيفة المدح والذم ، ووظيفة السرد ، ووظيفة النصح والإرشاد ، ووظيفة التعظيم والتحقير) .

أولاً وظيفة التوكيد

(2) ينظر: من روائع النهج، ص: ٣٥.

(3) المصدر نفسه، ص: ٥.

احتلّ التوكيد منزلةً كبيرةً في الدراسات النحوية ، واللغوية ، والبلاغية فهو " في العربية من أساليبها المعروفة ، لاغنى للمتحدث عنه، سواء في اللغة أم في الكلام الدارج ، فالمتحدث يخبر مرّة ، ويُجيب عن التساؤل أخرى ، ويردّ على إنكارٍ منكر ثالثه ، وفي الحالتين الآخرين يجد نفسه مضطراً إلى تكرار الكلام أحياناً توثيقاً وتمكيناً . " (١)

ومن شواهد ذلك قوله (ع): ((وأشهد أن من شبّهك بتباين أعضاء خلقك ، وتلاحم حقائق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك ، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يشر بقله باليقين بأنه لا ند لك ، وكأنه لم يسمع تبرؤ القابعين عن المتبوعين ، إذ يقولون: " تالله إن كلّا في ضلالٍ هيين ، إذ نسويكم برب العالمين ")) (٢).

قول هؤلاء المخدوعين لمن أضلّوهم مأخوذ من القرآن بصورة مباشرة (٣)، عبر الاقتباس وقد جاء بياناً ، وتوكيداً لمآل موقفهم حينئذ، وجلّاءً للحقيقة الحتمية لمن ظنّ الخالق كالمخلوق، فشبهه، وجسمه .
الصيغة البنائية للآية المباركة تحمل توكيداً ظاهراً والمتمظهر بالقسمة واللام (تالله ، لفي)، فأفاد الإمام من هذا الملمح التوكيدي لتوكيد ما أراد بيانه من معنى، وهو ندم أولئك الذين ساووا بين الخالق والمخلوق، فأصبحوا في ضلالٍ مبین .

وللتوكيد على عظيم أمر الصلاة، والحثّ عليها، اقتبس آيتين من كتاب الله، في إحدى خطبه، في نصّ مكثّف ، لتبث أثرها الدلالي التوكيدي، في روح الملتقى، وتدخله في دائرة اليقين، فقال: ((تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فأنت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سُئلوا: " ما سلككم في سقر قالوا لم نك من الصّالّين ")) (٤) .

اقتبس الآية بمعناها في قوله: ((فأنت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)) (١)، والأخرى بنصّها (٢)، في النصّ الذي ابتدأه بفعل الأمر (تعاهدوا)، وعزّزه باستحضار هذين الاقتباسين .
وقوله (ع): (عليها ، منها ، بها) والعائدة بضمائرها إلى الصلاة ، تكاد تكشف عن حقيقة مهمة لأمر الصلاة ، وكأنه أراد القول بإحاطتها ، وشموليّتها لكلّ عملٍ من أعمال المرء في الدنيا .
وبعد توكيد فرضها (كتاباً موقوتاً) أكّد أهميتها الظاهرة ، من خلال جواب التاركين لها ، أنه جواب مكتنز الدلالة ، والأثر، من هنا يدرك المتلقي مقدار ما كان لها من القدرة على إثبات صحّة احتجاجه (ع) في تأكيد أهميتها ، وأنها من العبادات المهمّة في نظر الشارع (٣).

(١) أسلوب التوكيد في سورة فصلت، هادي عبد علي هويدي، مجلة القادسية، مجلد ٢، ع ٣، لسنة ٢٠٠٢، ص: ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، خ (٨٧)، ج ١/ ١٦٢ . ١٦٣ .

(٣) سورة الشعراء/ ٩٧-٩٨ .

(٤) نهج البلاغة، خ (١٩٤)، ج ٢/ ٢٠٤ .

(١) من قوله تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيُوا الصَّلَاةَ إِنَّ

الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) ، النساء/ ١٠٣ .

(٢) سورة المدثر/ ٤٢ . ٤٣ .

وهناك توظيف مماثل للنص القرآني باستحضاره توكيداً في الخطاب والحكمة والكتاب (٤).

تلحديث النبوي الشريف دورفي التوكيد، كقوله (ع) في كتاب إلى بعض عماله مؤبداً، بعد أن سرق من أموال بيت المال، وهرب إلى معاوية: ((والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل التي فعلت ما كان لهما عندي هودة، ولا فخر را مني بإرادة، حتى أخذ الحق منهما، وأزيل الباطل عن ظلتيهما)) (٥)، ويبدو فيه أثر قول المصطفى (ص وآله): (والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٦).
لقد دخل الحديث النبوي الشريف بتركيبه، ومعناه في كلامه (ع) فبث فيه دفقةً من التوكيد دالة على رفضه للظلم والباطل، وأن قام بهما أقرب الناس إليه .

توظيف التوكيد فيه

ومن ذلك التوظيف قوله (ع): ((فأتعظوا عباد الله بالعبر التوابع، واعتبروا بالآي السواطع، وازدجروا بالنذر الوالغ وانتفعوا بالذكر والمواظ، فكأن قد لقتكم مخالباً المنية، وانقطعت منكم علائق الأمدية، ودهمتكم مفضعات الأمور، والسياسة إلى الورد المورود، وكل نفس معها سائق وشهيفسائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها)) (١).

في النص إشارة اقتباسية ترجعنا إلى قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (٢)، استعمل الإمام النص القرآني بتغيير طفيف في إبدال حرف (الفاء) بحرف (الواو) لضرورة سياقية استدعت مجيء حرف الفاء الدال على المباشرة، بصورة بيانية متحركة ابتغى من ورائها التذكير بيوم الحساب والاستعداد له.

وختم خطبة وعظ بها أصحابه بقوله تعالى: (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولا يسمعون ما استدعوا ولكم يوم القيمة يكفرون بشرككم ولا يتبئكم مثل خبير) (٣)، بعد أن قال: ((فالحذر الحذر أيها المستمع، والجد

(3) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، د ١٦٠/١٠ .

(4) ينظر: خ (١٥٥)، د ٧٣/٢، خ (١٨٧)، د ١٧٤/٢، ك (٨) ج ٣/٣ .

(5) نهج البلاغة، ك (٤١)، ج ٧٤/٣ .

(6) السنن الكبرى، للنسائي، ج ٣٣٤/٤ .

سنن النسائي، ج ٧٥/٨ .

(1) نهج البلاغة، خ (٨١)، ج ١٤٦/١ .

(2) سورة ق/٢١ .

(3) سورة فاطر/١٤ .

توظيف الشِّءِ والهِءِ على حيل

وكثيراً ما اعتمد (ع) الاقتباس ووظفه للشرح، والتعليل، ومما يرتجى أن يقوم المفسر بتسليط الضوء على المفاهيم القرآنية لتُسفر عن معانيها، غير أنَّ الأمام استعان بالنصِّ القرآني ليفسِّر به بعضَ المعاني والمفاهيم التي يريدها لبيانها للمتلقى عبر الاقتباس .

من ذلك قوله في خطبة له بذي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ، ذاكراً للنبي المصطفى (ص والهِءِ): ((فصدعَ بما أمر به ، وبلغَ رسالاتِ ربِّه ، فلمَّ به الصدع ، ورتقَ به الفَ تَق ، وألَّفَ به الشَّمْلَ بينَ ذوي الأرحامِ بعدَ العداوةِ الواغرةِ في الصدور ، والضَّعائِرِ القادحةِ في القلوب))^(١)

النصُّ في مقام التثاء على المصطفى (ص وآله)، وبيان فضله على الأمة، والمفردات (صدع ، رتق ، فتق) استحضرت معها ظلالاً من المعاني الساندة لهذا الشرح، وهي إحالات إلى آيات قرآنية، منها: (فَاصدعْ بما تُوِّمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الشُّرِكِينَ)^(٢)، وكذلك قوله تعالى: (أو لم ير

(١) نهج البلاغة، خ(٢٢٦)، ج٢/٢٥٣.

(٢) سورة الحجر/٩٤.

الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما (٣)، وكذلك: (يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَصِيبُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (٤) من الصعب أن نجد مفردة واحدة تستدعي معها نصاً عرف بها وعرفت به، فيصبح حضورها طاغياً، وموجياً في النص الذي استضافها.

وعلى الرغم من كونها مفردات إلا أن ما يرافقها من عبارات مكثفة أت وظيفة الشرح والبيان لما قام به رسول الله (ص وآله) .

لقد كانت إشارات دالة، أحسن الإمام توظيفها في النص، مثلما فعل في مواضع أخرى (٥) . واستحضر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَتَحَسَّبُوا مِنْ يَسُوفَ وَآخِيهِ وَلَا تَيَسَّوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ) (٦)، ليعلل به فقال: ((لاتأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله، لقوله سبحانه وتعالى " فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " ولاتأمنن لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى " إنه لا يأمن من روح الله إلا القوم الكافرون ")) (٧) .

وقال ابن أبي الحديد: " والاحتجاج بها جيد لأشبهة فيه " (١) . من ذلك أيضاً قوله (ع): ((بعث الله رسلاً بما خصهم به من وحيه ، وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعدار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق)) (٢) . والقول : (وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعدار إليهم) من قوله تعالى : (رُسُلًا مُبْتَرِينَ وَمُنْتَهِنِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيْمًا) (٣) ، وفي هذا تعليل ظاهر اعتمده من اصل الآية المقتبسة مع إبدال بسيط في بعض مفرداتها . وقال مقتبساً من قول رسول الله (ص وآله): (إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، أما الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل في نسي الآخرة) (٤) : ((و إن أخوف ما أخاف عليكم؛ اتباع الهوى وطول الأمل)) (٥) .

(3) سورة الأنبياء / ٣٠ .

(4) سورة المائدة / ٦٧ .

(5) ينظر: الفصل الأول، ص: ١٦-٣١ .

(6) سورة يوسف / ٨٧ .

(7) نهج البلاغة، خ (٢٧٧)، ج ٣ / ٢٤٤ . ٢٤٥ .

(1) شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩ / ٢٧٤ .

(2) نهج البلاغة، خ (١٤٠)، ج ٢ / ٣٦ .

(3) سورة النساء / ١٦٥ .

(4) بحار الأنوار، ج ٦٧ / ٧٥ .

(5) نهج البلاغة، خ (٢٧)، ج ١ / ٦٨ .

واستحضر من قول المصطفى (ص وآله): ((أياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب))^(٦)، في قوله (ع): ((ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب))^(٧)، وهو توظيف للحديث النبوي الشريف، وأن كان بشيء من التصرف المقصود، وهو في مقام التعليل أيضاً^(٨) باستخدام هذا الحديث أراد الإمام أن يوسع دائرة فهم المتلقي نظراً لأهمية الموضوع الذي طرحه، فهو لم يقف عند حدود نهييه عن الحسد، بل أعطى تعليلاً لذلك، فهو نهيٌ معللٌ، وضح فيه سبب النهي عن الحسد فأستحضر الحديث النبوي الشريف، وربطه مع ما سبقه بالرابطة: (فإن) .

قد يأتي بالنص القرآني ليشرحه، أو يوضح معناه، كقوله (ع) مفسراً قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْعَلْبِ وَالْأَحْسَانِ وَيَتَّعَى نِي الْقُرْبَى وَيُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ))^(٩)، فقال (ع) مفسراً: ((العدل: الأنصاف، والإحسان: التفضل))^(١٠)، وقال ابن أبي الحديد: ((وهذا تفسير صحيح أتفق عليه المفسرون كافة))^(١١)، ولم يقف هذا التوظيف عند هذه الأمثلة فقط، في النصوص النهجية^(١٢) .

رأوظيفة التـ رغبولتـ رهـ يب :

للتغريب والترهيب دورهما في نصوص النهج، لإدراكه (ع) ما لهذين الأمرين من أهمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بطريقة لا يظهر هذا الأمر والنهي صريحاً بألفاظه المعهودة.

ولقد وظف قوله تعالى: ((وَلَا يَأْتِي لِي أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَى وَالسَّكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُؤْتُوا وَيُصَفِّحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))^(١)، وقوله تعالى: ((كَذِبُوا لَاتَّقُوا رَبَّهُمْ حُلَّتْ لِي تَحْجِي مِنْ تَحْتِهَا مَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَذُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَوَارِ))^(٢)، مرغباً في وصية له (ع) قبيل وفاته لما ضربه ابن ملجم (ع): ((أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، أن أبق فأنا ولي دمي، وإن أفن فأفناء ميعادي، وإن اعف فاعفوا لي قربه، وهو لكم سنة فأعفوا: "الأتْحَبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ" والله ما فجأني من الموت وإرد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلا كقاربٍ ورد، وطالبٍ وجد " وما عند الله خيرٌ للأبرار))^(٣) .

(6) ينظر: صحيح الترمذي، ج ٥/١٧٨ . ١٧٩ . صحيح البخاري د ٣/٢٧١، المعجم المفهرس لألفاظ

الحديث النبوي الشريف د ٣١/٦

(7) نهج البلاغة، خ (٨٢)، ج ١/٤٩ .

(8) ينظر خصائص الجملة العربية في نهج البلاغة، ص: ١٥٠ .

(9) سورة النحل/ ٩٠ .

(10) نهج البلاغة، خ (٢٣١)، د ٣/٢٤٠ .

(11) شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩/٥٤ .

وينظر: منهاج البراعة، للخوئي، ج ٢/٣٠٠ . وينظر: في ظلال نهج البلاغة، ج ٢/٣٥٥ .

(12) ينظر: نهج البلاغة، د ٦/١٧١، د ٩/٧٧، د ١٨/٣٣١، د ١٩/٢٧٤ .

(1) سورة النور/ ٢٢ .

(2) سورة آل عمران/ ١٩٨ .

(3) نهج البلاغة، وصية (٢٣)، ج ٣/٢٤ . ٢٥ .

بسبق صوتي منسجم حزين يلقي قوله تعالى في وصيته مغرباً بالعبو، ليصلوا به إلى مغفرة الله، في
جمل خبريه مسجوعة، تبعثها جمل شرطية، حاضرة الجواب، يتلوها أمر عزه بعرض، واغراء الهي يحث
على العفو، ويرغب فيه .

ينتقل بعدها بالمتلقين نقلة كبيرة حين يتحاث عن نفسه (ع) مؤكداً قبل ذلك بقسم صريح (والله) سبق
جملتين منفيتين بحرفي (ما) و (لا): (ما فجأني من الموت وأراد كرهته ولا طالع أنكرته) ثم أكد قوله هذا
باسلوب القصر المتحقق بالنفي والاستثناء (ما كنت إلا كقارب ورد، وطالب وجد) وهو نوع من أنواع
التوكيد، حيث هناك الخير للأبرار (وما عند الله خير للأبرار) أنه عرض، وترغيب، وكلام محمول على
الندب (٤).

ولعب قوله تعالى (أريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلها أئمةً ونجعلهم
أورثين) (٥) ، دوراً في الترغيب وبث الأمل في النفوس، حين أقتبسها وتلاها عقب قوله (ع): ((لأعطفن
الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها)) (٦).

شبه الدنيا بالناقة الشموس في استعارة مكنية دللت عليها إحدى خصائصها وهي (شماسها)، والناقة
الشموس هي التي تستعصي على ركبها، والضروس: السيئة الخلق، والتي تعضّ حالبها، غير أنها مع ذلك
تعطف على ولدها .

واللام في ((لأعطفن)) يدل على المباشرة والقرب، فيكون المعنى أن الدنيا على قساوتها مع اتباع أهل
البيت (عليهم السلام) تستعطف عليهم وإذا كان هذا الأمر مستغرباً كغرابية ركوب ناقة شموس أو الاقتراب
منها، فإن الإمام أكد هذا الأمر وقربه، ورغب في حصوله في أقرب وقت، وبهذا يتسم النصّ بوضوح المعنى
والقدرة على التشويق وزرع الأمل في النفوس .

لقد تكلم بما يحرك فيهم الأمل الراقد، والأمنيات الخاملة لتكون فاناراً في بحر متلاطم من
الهم، والأحزان، والانكسار بفعل الضربات النفسية الموجهة لهم من الناكثين، والمارقين، والخارجين .
ومن شواهد التوظيف الدلالي للاقتباس ليؤدي دور التهيب قوله (ع) مذكراً ومربهاً من عذاب يوم
المحشر، والاستعداد لذلك اليوم الذي تبعث فيه القبور: ((كيف بكم لو تاهت بكم الأموود عثرت القبور: "
هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، وردوا إلى الله مولاهم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون ")) (١)

بدأ كلامه باستفهام لا على سبيل السؤال، بل للتذكير والتهيب من تلك الحال، حين يتركون الدنيا
وما فيها، ويخرجون من قبورهم وحفرهم كل بعمله، انه استفهام مغطى بنبرة التهيب .

و (عثرت القبور) تركيب قرآني (٢) له وقع الكبير في النفوس، لما يرتبط به من معان فرة، وما
يحمل من ظلال معنوية، رافقته، واقتربت به أينما حلّ وذكر، انه استدعاء لمعان خفية أحر، خفية بألفاظها

(٤) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٥/ ١١٢ .

(٥) سورة القصص/ ٥ .

ينظر: بهج الصباغة، التستري ح ٣/ ٤٩٥ .

(٦) نهج البلاغة، ح (٢٠٩)، ج ٢/ 198

(١) نهج البلاغة، ح (٢٢١)، ج ٢/ 274

حاضرة بآثارها، وتستحضر من خلال السياق الذي استتفرها من الخزين الثقافي للمسلم على وجه الخصوص .

وهو تركيب متكون من مفردتين قرآنيتين لهما من الفصاحة والبلاغة، والبيان والظهور، ما لا يمكن لغيرهما أن تثبت من المعاني المنبثقة عنهما " فالألفاظ القرآنية لها من الفصاحة والبلاغة، والبيان والظهور ما لا دانيها كلام " (٣).

ولحضر النص القرآني ساعد على تعزيز الترهيب، والآية المنتقاة في النص (٤) ترهيباً، وتخويفاً بتلك الأحوال ليذكروا شئاً مما فيزعون إلى العمل (٥).

وفي خطبة أخرى نلمح ترهيباً ، وتحذيراً من خداع الدنيا، وسوء منقلبها فهي ((دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهَبٍ ، وَعَطَبٍ)) (٦)، واهلها ((على ساقٍ وسياقٍ ، وإِحَاقٍ وَإِفْرَاقٍ)) (٧)، وهم بعد فراقها بين ((عاضٌّ على يديه، وصالقٌ بكفِّه ، ومُرتَقٍ بخديهِ ، وزارٍ على رأيه، وراجعٍ عن عزمِهِ)) (٨)، ما العمل ((وقد أدبرت الحيلة ، وأقبلت الغيلة ولات حين مناص! هيهات ، هيهات! قد فات ما فات ، وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحالٍ ولا هالما بكت عليهم السماءُ والأرضُ وما كانوا منظرين)) (٩).

بعد تصوير بياني متحرك بفعل الجمل الفعلية، تطل الآية بدلالاتها على الترهيب، والتهويل، لمن نسي الآخرة، ولم يعمل لها، سوف لن تبكي عليه السماء، والمراد بهم الملائكة وأهل الأرض . لأنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم (٢)، ويرى ابن أبي الحديد أن المراد المبالغة في تحقير شأنهم (٣) .

خامسة الت هويلو عير :

أخذ الاقتباس دوره الواضح في التهديد والوعيد ، فأسلت كلماته (ع) كالسيوف والسهام في قلوب من قاصدهم من خلال الاقتباس ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب له (ع) أرسله إلى معاوية ، وقد ختمه بآية قرآنية (٤) مهدداً، ومثوقاً فقال: ((وَأَنَا مُرَقَّلٌ نَحْوَكُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ

(2) من قوله تعالى: " وَإِنَّا الْقُبُورُ بُعِثَت " . الانفتار/٤

(3) أساليب البيان في القرآن، ص: ٨٢ .

(4) سورة يونس/ ٣٠ .

(5) تفسير ابن ميثم البحراني، ج ٢/ ١٥٠ .

(6) ينظر: نهج البلاغة، ح (١٦٨)، ج ٢/ ١٥٩ .

(7) ينظر: المكان نفسه .

(8) المكان نفسه .

(1) المصدر نفسه، ج ٢/ ١٦٠ .

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣/ ١٩ .

(3) المكان نفسه .

(4) سورة هود / ٨٣ .

بإحسان ،شديد زحامهم ،ساطع تأمهم ، متسرلين سربال الموت ، احب اللقاء إليهم لقاء ربهم وقد صحتهم ذرية بدرية ، وسيوف هاشمية ، قد عرفت مواضع ضالها في أخيك وخالك ك وجدك ، وأهلك " وما هي من الظالمين ببعيد " (٥) .

إن ورود الآية في تهديد الكافرين بحجارة من سجيل ينذر بالوعيد، وكان خطابه مع الموحدين، لما خرجوا عن أمره، وطلبوا ما ليس لهم من إمارة، بدليل وقوع القتل والدماء بينهم، وبقرينة التصريح حين اقتبس الآية " وما هي من الظالمين ببعيد".

واتساق الجمل، وانتظامها في هندسة إيقاعية حادة كان له الوقع في نفس المتلقي، بما يعزز الوعيد ويرفده؛ (شديد زحامها، ساطع قتامة، متسرلين سرايل الموت) .

وبعد تهديده معاوية بالذرية البدرية، والسيوف الهاشمية، والتي يعلم معاوية أثرها، وفعالها في بدر وحنين؛ أستحضر قوله تعالى: " **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبِيعِدٍ** "، وعند الرجوع إلى سياق الآية المباركة نجد أن الضمير المتصل يعود إلى نار جهنم، وسياق كلام الإمام يشير إلى السيوف، عند ذلك ندرك معنى تشبيهها بنار جهنم باعتبارها ستردي معاوية فيها .

وله كتاب مماثل بعثه إلى معاوية أيضا، مهدداً بقوله تعالى: " حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين " (١)، بعد أن كتب له: ((٠٠ واحذر أن صيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل، وقطع الكبر! فأني أولي لك باله ألي غير فاجرة. ن جمعنتي وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباخك " **حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين** ")) (٢) .

وفي ذلك غليظ الوعد بعذاب شديد (٣)، ويقسم له سماً غير فاجر أن لو اجتمع به في ساحة الحرب، لا ينصرف منها حتى يحكم الله بينهما بما ستؤول له المعركة .

ومن أمثلة ذلك قوله (ع): ((أما أنكم سلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، وثرة يتخذها الظالمون فيكم سة)) (٤)، وفي هذا القول اقتباس توظيفي من قول الرسول (ص واله) مخاطباً الأنصار: ((ستلقون بعدي إته فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) (٥) .

(٥) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣ / ٤٠ .

(١) سورة الأعراف / ٧٨ .

(٢) نهج البلاغة، ك (٥٥)، ج ٣ / ١٢٤ .

(٣) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢ / ٤٦٧ .

(٤) نهج البلاغة، خ (٥٧)، ج ١ / ١٠٢ .

(٥) صحيح البخاري، ج ٥ / ١٠٤ . صحيح مسلم، ج ٣ / ١٠٩ . مسند احمد، ج ٣ / ٥٧ . سنن النسائي، ج ٨ / ٢٢٥ .

ورود بصيغة : ((فاصبروا حتى تلقوني ، وموعدكم الحوض)) .

صحيح البخاري ، ج ٤ / ٢٢٥ .

ساوانفء في الإيوانة لخيص .

للابجاز مكانته البارزة في البلاغة العربية، فهو أصلها، وروحها^(١)، وأصبح موضع عناية البلاغيين، واللغويين، والنقاد القدماء والمحدثين وإن كان بعضهم قد أطلق عليه مسميات جديدة^(٢). استطاع الإمام (ع) يبلور أفكاراً كبيرة في بضع كلمات جاءت كمنارات مضيئة، تكشف زوايا النص، بفضل إفادته من قياسات قرآنية، وإضاءات من الحديث النبوي الشريف، من مصاديق ذلك

(١) فن الاستعارة ص: ٣٣٣

(٢) سماها محسن أطميش بالتكثيف عند ما تحدث عن الصورة البيانية في الشعر. ينظر: دير الملاك، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ص: ٢٧٣، ص: ٢٧٣

قوله (ع) حين سُدِّلَ من بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم أحقُّ به؟ فقال: ((...حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه ، وسدِّفَ واره من ينبوعه ، وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً ، فإن ترتفع عنَّا وعنهم من البلادى أحملهم من الحقِّ على محضه ، وإن تكن الأخرى " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنَّ اللهَ عليمٌ بما يصنعون "))^(٣).

(جدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً): أي خلطوه، ومزجوه، وأفسدوه، والوبيء: ذو الوباء والمرض، وهذه استعارة تصريحية، وكأنه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم، وجعلها مظنة الوباء والسقم كالشراب الذي يخلط بالسَّمِّ، أو بالصبر فيفسد ويوبدُ يء^(٤).

والحال هنا بين أمرين؛ فإن كشف الله عنه هذه المحن حملهم على الحق الذي لا يمازجه باطل، كاللبن المحض الذي لا يخالطه شيء من الماء (على محضه)، وأن تكن الأخر، أي: إن اختاروا الباطل وابتعدوا عن سبيل الحق، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وهو اقتباس قرآني ظاهر^(٥).

بهذا لخصت الآية الموضوع كله، وجعلته في بؤرة دلالية مركزة أمام المتلقي، لأنها جاءت نتيجة لما قدمه الإمام (ع)، ولما تتضمَّنه من قيم دلالية متعالية .

واستدعى قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا وَسَّهَّ إِلَيْهِ أَمَّا كَتَبَ وَعَطِيهِ أَمَّا اكْتَسَبَ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْبُودْنَا وَاعْبُودْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٦)، ليوظفها في قوله (ع): ((اللهم لا تؤاخذني بما يقولون))^(٧)، لقد عبر بإيجاز شديد عن أمره مع قومه فدلَّت على أمور عدة؛ منها ظلمهم له، وعدم طاعتهم له، وبراعته مما فعلوا .

وقال: ((فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسلاًه، وأزله ملائكته، واكمر أسماعهم أن تسمع حسيس ناراً أبداً وصان أجسادهم أن تلقى غلواً ونصباً فلذلك فضل الله به يؤديه من يشاء والله ذو الفضل العظيم))^(٨).

إنَّ مآل العمل الصالح رفقة الرسل والملائكة، وصيانة الأسماع عن النار والأجساد عن اللغوب والتَّصَبُّب، هذا هو فضل الله الذي يؤتته من يشاء، لقد وُظِّفَت الآية لضغط المعنى ، وتلخيصه، وإيجازه، واستطاع أن يجعلها مثيرة ، ودالة إلى معنى مكتنز في ذهن المتلقي، من خلال تعليق المعنى في ذهنه عبر هذه الآية، فكانت وسيلة لا غاية عنده .

(3) نهج البلاغة، خ(١٥٧)، ج ٨٠/٢ - ٨١ .

(4) شرح ابن أبي الحديد ج ٩ / ١٩٩ .

(5) ينظر: المصدر نفسه، ج ٢٠٠/٩ .

(6) سورة البقرة / ٢٨٦ .

(7) نهج البلاغة، خ(١٨٨)، ج ١٨٧/٢ .

(8) نهج البلاغة، خ(١٧٨)، ج ١٣٦/٢ - ١٣٧ .

وتمظهر التلخيص عبر آية الاقتباس في قوله (ع) لما سأله رجل عابد يدعى (همام) عن صفات المتقين، وكأنه ينظر إليهم، فنثاقل الإمام عن جوابه، ثم قال له يا همام اتؤيّه واحسن: "فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (٢).

لم يتحمل همام هذا التلخيص، والتكثيف، فطلب جواباً غيره (٣)، إن تلخيصاً تحمل كلماته إشارات، وتداعيات متنوعة.

واستعار من الحديث النبوي الشريف لتلخيص المعنى وإيجازه قوله (ع) في وصية له لابنه الحسن (عليهما السلام): ((فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك وأكره له ما تكره لَهَا)) (٤)، وهو من قول الرسول (ص) واليه: ((لا يُوْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) (٥)، أضاف الاقتباس إضاءات جديدة للنص، وجاء مجسداً للرفض الضمني من خلال طرح النقيض له، والمستوحى من النفي الصريح في الحديث النبوي الشريف

سابوظيفة ، المواجهه م :

وللاقتباس وظيفة في المدح والذم، استطاع الإمام أن يفيد من هذا التوظيف في نصوصه، فبدت حاملة لصور حسية تحقق الإمتاع عند المتلقي، وتظهر بما ينسجم مع شعوره في حالتها القبول والرفض، فيتفاعل معها.

واقتبس بعضاً من التراكيب القرآنية فوظفها في المدح والذم، ومن هذه التراكيب (حزب الله) في كتاب أرسله إلى عامله في البصرة (عثمان بن حنيف)، وقد لبغّه أنه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها: ومما

(2) نهج البلاغة، خ (١٨٨)، ج ١٨٥/٢.

(3) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠/١٨٦.

(4) نهج البلاغة، وصية (٣١)، ج ١٥/٣.

(5) السنن الكبرى، ج ٦/٥٣٩.

المعجم الكبير، للطبراني، ج ٨/٣٠٨.

جاء فيه: ((طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضاها ؛ وعركت بجبهها وسها ، وهوت في الليل غمضاها ، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها ، وتوسدت كها ، في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعهنونهم ، وهممت بذكرهم شفاههم ، وتقشعت بطول استغفارهمونهم " أولئك حزب الله ، ألا أن حزب الله المفلحون " فاتق الله يا ابن حنيف ، ولتكفك أراضك ؛ ليكون من النار خلاصك))^(١).

بعد نصح وإرشاد لابن حنيف، وتذكير بالآخرة ، ختم كتابة بهذا المقطع ، حادثاً إياه على التقوى، فالقوز والجذل من ط. عن نفسه على تأدية الفرائض ، وعركها: (صبرها)^(٢)، علي وسها ، وط. عن نفسه على هجر النوم والكرى ، ولم يكن له فراش إلا الأرض ، ولم تكن وساده إلا الكف^(٣) ، وكان في معشر شغلهم ذكر المعاد، والخوف منه، وتجاقت عن مضاجعهنونهم . وهو لفظ من ألفاظ الكتاب العزيز (تجافى جذوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعماً ومماً رزقاهم يدعون) ^(٤)، وكثر ذكر ربهم على شفاههمونهمونهم بطول الاستغفار، فأولئك هم حزب الله .

بعد بيان صفات المؤمنين خص إلى مدحهم بأنهم حزب الله الفائزون برحمته، وهذا المدح بمدح ضمني تحقق بفعل التركيب القرآني القديس "وتجاقت عن مضاجعهنونهم" ، وقد يستقل لفظ واحد . لاعتبار كاملة . برسم صورة شاخصه، تارة بجرسه الذي يليه في الأذن، وتارة بظله الذي يليه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً^(٥) .

واستطاع بما يمتلك من مقدرة فنية توجيه الاقتباس إلى موارد الذم في كتاب بعثه إلى (المنذر بن الجارودي) وقد خان في بعض ما ولّاه من أعمال ((أما بعد فإن صلاح أبيك ما غرني منك، ووطننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إلى عنك لا تدلعي وارك انقياداً، ولا تبقي إلى آخرتك عتاداً تُعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولأن كان ما بلغني عنك حقاً، لجمل اهلك وشسع غلك خير منك))^(١).

(1) نهج البلاغة، ك(٤٥) ج ٣/٨٤ .

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦/٢٣١ .

(3) ينظر: المكان نفسه .

(4) سورة السجدة/١٦ .

(5) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، ط ١٤٢٤هـ، لسنة ٢٠٠٣م، ص: ٤٦ .

(1) نهج البلاغة، ك(٧١)، ج ٣/١٤٥ .

زخر النصُّ بالاقْتباسات القرآنية فغدت ومضات بين ثناياه تدلُّ على معاني جاءت بها معها، إذ مثل قوله (ع): ((لا تدع لهواك انقياداً) شاهداً على ذلك، فهو انعكاس لقوله تعالى: ﴿يَتَمَنَّوْنَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ فِى دِينِهِمْ لِيُحِثُّوا عَلَيْهِمْ ذُلًّا مِّنْ بَعْدِ إِذْ جَاءَتْهُمُ الْبُيُوتُ بِاللِّمَامِ﴾ (١) ، وكذلك في قوله: (وتعمر دنياك بخراب آخرتك)، فهو يعيدنا إلى قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعصون) (٢) ، وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُقْرَبَتْ مِنْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا أَوْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٣) ظاهر أثره في قوله (ع): ((وتصل عشيرتك بقطيعة دينك)) .

فمن بلّغ هواه، وباع آخرته بدنياه، وعمرها بخراب آخرته - وهو تصوير كاشف ساقه الإمام في مورد الذم . كان من الطبيعي أن يكون جملاً هلهله، وسشع غظه خير منه، وما كان الوصول إلى هذه المقارنة بالأمر الممكن لولا هذا التمهيد الذي صبّه الإمام على ذلك الشخص عبر توظيف النصوص القرآنية المقتبسة .

وثمة مثل آخر كس فيه الاقتباس لذم أولئك الذين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (ص) واله بقوله (ع): ((٠٠٠ حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، وابتكروا على الولاج ، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بموته ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه بغير موضعه)) (٤) ، ويبدو انعكاس النص القرآني (الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقنق حسنه نزلناه فيها حسناً إن الله غفور شكور)، جلياً (٥) في بيان صورة الذم لهؤلاء .

وخرج بالاستفهام المتتابع إلى غرض مجازي آخر، وهو الذم في أحد كتبه المرسله إلى معاوية جواباً: ((٠٠٠ ثم ذكرت ، ما كان من أمري وأمر عثمان، فلنك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له ؟ وأهدى إلى مقاتله ؟ أمّن بذل له نصرته فأستقده ، واستكده ؟ أمّن استصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قد مر عليه ؟ ، كلا والله: لقد علم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً)) (٦) .

نحن إزاء سيل من الأسئلة الاستنكارية، الدالة على الذم والاستهجان في نسق من الجمل الحادة بوقعها، والمتحقق بهذه الاستفهامات والاستنكارات (كلا)، و(القسم)، حتى يصل الإمام إلى ذروة الذم لمعاوية

(2) سورة الجاثية / ٢٣ . وينظر: بهج الصباغة، التستري، د ١١١/٨
(3) سورة البقرة / ٨٦ . وينظر: بهج الصباغة، التستري، د ١١١/٨
(4) سورة التوبة / ٢٤ . وينظر: بهج الصباغة، التستري، د ١١١/٨
(5) نهج البلاغة، خ (١٤٦)، ج ٤٨/٢ - ٤٩ .
(6) سورة الشورى / ٢٣ .

باستدعاء قرآني صريح^(٢)، ليعقد به تشبيهاً له بمن تكلمت الآية عنهم، مثلما وصفه - في كتاب آخر بعثه له - بالشيطان^(٣)

وهكذا الحال في توظيف قوله تعالى: (يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)^(٤)، في ذم هذا النوع من الناس الموجود في كل زمان ومكان فقال: ((لعن الله الأمرين بالمعروف والتاركين له، والناهين عن المنكر والعاملين به))^(٥)، فعدل عن الأسلوب الاستفهامي الاستكاري إلى أسلوب إنشائي، وأعتمد فئتين من البديع، وهما الموازنة، والطباق، متحققان بالنسق الواضح في التركيبين، وفي الألفاظ: (الأمرين، الناهين)، (المعروف والمنكر)، (التاركين له، العاملين به)، والمشاركة بعامل واحد وهو (عن) العائد إلى الله جل وعلا، والفعل (عن) صرح بالذم، قال ابن أبي الحديد: "ومن قوله (ع) ظاهر الذم بالقول: لعن"^(٦).

وجاء الذم بالمعنى الذي تستصعبه الآية المباركة، من حديث عن الأحبار الذين كانوا يأمرون أقاربهم باتباع محمد (ص واله) ولا يتبعونه، أو يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون^(٧).

وله (ع) نماذج آخر لهذا النوع من التوظيف^(٨).

ثامناً: وظيفة الصّح والإرشاد .

ويتجلى هذا التوظيف في الخطب أكثر من سواها، لما لها من تأثير مباشر على الجمهور " حيث يستثمر الخطيب العقل الجمعي لدى الجمهور في إحداث الإثارة المشار إليها"^(١).

من أمثلة ذلك قوله (ع) في كلام كان يوصي به أصحابه، ومما جاء فيه: ((تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فأنتها كانت على المؤمنين كاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى

(٢) سورة الأحزاب/١٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، ك (٤٤)، ج ٣/٧٧.

(٤) سورة البقرة/٤٤.

(٥) نهج البلاغة، خ (١٢٥)، ج ٢/١٧.

(٦) شرح ابن أبي الحدي، ج ٢/١٧.

(٧) ينظر: من كنوز القرآن، ص: ١٧٤.

(٨) نهج البلاغة، خ (٣٨) ج ١/٢٨٦.

(١) التفسير البياني، ص: ٥.

جواب أهل النار حيث نُدِلوا: " مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الصَّالِينَ "، وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الريق))^(٢).

تقاسم النص اقتباسان ؛ الأول من قوله تعالى: " حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى "، وهو اقتباس غير مباشر ، والثاني تمثل في صورته الظاهرة في النص^(٣)، والآية المقتبسة اقتباسا مباشرا أنت داعمة ، ومُعززة لتوكيد أهمية الصلاة ، و الحفاظ عليها ، وهما في مقام التذكير ، والوعظ ، والنصح والإرشاد .

كما وظّف قوله تعالى: " وَمِنْ رَحْمَتِ رَبِّكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَتَسْكُوا فِيهِ وَلَتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ^(٤)، في قوله (ع): (والله مستأديكم شكره ومورثكم أمره)^(٥)، مع الاختلاف بين صيغتي الأمر والإنشاء في كل منهما، إلا أنّهما يشيران إلى هدف واحد وهو شكر الله.

وقال: ((إذا حبيبت بتحية فحبي بأحسن منها، وإذا أسديت إليك يد فكلها بما يري عليها، والفضل مع ذلك للبادي))^(٦)، وهو قول يعود بنا إلى قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٧)^(٧)، يبدو الوعظ والإرشاد جليا لا يحتاج إلى ما يدل عليه، بفعل التصريح بالأمر، عبر الفعل (حَيِّي) ، والنزوح بالآية من صيغة الجمع إلى الأفراد في قوله (ع)، الذي جاء مختلفا لاختلاف المخاطب في كل منهما.

ومن قول المصطفى (ص واله): ((قد افلح من رزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه))^(٨)، ليوظفه في النص والإرشاد بقوله (ع): ((ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ))، وإذا قارنا بين القولين نجد أنّ الحديث النبوي الشريف بصيغة إخبارية تفيد فائدة خبرية، وكلام الإمام (ع) جاء بصيغة إنشائية تفيد الأمر الحامل للنصح بين جوانحه، ولهذا النوع من التوظيف أمثلة أخرى^(٩)

المبحث الثاني: التوظيف الفني

يتعاضد التأثير الدلالي، والتأثير الفني في خلق الإفهام، والإمتاع عند المتلقي، ويمتزجان فيما بينهما ليوصلان إلى إضاءات تثير النص، وتكشف عن مضامينه، وتظهر جمالية بنائه بما له من آثار صوتية، أو تركيبية، أو تصويرية.

و ينطلق الحديث في هذا المستوى من الحرف إلى الكلمة فالجملة، وما ينتج عنها من آثار بيانية، وهذا يعني حتمية البدء بالتوظيف الصوتي لماله من علاقة بالحرف والكلمة، مروراً بالتوظيف النحوي لعلاقته بالجملة، ثم

(2) نهج البلاغة، خ (١٩٤)، ج ٢/٢٠٤.

(3) سورة البقرة / ٢٣٨.

(4) سورة القصص / ٧٣.

(5) نهج البلاغة، خ (٢٣٦)، ج ٢/٢٦١.

(6) نهج البلاغة، خ (٦٢)، ج ٣/١٦٤.

(7) سورة النساء / ٨٦.

(8) صحيح مسلم، ج ٣/١٠٢.

(9) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٦١)، ج ٢/١٦٧، خ (٢٢٥)، ج ٢/٢٥٠، ق (١٤٠)، ج ٣/١٨٥.

الوقوف عند التوظيف البلاغي لعلاقته بالأثر البياني للجملة العربية، وما بين الجمل من علاقات سياقية، وسيتوخى الفصل على أهم تلك التوظيفات، والتي توزعت إلى توظيف صوتي وتوظيف نحوي، و قد ي

الموظف: الص ودي .

تمكّن الإمام من توظيف الاقتباس من الجانب الصوتي في نصوصه، وجعلها تنهض بالنص معنى ومبنى، فدُضفي عليه مسحة جمالية لها أثرها الكبير في المتلقي .

إنّ التركيب الصوتي - للمفردات والجملة - ضمن بنية نسيجية محكمة يستجلب معه مسحة جمالية لا تقل في تأثيرها عن الكشف الدلالي في النص، فالنص الأدبي له قدرة خلق الأثر الجمالي المستحصل بالمعاني والألفاظ مثلما له القدرة على خلق الأثر الدلالي، لاسيّما إذا ما عدنا إلى غايتي العمل الأدبي وهما الإقناع (١) ، والجانب الصوتي يسهم في تنامي الأثر الدلالي عند المتلقي ومقدرته الإيحائية، وهو الجامع بين استكمال المعنى وتزيين المبنى .

والاقتباس فنّ أدبي له الحظ الكبير في جمالية النص باعتدائه بديعاً (٢)، وفي تزيين الكلام وتقويمه كما يرى فخر الدين الرازي ت (٦٢٦) هـ، في تعريفه له (٣) ، وكذلك من وجه نظر المفهوم الحديث باعتباره آلية من آليات التناص (٤).

لقد ازدان النص النهجي بالأثر الصوتي بفعل الانسجام والتلاؤم بين الحروف والمفردات، أو باختبار الألفاظ الملائمة التي تضفي نسفاً موسيقياً يلقي بظلاله على المعاني المراد نقلها (٥).

من مصاديق ذلك قوله (ع) في وصف تردد جنده، وعدم التحاق كثير منهم لنصرة أخواتهم: ((نَيْتُ بَمَنْ لَا يَطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يَجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا ابَالِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ، أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا هَيْئَةَ تَحْمِشُكُمْ، أَفَوْمَ فَيْكُمْ مُنْتَصِرِخاً، وَنَادِيكُمْ مَدْعُوئاً فَلَا يَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تَطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءِ، فَمَا يَدْرِكُ بِكُمْ ثَأْرًا، وَلَا يَبْلُغُ بِكُمْ مَرَامًا، دَعَوْتُكُمْ إِلَى لُخُورِكُمْ فَجَرَجْتُمْ حَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَّ، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَوِّ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْكُمْ جُنَيْدٌ مَدَائِبٌ ضَعِيفٌ " كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ")) (٦) .

كشفت طلائع النص عن ضجرا الامام وتبرمه وسخطه من تردد هؤلاء، إلى الحد الذي صرح فيه بذلك، فمضى موبخا بأسلوب استفهامي تعجبي (أما دين يجمعكم، ولا حشمة تحمشكم)، فلا ينفع معهم استصراخ، ولا استغاثة، لذلك قال (ع) يَدْرِكُ بِكُمْ ثَأْرًا، وَلَا يَبْلُغُ بِكُمْ مَرَامًا).

عرج بعدها إلى رسم صورة بيانية، تشبيهية، يصاحبها حشد صوتي ثقيل عبر الحروف (الناء، الناء، والجيم، والخاء، والميم) ليحجّر عن مرارة الموقف، ونقله، فيصبح الصوت جزءاً متمماً لبيان صورة هؤلاء الذين لم يخرج منهم إلا (جُنَيْدٌ مَدَائِبٌ) إمعانا منه في التقليل، فهم ليسوا سوى (جُنَيْد)

(١) اقترن البيان بالجمال في بحوث الكلاميين والبلاغيين والمفسرين واللغويين عند دراستهم إعجاز القرآن، وهما من أهم مهمات علم الدلالة.

ينظر: آيات الابتلاء، د. حامد عبد الهادي حسن، مجلة دراسات إسلامية، بغداد، ع (١)، ٢٠٠٢م، ص: ٦.

(٢) ينظر: التمهيد، ص: ٨.

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ١٤٧.

(٤) جمالية التناص، د. عبد الملك مرتاض، جريدة الجزيرة، ع ١٢٨٧٩، السنة، ١٤٢٤ هـ، السعودية، صفحة فنون .

(٥) ينظر: خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة، ص: ٥.

(٦) نهج البلاغة، خ (٣٨) ج ٨٦/١.

مُضْطَرَبٌ^(١)؛ خَرَجُوا وَهُمْ يَجْرِي بَرُونَ أَنفُسَهُمْ جَرَجِرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ ، وهو أكثر ما يكون عند الإعياء ،
وَالذَّعْبُ^(٢) ، وبتناقلهم كانوا كالتَّضْوِ الْأَدْوِ ، وهو البعيرُ المهزول^(٣).

كشف التوظيف الصوتي عن معنى الإمام، مثلما كشفت عنه الصورة البيانية، إن لم يكن أكثر منها، فالمفردات (جَرَجِرْتُمْ ، اذَّاقَلْتُمْ) تفضح ترددهم، وكرهيتهم للخروج من خلال هذا الوقع الثقيل للحروف، وكأنا نرى تساقطهم على الأرض ، والتحاقهم الثقيل والتقطُّع، من مجموعة عناصر تحمل بين طياتها تصويراً حركياً بارعا، وفعالا تأتي بفضل الحشد الصوتي، ومما صاحبه من تصوير بياني تشبيهي

ثم أنت الآية (٤) لتكمل بناء المشهد في صورته الكلية، وموسيقاه وبتلاؤم دلالي، وصوتي، فالتشبيه (كأنما) ينسجم مع التشبيه البليغ (جَرَجِرْتُمْ جَرَجِرَةَ) ، و (تثاقلتم تثاقل)، والمد في (ساقون) يكشف مرة أخرى عن سيرٍ ثقيل، وطويل، والذي جاء في حشدٍ صوتي ثقيل من خلال الحروف (النون، القاف، والتاء).

يدرك المتلقي دور الصوت الذي كان بمثابة موسيقى تصويرية لمشهدٍ صوري متحرك، فغدى النص عبر التوظيف الصوتي للآية لوحةً موسيقيةً متعددة المقاطع المتلائمة مع بعضها، حتى ليكاد المتلقي يسمع صوت احتكاك هؤلاء بالأرض وهم يَساقون كرها إلى ما لا يُحْبُونَ، وكهَمَّ يَساقون إلى الموتِ دلالة على حالة الضَّعْفِ التي وصلوا إليها، فلم يجد (ع) سوى هذه الآية المعجزة، والتي تُوحى بتناقل الأجسام التي يرفعها الرافعون في جهد، فيسقط في أيديهم بثقل كتقفل حروفه (الباء، والتاء، والجيم، والحاء، والضاد، والنون، والميم)، إذ " لكل صوتٍ دلالةٌ خاصةٌ تحمل بين طياتها شيئاً من المعنى العام للفظ"^(٥).

وعند خروجه (ع) إلى الشام قال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَغَدَقَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْفُودِ الْأَنْعَامِ، وَلَا مَكْفَأِي الْأَفْصَالِ))^(٦).

كان هذا المقطع بداية لخطبته، فجاء بجملة متوازنة، متساوقة في التوزيع الصوتي، وعدد المفردات، وتشابه حروفها والتي شكلت المفردة القرآنية بعضا منها، (وَقَبَ ، غَسَقَ) ، وهما من قوله تعالى: " وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ " ^(١).

جملتان اسميتان تدلان على ثبات ودوام الحمد لله، كلما دخل ليل، واشتكت ظلمته، وكلما ظهر نجم واختفى، بنسقٍ صوتي جميل يُحيل سامعه إلى جو عرفاني.

ولتَبَّ هاتين الجملتين بأخرين محكومتين بنسقٍ صوتي يدل على ذلك الأنعام، والإقبال الواسع، والكبير والدال عليه بالمساحة الواسعة في حروف المد في كليهما، (أنعام، أفضال).

(١) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٢/٢٣٧.

(٢) ينظر: المكان نفسه.

(٣) ينظر: المكان نفسه.

(٤) سورة الفلق/٣.

(٥) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، ط١، بغداد، ١٩٧٤م، ص: ٧٥-٧٦.

(٦) نهج البلاغة، خ(٤٧)، ج ١/٩٣.

(١) الفلق/٣.

بدأ كلامه بما بدأت به الآية بمخاطبة الإنسان المفرد والقصد كل إنسان، ثم جاء بأسئلة على سبيل التقرُّيع والتَّوبيخ^(٣)، لم يكن الغرض منها الاستفهام ، ما الذي جرَّأكَ على ذنبيكَ؟، ما الذي غرَّكَ برئكَ؟... ولما كان المخاطب بصيغة المفرد حرص على ذكر المفرد (الذنب) ، لا الجمع (ذنوبك) .
ويعد التمهيد بالقول: (ما جرَّأكَ على ذنبيكَ)، ولاقتباس: (ما غرَّكَ برئكَ) تلاها بقوله: (وما أنسك بهذا كفة نفسك)، فأصبحت من بناء النصِّ السياقي .

لم يأت بذكر (الكريم) المذكور في الآية لان سياق المقال في نصه (ع) سياق تقرُّيع وتوبيخ، وعند الاطلاع على النص بأكمله نجده، قد بني على الاستفهام الاستنكاري بالأداة (ما) في مساحة كبيرة منه، ثم يسأل (ع) أما من شفاء من هذا الداء؟ ، أما من يقظة من هذا النوم؟ ، أما من رحمة لهذه النفس بعد جرأتها على ذنبيها؟ وهي أسئلة على سبيل تجاهل المعروف^(٤).

ولو أنه (ع) جاء بالآية كاملة مع الذكر (الكريم) لما استقام السياق ، لا لفظاً ولا معنى، غير أنه أدرك ذلك فاحسن تطويع الآية في النص، لأن الخطبة تدور حول موضوع ظاهر وجلي، استوحاه منها عند قراءتها، ثم طعم معناها في كلامه من خلال رصف مفردات نسج منها سياق كلامه مستعيناً بالتناغم الصوتي والترادف المعنوي ، بسلسلة الاستفهامات الاستنكارية المعبرة ، وانتقاء هذه العبارات يدل على مبلغ عنايته باللفظ والجرس .

ثانياً التوظيف الدلالي . حوي .

اللغة ظاهرة تكوينية ذات تجليات عالية^(١)، ويحكمها نظام نحوي صارم ولها القدرة على كشف مافي الفكر البشري من معانٍ، وتصورات^(٢) .
واللغة العربية امتازت بنظامها النحوي الذي يبدأ بالتعامل مع الحروف والكلمات وينتهي عند الجملة والسياقات ليحقق استعمالاً لغوياً من العسير جداً أن نخرج منه .

(٣) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢ / ١٤٠ .

(٤) ينظر: المكان نفسه .

(١) حد اللغة بين المعيار والاستعمال ، د. عبد السلام المسدي ، مجلة الأقلام، ع السنة العاشرة ، مايس ، ١٩٨٥ دار الشؤون

الثقافية العامة والنشر، بغداد ، ص : ٦

(٢) ينظر : المكان نفسه

وقد تداخل الجانبان البلاغي والنحوي في مساحةٍ مشتركةٍ واسعةٍ إلا أن ما تعلقَ ق بالجملة العربية وما يطرأ عليها من حذفٍ وذكر، أوتقديمٍ وتأخيرٍ، أوتعريفٍ وتكثيرٍ . وغيرها كثير . يبقى في صلب المعالجة النحوية، ومن أولوياتها، وأن أُفردت له مساحات كبيرة في المصنفات البلاغية .

ويتمحور التوظيف النحوي حول توظيف الجملة العربية وما يعتريها من تغيراتٍ تفضي إلى تغييرٍ في الدلالات ، وتمتد تلك التغييرات ليدخل في حيزها كل ما تقدم ذكره من أحوال الجملة ، وما يستتبعه من أساليبٍ نحويّةٍ لها أثرها في العطاء الدلالي للجمال والنصوص ، وسيبدأ الحديث بالضمائر وانعكاساتها الدلالية عند استبدالها من حالٍ إلى حالٍ أثناء عملية الاقتباس .

الضمائر . مائر .

من ذلك مثلا حين انتقل بالضمير من حالة الجمع إلى حالة الأفراد في كتابه له (ع) أرسله إلى جرير عبد الله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية : ((أما بعد فأذا أتاك كتابي فاحطى معاوية على الفاصل ، وخذ به بالأمر الجرم ثم خيره بين حربٍ مجليةٍ ، أو سلمٍ مخزيةٍ ، فإن اختار الحرب فأنبذ إليه ، وإن اختار السلم فخذ ببعته والسلام))^(٣).

الكتابُ بعباراته القليلة حمل معانٍ مكثفةٍ، ودلالاتٍ مختزلة تبوح بها المفردات، بحروفها وأصواتها ، واستلهم^(٤) قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ لَخَائِدِينَ﴾^(٥) ، مع إبدال (انبذ إليه) ب(انبذ إليهم) لتناسب سياق حديثه الموجه إلى جرير بن عبد الله ليجري إلى معاوية ، وهو مفرد، في حين كانت الآية تحت النبي (ص واله)، والمؤمنين للخروج إلى قتال المشركين فاستدعى ذلك صيغة الجمع في الآية ، والأفراد في كتاب الإمام .

ويأخذ التعبير نمطية أخرى، حين ينتقل بالكلمة من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب كما حصل حديث عن الرسول (ص واله) مما اضطره للقول ليلوهم^(١) بدلاً من (بيلوكم) التي جاءت في مورد الاقتباس^(٢).

أو مثلما جرى في تحويل الضمير من صيغة الغائب^(٣)، إلى المخاطب في قوله (ع): (لا تأخذك سنة ولا نوم)^(٤)، في خطبة هيمن فيها عنصر الدعاء والتي بدأها بالقول: (اللهم لك الحمد على ما تأخذ

(٣) نهج البلاغة ك (٨) ح ٩/٣ .

(٤) ينظر : شرح ابن أبي الحديد ج ١٤ / ٣٧ .

(٥) سورة الأنفال / ٥٨ .

(١) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٤٠)، ج ٢ / ٣٦ .

(٢) قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقِضُوا كَلِمَتِي نَقْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقِضُوا كَلِمَتِي نَقْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . النحل / ٩٢ .

(٣) قال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) . البقرة / ٢٥٥ .

(٤) نهج البلاغة، خ (٥٥)، ج ٢ / ٧٠ .

وتعطي... والسياق هو سياق خطاب ودعاء (لك الحمد، تبتلى، الحمد لك، الحمد إليك، الحمد عندك، ما اردت، محجب عنك، دونك، عظمتك .)

ال حذف

وهو صورة أخرى من صور التوظيف النحوي ذي الدلالة الواضحة في الجملة لما يعتريها من نقص في تركيبها البنائي ، لضرورة دلالية .

وشبه الشيخ الجرحاني ت (٤٧١، ٤٧٤) هـ الحذف بالسحر وهو عنده (باب، دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شيع بالسحر فأنت ترى به ترك الكرك افصح من الكرك، والصمت في الإفائة...)^(٥).

ولهذا المفهوم . الحذف . مصاديق كثيرة منها :

حذف الفاعل

كقوله: ((أقوالاً بغير عمل))^(٦)، وهو مقتبس من قوله تعالى: (أَدَّأْمُونَ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَتَسْؤُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَدُونَ الْكَآبِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ)^(٧)، انه اقتباس لمعنى الآية الكريمة والتقدير في قوله (ع): ((تقولون أقوالاً بغير عمل))^(٨)، ولعل سبب حذف لفاعل وجود قرينة عقلية تدل عليه باعتباره كلاماً مع المخاطب وهو الفاعل ، وهنا يتوضح حذف الإيجاز .

حذف المضاف

ومن أمثله قوله (ع): ((فرأوا إلى الله))^(١)، أي إلى رحمة الله ، وهو تعبير مجازي واضح، ويقابل هذا النوع من حذف المضاف ، إضافة بين المضاف والمضاف إليه كقوله (ع): ((... وسينقم الله ممن ظلم مأكلاً بمأكول ، وشرباً بمشرب من طاعم العلقم ، وشارب الصبر والمقر ، ولباس شعار الخوف ، وبنار السيف))^(٢)، والذي يعود بنا إلى قوله تعالى: (ضرب الله له لمتقوية كانت أمنة مطمئنة يأت بها رزقها ما رغداً من كل مكان وكافئاً له الله فأذاقها ما الله لبأس الجوع والخوف بما كذوا صنعون)^(٣)،

(٥) دلائل الإعجاز، ص: ١١٢ .

(٦) نهج البلاغة، خ (٢٨)، ج ١/٧١ .

(٧) سورة البقرة / ٤٤ .

(٨) ينظر: خصائص الجملة العربية، ص: ٩١ .

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج ١/٢٧٩ .

(٢) نهج البلاغة خ (١٥٣) ج ٢/٦٩ .

(٣) سورة النحل / ١١٢ .

حيث أضاف المفردة (شعاراً) إلى لباس الخوف تَوْحِيًّا لدلالة مَرْجُوة وهي المبالغة في خوف هولاء لأنّ التعبير بشعار يدلّ على قرب الخوف منهم لأنّ الشعار أقرب للجسد^(٤) ممّا سواه من أنواع اللباس. وتجلّى في وصفه لأبغض الخلائق فقال: ((حَمَالُ خَطَايَا غَيْرِهِ))^(٥)، والمقتبس من الآية المباركة: ((يَجْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ))^(٦)، والتقدير: هو حَمَالُ خَطَايَا غَيْرِهِ، وَحَنَفَ الْمُبْتَدَأُ لَوْجُودِ قَرِينَةٍ عَمَلِيَّةٍ وَسِيَاقِيَّةٍ تَدْلَانِ عَلَيْهِ^(٧).

بَلَدٌ قَلْبٌ أَدِيرٌ

وهو حال من أحوال الجملة العربية، ذو قدرة على العطاء الدلالي، ويثبت عن تغيّر في موقعي المُسند والمُسند إليه، تغيّر في المواقع يُصاحبه تغيّر في المعاني والدلالات، وهو وكذلك يمثل "استجابة لدوافع نفسية فرضتها الحالة الشعورية، والأبعاد النفسية للمتكلم، والمعنى المراد نقله إلى السامع"^(٨). ولأنّ التقديم والتأخير يعدّ مَهْرَكِيَّةً في مساحة السّماح بين المُسند والمُسند إليه، ويهّج النص مقداراً في الحرّيّة للوصول إلى مثابّة دلاليّة مُتّجاة.

ولهذا الفن وجوه عدّة تتصل بالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل والمفعول به، والجار والمجرور، ومدى تقمّ كل منهما على الآخر، وما يَمَحُضُ عنه من ولادات دلالية. وفي قوله تعالى ((إِنَّا الْقَابُورُ بِعُذْرَتِ))^(١)، تقمّ ما كان حقه التأخير، انه تقديم له دلالاته، وجاء لدوافع نفسية فرضتها الحالة الشعورية، والمعنى المراد نقله، لقد أعاد الإمام (ع) التركيب النحوي المعتاد لهذه الآية في وصف الدنيا: ((لَتَنِي قَدَبُ نِي بِالْخَرَابِ فَنَاوْهَا، وَشَيْدَ بِالنُّرَابِ بِنَاوْهَا، فَمَطُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَطَّةٍ مَوْحِشِيوْ أَهْلِ فَرَاحٍ مَدَّ شَاغِلِينَ، لَا يَسْتَأْذِنُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَطَى مَا يَنْهَى مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَنَدْوُ الدَّارِ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ، وَبِعُذْرَتِ الْقَابُورِ))^(٢)، وإعادة التركيب النحوي المعتاد مع أدوات السؤال على سبيل الاستنكار^(٣) شكّلت نسيجاً بناءً في وحدة متناغمة تضع المُتلقي في حيرة واعتبار، في تسائله (كَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ، وَبِعُذْرَتِ الْقَابُورِ؟؟؟).

وتمثّلت موافقة السياق في رصف الجمل القصيرة، والتي جعل كلّ اثنتين منها في سجع واحد (بالخراب فناؤها، بالتراب بناؤها)، (مطّها مقترّب، ساكنها معترب)، (مطّة موحشين، فراغ متشاغلين)

(4) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ج ١/٦٤٤. وينظر: نهج البلاغة، خ(٨٣) ج ١/١٥٠، خ(٨٥)، ج ١/١٥٦.

(5) نهج البلاغة خ(١٦) ج ١/٤٧٠.

(6) سورة النحل/٢٥. وسورة العنكبوت/١٣.

(7) خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة ص: ٨١.

(8) حرية الحركة للمسند والمسند إليه في التقديم والتأخير لون من ألوان حرية اللغة.

ينظر: الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، ابن فارس، ص: ٢٦٤.

ينظر: بحوث لغوية، د. احمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧م، ط١، ص: ١٤ - ٤٠٠.

ينظر: خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة، ص: ٩٧.

(1) سورة الانفطار/٤

(2) نهج البلاغة، خ(٢٢١)، ج ٢/٢٤٦-٢٤٧.

(3) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/١٥٠.

، (لا يبتأ أنيسون بالأوطان ، تواصل الجيران)، (قرب الجوار، ونو الدار) ، (بلكله البلى، الجنادل والثرى)، (ذلك المضجع، ذلك المستودع)، (الأمور، القبور) .

وبناء الفاعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحدث ، والاستفهام المصاحب له يفيد التّعجب من هول يوم تُعبثر فيه القبور ، والفعل الرباعي (بعثر) يدل على الحركة والاضطراب .

وهكذا فرض مقتضى الحال تقديم المفعول به على الفاعل في قوله (ع): ((لا يحصى نعماءه العائون))^(٤)، فهو من قوله تعالى (وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ) لا تحوّلها إنّ الله لا يغور رحيماً^(٥) .

بدأ كلامه بعد حمد الله بأداة النفي (لا) ظلت أداة متسلطة على النص مع غيرها من أدوات النفي والأصل في كلامه وفق النظام النحوي (لا يحصى العادون نعماءه) فوقع التغيير في موضعين؛ أولهما إبدال (نعمة) ب (نعمائه)، دلالة على كثرتها، وبيان عظمة فضل الله، والثانية في تقديم المفعول على الفاعل دلالة على التعظيم .

أما فيما يتعلّق بالأمر الأول ، نجد أنّ السياق ، سياق جمع : (قائلون ، عآنون ، مجتهدون ، هم ، فطن..) ، وعند الوصول إلى صفات الله عز وجل عمد إلى الأفراد ، للدلالة على التوحيد فقال : (صفته ، حد ، نعت ، موجود ، معدود ، أجل) ، وذكر صيغة الجمع للخلائق للدلالة على شمولية آلائه ونعمه مثل : (فطر الخلائق ، نشر الرياح ، وتد بالصخور...) .

أما في التقديم ، فدلالة التعظيم هي التي أوجبت ذلك لأنّ العرب كانوا يهمنهم ، ويعنيانهم^(٦) .

ويجري التقديم والتأخير في بنية النص المقتبس طلياً لدلالة ما ، وتماثل ذلك في تقديم الجار والمجرور في كتاب بعثه (ع) إلى عامله على البصرة . عثمان بن حنيف . واعظاً ومذكراً بصفات المؤمنين : ((في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معاهدِهِمْ جافَت عن مضاجِعِهِمْ جنودُهُمْ ، وهه مت بذكر رِيهِمْ شفاهُهُم))^(١) .

انصب الحديث لرسم صورة للمؤمنين بدقة تفصيلية ، تشريحية لبيان سه ر عيونهم خوفاً من المعاد ، ومجافاة جنودهم عن المضاجع خشية وتعبداً ، وههمة شفاههم بالذكر والتسبيح ، وهو حديث عن الأفعال لأعين الآلات التي قامت بذلك ، من هنا قتمها على الفواعل لها ، (سهر العيون على خوف المعاد) ، و (مجافاة المضاجع على الجنوب) ، و (ههمة الذكر على الشفاء) ، وتكرر مثل هذا التقديم في مواضع أخرى من النهج^(٢) .

(٤) نهج البلاغة ، خ (١) ، ج ٧/١ .

(٥) سورة النحل/١٨ ، وينظر : شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٤٨/١ .

(٦) الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر الملقب سيبوبة ت (١٨٠) هـ ، ت عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،

مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م ، ج ٣٤/١ .

(١) نهج البلاغة ك (٤٥) ، ج ٨٤/٣ .

(٢) كما في تقديم الجار والمجرور في : (من الموت في عمره) ، وتقديم (لم يدركه بصر) على (يدرك الأبصار) ، وتقديم

الباطل على الحق .

ينظر : نهج البلاغة خ (٣٣) ، ج ٧٨/١ . و : المصدر السابق خ (١٥٥) ، ج ٧٠/٢ .

و : المصدر السابق خ (٣٢) ، ج ٧٦/١ ، خ (١٨٨) ج ١٨٥/٢ ، ك (٦٦) ج ١٣٩/٣ .

التعريف - والتمثيل - تنكير :

ويُعرف بأنه " أسلوبٌ من أساليبِ العربِ في كلامها ، وليس له أداة سوى أن يخلَى اللفظ من أدوات التعريف ، والأصل في الكلمة التتكير لكونها مطلقاً ثم يأتي التعريف ليحصر نوعه ويقيده بواحد من أوجه التعريف المعروفة عند النحاة " (٣).

ولما كان الأصل في الكلمة التتكير نبدأ به في قوله (ع): ((واتقوا ناراً حرها شديد وقعرها بعيد ، وخطبها حديد ، وشوابها صديد)) (٤).

مثال المقطع ظلاً لقوله تعالى (فَإِنْ لَمْ تُؤَفِّقُوا فَافْعَلُوا فَنَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (٥) ومحل الشاهد هو (باراً) ، والفارق بين التعرف في الآية . والتتكير . في النص هو فارق في السياق وتتكيرها يُغَل في التعتيم والتهويل منها، مادامت نكرة مبهمة لا يمكن تصورها ، وتترك المتلقي في فضاءات رحبة لا يستطيع الإمساك بصورة لها، فهو إذن تتكير لارادة الإبهام والتهويل .

وبالمقابل نقف عند المفردة (راكس) (٦) حين عرفها في قوله (ع) : وهو يقص لأهل الأمصار ماجرى بينه واهل صفين بعد أن وقعت الحرب ثم طأبوا منه . اصحاب صفين . الصلح: ((..وسارعناهم إلى ما طلبوا، حتى يتسبب عليهم الحجة، وانقطعت منهم م المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة ومن لجج وتمادى فهو الراكس)) (٧)، (من لجج وتمادى فهو الراكس) والتعريف بالالف واللام يعكس توكيداً ويفيد التخصيص والقصر، وكأئله (ع) أراد القول أنه . المتمادى . هو الراكس ليس سواه .

الأساليب :

دخلت الأساليب حيز التوظيف النحوي ، حين وظف الإمام الاستفهام والتوكيد ، والأمر ، والنهي والنداء ، والنفي ، والتوكيد في خطبه ، وكتبه ، وحكمه ومواظبه .

لم يكن إحضار للأساليب بمنأى عن الغرضية والقصديّة، والتوظيف الذي استدعى ذلك، إذ لكل أسلوب أدواته التي عرف بها، واقتربت به في المؤلفات النحوية، والبلاغية (علم المعاني) على حد سواء

أسلوب الاستفهام :

لم يقتصر الاستفهام على معنى طلب الفهم فقط (١) ، بل يخرج إلى دلالات أخرى كالإقرار ، والاستتكار والتعجب ، ونجح الإمام في توظيف هذه الأغراض المجازية ، والتي انطلقت من رجم النحو لدلالات يبتغيها ، كقوله في خطبة الملاحم: ((..أين تذهب بكم المذاهب ، وتدتيه بكم الغياهب،

(3) بلاغة الكلمة والجملة والجمال، د. منير سلطان ، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٨، ص: ٦٦

(4) نهج البلاغة خ (١١٦)، ح ٢٣٢/١ .

(5) سورة البقرة / ٢٤ .

(6) "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ فَتُحَدِّثَهُ سَبِيلاً" النساء/ ٨٨

(7) نهج البلاغة خ ك (٥٨) ح ١٢٦/٣ .

(8) ينظر: مغني اللبيب عن كتاب الاعراب، ابن هشام الأنصاري ت () ه تحقق د. مازن المبارك دار الفكر، بيروت ط ٦

١٩٨٥م ، ص: ١٢١

وينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (استفهام)

وتخضعكم الكواكب؟ ومن أين تؤتون، وأنى تؤفكون فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب (٢)، وخرج الاستفهام عنده إلى أغراض مجازية أخرى كالتعجيز في قوله (ع): (أين تذهب بكم الظنون، من أين تؤتون، أنى تؤفكون).

وتكرر مثل هذا الاستفهام في قوله (ع): ((هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرارٍ أو محارٍ؟ أم لا؟ فأنى تؤفكون؟ أم أين تصدقون؟ أم بماذا تغترون؟)) (٣) سلسلة استفهامية تدل على التقريع (٤)، وخرج به إلى التعجب كقوله: ((ما عرك بريك)) (٥)، وهو قول مأخوذ من القرآن الكريم (٦).
و إلى التكرير: ((ألسنم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وابقى آثاراً)) (٧) وهو قول مقتبس (٨)، أو للإغراء كقوله (ع): ((ألا تحبون أن يغفر الله لكم)) (٩)، أو للتحسر في قوله (ع): ((أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟)) (١٠).

اسلوب الأمر

والأمر من الأساليب التي حظيت بنصيب وافر من التوظيف عند الإمام في نهجه، ولم يقف عند حدّه الصرف في كونه طلب الفعل من جهة الاستعلاء والإلزام (١)، وبأدواته المعدودة، وإنما جاء للنصح والإرشاد، كقوله (ع): ((.. فاستدركوا بقيّة أيلكم، واصبروا لها أنفسكم فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون معكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة)) (٢) وهو نصح وإرشاد اقتبس من قوله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغظ قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (٣).
ومن قوله تعالى: ((فأطوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين)) (٤) اخذ هذا المعنى بصيغته الامرية: ((تعاهدوا أمر الصلوة وحافظوا عليها)) (٥)، وخرج كثير من الامر عنده (ع) إلى مثل هذا الأمر (٦).

- (2) نهج البلاغة خ (١٠٤) ج ٢٠٨ / ١
- (3) المصدر السابق، خ (٨٠) ج ١٤٣ / ١ - ١٤٤
- (4) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٣٩٢ / ١
- (5) نهج البلاغة خ (٢١٨) ج ٢٤٠ / ٢
- (6) سورة الانفطار / ٦
- (7) نهج البلاغة، خ (١٠٧)، ج ٢١٧ - ٢١٨
- (8) من قوله تعالى: ((وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال)) .
سورة إبراهيم / ٤٥،
ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٧ / ١٨٧
- (9) نهج البلاغة ك (٢٣)، ج ٢٤ / ٣
- (10) نهج البلاغة (١٧٧)، ج ١٣٠ / ٢ - ١٣١
- (1) ينظر: معجم المصلحات البلاغية، وتطورها، مادة (أمر).
- (2) نهج البلاغة، خ (٨٢)، ج ١٤٨ / ١
- (3) سورة الكهف / ٢٨
- (4) سورة البقرة / ٢٣٨
- (5) نهج البلاغة، خ (١٩٤)، ج ٢ / ٢٠٤ وينظر: ك (٢٧)، ج ٣٣ / ٣
- (6) ينظر: المصدر السابق خ (٩٤)، ج ١ / ١٩٠، خ (١٦٣)، ج ٢ / ٩٨ - ٩٩، خ (١٨٥)، ج ٢ / ١٥٣ - ١٥٤

اسلوب النهي

و النهي ، هو طلب الكفّ عن الفعل ، من جهة الاستعلاء(٧) ، وقد يخرج إلى غير غرضه الرئيس ، إلى أغراض مجازية أخرى ، كالدّعاء مثلاً في كلام له (ع) في الاستسقاء: (اَللّٰهُمَّ اِنَّا خَرَجْنَا اِلَيْكَ شَكَوًا اِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ لِيكَ ، حِينَ اَجَاءَتْنَا الضَّايِقُ الوَعْرَة ، وَاَلْجَأَتْنَا المَقَاطِطُ المَجْدِبَة وَاَعْيَتْنَا المَطَالِبُ المُنْعَرَة ، وَتَلَاحَقَّتْ عَلَيْنَا الفِتْنُ المَسْتَصْعَبَة ، اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْأَلُكَ فَلَآ تَرْتَلِّخْنَا بَيْنَ وَاَتَا قَلْبِنَا وَاَجْمَعِينَ ، وَلا تَخَاطِبُنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلا تَقَاسِنَا بِاَعْمَالِنَا)(٨).

عند سماع المقطع الأخير يعود المتلقي إلى ثقافته القرآنية، ويذكر قوله تعالى: (وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رَمِيمًا قَدَّمَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لِمَ مُكْرِشْتُمْ مَنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُمَّ لَكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ إِذْ هُمْ إِذْ قَامُوا إِلَيْكَ تَصِلُ بِهِمْ لُشَاءٌ وَتَهْدِي مِن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْوِنَا وَارِدِنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) (٩)، هنا أمر خرج إلى دعاء وتضرع ، باستفهام خرج إلى أمر مجازي .

اسلوب النداء

و النداء هو أسلوب تراءى بصور عدّة في نصوص الإمام(ع) ، وهو من أساليب الطلب عند النحويين، والبلاغيين، ويراد به تشبيه المخاطب^(١) وقد يكون بالأداة كقوله (ع) : ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَتَّصِلُ فِيهِ الْمَنَائِلُ))^(٢)، وأكد قوله بالقصر عبر الاداة(إنما) ليعزز هذا المعنى، ويستتفره للتشبيه إلى ما أراد بيانه برفقة استعارة مكنية شخص فيها المنيا وجعلها تتبارى على غرض واحد، وهو الإنسان، وتكرر مثل هذا الأمر في غير موقع في النهج^(٣).

ويستجلب هذا الاسلوب أحيانا بالتكرار اللفظي كقوله(ع): ((الله في الأيتام ... الله في جيرانكم ... الله في القرآن ... الله في الصلاة ... الله في بيت ربكم ... الله في الجهاد...))^(٤).

(7) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، ج ٣/ مادة (نهي) .

(8) نهج البلاغة خ(١٣٩)، ج ٣٤/٢ .

(9) سورة الأعراف/ ١٥٥ .

(1) ينظر: أساليب الطلب عند النحو بين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الالوسي بغداد ، ١٩٨٨ ص : ٢١٧ .

(2) نهج البلاغة، خ (١٤١)، ج ٣٨/٢ ،

(3) ينظر مثل: خ (٨٠)، ج ٤٣/١ ، خ (٨٣)، ج ١/١٤٩ ، خ (١٤٣)، ج ٢/٤٢ ، خ (١٤٥)، ج ٢/٨٦ .

(4) ينظر: ك (٤٦) ج ٣/٨٦ .

٥- أسئلته في .

وللنفي دوره في التوظيف النحوي، وهو خلاف الإثبات، والمتصل عبر أدوات قرنت به^(٥) وأخرجه الإمام . بقدرته الفنية . إلى أغراض مجازيه أخرى كالتعظيم في قوله (ع): ((الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته ولا ميؤس من مغفرته، ولا مستنكف من عبادته))^(٦)، والذي اقتنسه من قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ يَرْفَعُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْبَلُوا مِنِّي رَحْمَةً إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغُورُ الرَّحِيمُ)^(٧)، مع العدول من صيغة النهي إلى النفي ، فانتج نقلة إلى النصح والإرشاد في الايه المباركة إلى صيغة التعظيم في قوله (ع) والمستجلب بالنفي لصفة القنوط ، ، واليأس والاستتكاف ، وله غير موضع آخر^(٨) .

أو للنصح حين اقتبس نصاً قرانياً اقتباساً مباشراً في حق أهدائه فقال: ((فَأَنْ تَرْتَفِعَ عَا وَعَنَهُمْ مَحَنَ الْبَلْوَىٰ أَحْمَلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَىٰ مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَىٰ " فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "))^(٩) .

ويخرج به الإمام للتهديد والوعيد بلفظ غير مباشر قريب من نصه القرآني مع دلالة توكيدية

تتحصل بأدوات التوكيد تارة وينفي الشك تارة أخرى كقوله (ع) عن النار: ((وما هي من الظالمين ببعيد))^(١)

وقد يكون لنفي حقيقة ما كقوله (ع): ((يُوجِسُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَىٰ نَفْسِهِ - ه))^(٢) ، والمقتبسة من قوله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ)^(٣) .

لقد نفى الخوف عن موسى (ع) بتنادا للنص القرآني اليقين، الذي تفهمه من خلال السياق الذي يوضح الاليس، أو مع بقاء الدلالة على النفي الخالص ، كما في قوله (ع) مقتبساً حديثاً نبوياً شريفاً: ((لا يستقيم إيمانك حتى يستقيم قلبك، ولا يستقيم قلبك حتى يستقيم لسانك))^(٤)، أو كما في قوله (ع): ((ما عال من اقتصد))^(٥)، وهو اقتباس لمعنى قرآني^(٦) .

(٥) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، مادة(نفي).

(٦) نهج البلاغة، خ(٤٤)، ج ٩١/١ .

(٧) سورة الزمر/٥٣ .

(٨) ينظر مثلاً: خ(١٧٧)، ج ١٢٥/٢ ، خ(١٨١)، ج ١٤٥/٢ .

(٩) نهج البلاغة، خ(١٨٤)، ج ٨١/٢ .

(١) المصدر السابق، ك(٢٨)، ج ٤٠/٣ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٣)، ج ٣٣/١ .

(٣) طه/٧٦ .

(٤) المصدر السابق، خ(١٧١)، ج ١١٤/٢ .

(٥) المصدر السابق، ق(١٤٠)، ج ١٨٥/٣ .

(٦) من قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

ولربما يُوظَّفُ النفي لدفع أمر ما، وتثبيت نقيضه، فيكون حينئذٍ بمثابة نفي توكيد في آنٍ واحدٍ، كقوله (ع) ﴿لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا﴾^(٧).
هاتان الجملتان تشيران إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَلِدْ﴾^(٨)، وهو قولٌ ينفي الصفات الإنسانية عن الذات الإلهية، واعتمد الإمام هذا التعبير القرآني لينفي هذه الصفات عن الله جلَّ وعلا، وهو نفي بمثابة التوكيد على تنزيه الله عنها، هو نفي صفاتٍ لاثباتٍ صفاتٍ مُقابلةٍ، أنه نفي السلب لاثباتٍ الإيجاب.

٦- أسلوب التوكيد.

ويَدْحَقُّ بأدواته المعروفة ، أو باعتماد صيغٍ تدلُّ عليه كما في قوله (ع): (لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ، هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ)^(١) ومقطعه الأول اقتباس من السهل إرجاعه إلى النصِّ القرآني الذي استقى منه ، وله إضاءاتٌ دلاليةٌ: أفادت استحالة العودة والإرجاع ، وأخرى سياقية فنية ، أطلت بالتلاؤم الصوتي والمعنوي فقوله: (هيهات ، هيهات) امتداد صوتي لذلك التحسر ، وتوكيد وتذكير لتلك الاستحالة ، وتكرار المدود في (لَاتَ ، مَنَاصٍ ، هِيَهَاتَ ، هِيَهَاتَ) أفاد . من حيثٍ اللاشعور . ذلك التوكيد ، والإيغال في التأييس منه .

أو باعتماد صيغة المبالغة الدالَّة على التوكيد، كما في اقتباس قوله تعالى: (وَلَا يَحْمِلُونَ أَلْفًا مَّ وَابْنًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَا يَسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ)^(٢)، فقال (ع): ((حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ))^(٣)، وهَمَّالٌ مفردةٌ مكنتزةٌ بالدلالة التوكيدية، ولها قدرة الاشتراك في رسم صورةٍ بيانيةٍ .

الأعراف/ ٣١ .

(7) نهج البلاغة، خ(١٨١)، ج١٤٥/٢ .

(8) الإخلاص/ ٣ .

(1) المصدر السابق، خ(١٨٦)، ج١٦٠/٢ .

(2) سورة العنكبوت / ١٣ .

(3) نهج البلاغة، خ(١٦)، ج٤٧/١ .

التوظيف ، الب ، لاغي .

عُرف الأدب العربي بِصَوْرِهِ البيانية بمختلف أنواعها والقادرة على إظهار ما هو عقلي غير محسوس بصورة حسّية، أو إضفاء صفات إنسانية على الجّادات، والحيوانات فتمنحها العواطف، والإحساس، والشعور، أو إضفاء الزينة، والجمالية على النصّ بما عُرف فيما بعد بالفن البديعي، ويقوم هذا التوظيف على خرق منطِق العلاقات المألوفة في اللغة العادية، وخصوصاً في الاستعارة والكناية . وقد نجح الإمام(ع) . أيها نجاح . في توظيف ذلك كلّهُ في النص النهجي ، ولا يتعلق الأمر بإثبات ذلك . فهو فارسها وصاحبُ قدحها المُعطى -، بل هو وقوف عند بعض من تلك النجاحات، ليتجلى لنا مقدار توظيفه البلاغي بفنونه البيانية والبديعية ، وفي علم المعاني ، بدءاً من التجسيم ، فالتشخيص ، وانتهاءً عند صوره البيانية التشبيهية والاستعارية والكنائية .

ت . جسيم ، أ- والت ، شخيص .

التجسيم هو صياغة المُجَرَّدات في صور مجسمة حسية ، فنرى فيها المعنويات، حتى نكاد نلمسها، ونراها، وتخرج بنا من المجال العقلي إلى المجال الحسي^(١) .
ويرى الشيخ عبد القاهر الجرحاني ت (٤٧٤ هـ) أنَّ التجسيم من الوظائف الأساسية للاستعارة ، فنرى من خلاله " المعاني الخفية باديةً جليةً "^(٢)، والتشخيص هو أسلوب يُحيي به الشاعر ما لا حياة له وبه تُطلق صفات إنسانية على الحيوان . والجماد^(٣) ، وبهما . التجسيم والتشخيص . نَظَل على فضاءات جديدة نَظَل من خلالها إلى رؤية بصرية لمكونات معنوية من العسير تصورها لولاها .

من أمثلة ذلك قوله (ع) في خطبة له: ((أما والله إن كنت لَفي ساقتهِها ، حدتي ولدت بحذافيرها، ما ضغفت ولا جبنت ، وإن مسيري هذا لمتلها ، فلأنقن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه))^(٤) .
بدأ التجسيم في التوظيف الاستعاري والمقتبس من قوله تعالى: (بَلْ قَنَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَمِغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)^(٥) ، وبذلك نقل إلينا معنى مجرداً إلى عالم الحس والإدراك ، نقل لما كان مكوناً في عالم الذهن إلى موقع الإدراك البصري ، عبر التوظيف البلاغي للاستعارة المكنية الواقعة في تشبيه الباطل بالحيوان الذي ابتلع الحق بقريته قوله (ع): (من جذبه) وهي خصيصة من خصائص الأجساد ، والعبارة تفيد (وجود الحق في الدنيا دائماً ، وإن غطاه الباطل)^(١) بالتجسيم تتحقق نقلة من المجهول إلى المعلوم ، والحسي أوضح من المعنوي لأففة النفس به ، وتعودها منذ بداية وعيها بالعلم ، أما النقلة من الحسي إلى المعنوي فإنها بمثابة انتقال من معلوم إلى مجهول^(٢) .

ومنها أيضاً قوله (ع) ((فَيَتَمُّ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأُورِدَتْ مَوْهٌ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْقَمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَقْمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقَرِّ وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِنَارِ السَّيْفِ ، وَآمَّا هُمَ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ ، وَزَوَامِلِ الْآثَامِ))^(٣) .
والخطيئات جمع للخطيئة ، وهي مفردة قرآنية معروفة^(٤) اقترنت بتركيب استعاري جسم الخطايا وجدها ، وعُزِّت هذه الصورة الاستعارية باستعارة ثلاثية وهي ، (لباس الخوف) المأخوذ من قوله تعالى:

(١) ينظر: فن الاستعارة، د. احمد عبد الصاوي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩م، ص: ٢٧٥
وينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، ص: ٥٧ .

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، ص: ٤١ .

وذهب الدكتور شوقي ضيف إلى التعامل مع التجسيم والتشخيص كما تعامل معهما الغربيون حين عزلوهما

عن

المجاز.

ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، (د. ت)، ص: ٢٣٦ .

(٣) ينظر: نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط ٣، ١٩٦٩م، ص: ٩٣١ .

ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير عند المعتزلة، د. نصر حامد أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢ ،

ص: ١٠٧ .

ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣، ٦٤ .

(٤) نهج البلاغة، خ (٣٢) ج ٧٧/١ .

(٥) سورة الأنبياء/ ١٨ .

(١) نفاحات الولاية، ج ٢/٢٨٦ .

(٢) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة ، مصر، ١٩٧٤، ص: ٤١٢ .

(٣) نهج البلاغة، خ (١٥٣) ج ٧٠-٦٩/٢ .

(وَضِبَ اللّٰهُ مَثَلًا فَوَكَّلْتُ آمَنَةً مَّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرْتَ بِاللّٰهِ فَأَذَاقَهَا اللّٰهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (٥).

ونجح في التوظيف التجسيم في كتاب بعثه إلى ابن عمه ابن عباس (رض) وهو عامله على البصرة، مقتبساً صورة استعارية مجسّمه لما هو معنوي من قوله تعالى: (وَاجْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) (٦) فقال ناصحاً له: (فَاحْتِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاجْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ) (٧).
شبه الخوف بالحبل بجامع الغلظة والشدة، فحذف الحبل ورمزله بالعقدة التي هي من لوازمه، فالخوف حبلٌ يَضِيقُ الأنفاسَ، ويغل الأيدي والأقدام ويمنعهم عن الحركة، لذلك طلب الإمام (ع) من والي البصرة أن يزيل عن أهل البصرة، عقدة الخوف عنهم، مثلما طلب موسى (ع) من ربه حين قال: (وَاجْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) .

فالاستعارة . من خلال التجسيم . حين توضح المعنى وتكشفه فإنها تؤثر في المتلقي وتجعله يتفاعل مع النص، فالإيضاح يُخاطب الشعور والإحساس لدى المتلقي (٨).

إن اللغة العادية تعجز عن القيام بمثل هذه الأعمال، أو أنها لا تؤديها مثلما تؤديها الاستعارة، وللكشف عما يجول في لذهن من أفكار لابد من التوظيف البلاغي للوصول إلى التجسيم، وبذلك يتوضح ما يدور في طيات العقل والقلب من دلالات ومعانٍ وأحاسيس (٩).

ومن التشخيص قوله (ع) في خطبة له: ((...وقد أدبرت الحيلة واقبلت الغيلة، ولات حين مناص؟ هيهات هيهات قد فات مافات، وذهب ما ذهب، ومضت الدنيا لحالٍ بالها "فما بكت عليهم السماء والأرض، وما كانوا منظرين" (١))، لقد مثلت الآية (١) مظهراً اقتباسياً توظيفياً تحقق في تشخيص السماء والأرض، وإظهارهما بهيئة بشرية من خلال القدرة على فعل البكاء، فيصل بنا إلى ذروة المبالغة في تحقير شأن من عرته الدنيا (٣)، فذهب منها من غير زاد، وقد فات مافات وذهب ما ذهب .
والمثل هذا التوظيف نماذج أخرى في الساحة التهجيّة، حين جعل للفتنة عيناً، وللحق جسداً، وللنعمة أطرافاً (٤).

ومن التشخيص أيضاً قوله: ((لو وهب ما تفتت عنه معانٍ الجبال وضحت عنه أصداف البحار من قز اللحيين والعقيان ونثار الثر، وحصيد العوجان)) (٥).

(4) سورة النساء/ ١١٢.

(5) سورة النحل/ ١١٢.

(6) طه/ ٢٧.

(7) نهج البلاغة، ك (١٨)، ج ٣/ ٢٠.

(8) فن الاستعارة، ص ٣٢٤.

(9) المصدر السابق، ص: ٣٥٥.

(1) نهج البلاغ، خ (١٨٦) ج ٢/ ١٦٠.

(2) سورة الدخان/ ٢٩.

(3) شرح ابن أبي الحديد، ج ٩٩/ ١٣.

(4) ينظر: نهج البلاغة، خ (٨٩) ج ١/ ١٨٢، خ (١٠٠) ج ١/ ٩٩، ح (١٨٨) ج ٣/ ١٩٥، ح (٤٠٨) ج ٣/ ٢٥١، خ (٣٣)

ج ٧٨/ ١.

(5) نهج البلاغة، خ (٨٧) ج ١/ ١٦٠.

اظهر عظيم فضل الله وكرمه الممثل في عطاء الأرض وسخائها حين صورها بصورة حيوان يتنفس، أي شبه ما يخرج من بطون الجبال من معادن، بالحيوان المتنفس بجامع الحيوية والإخراج في استعارة مكنية، مجردة لوجود ما يلائم المستعار له وهي الجبال^(٦)، ولمثل هذا التوظيف نماذج أخرى طغت على نصوص التهج منها حين جعل الكوفة جسماً بين يديه: ((ماهي إلا الكوفة ابيضها وابسطها))^(٧)، وكأنه اخذ هذا المعنى من قوله تعالى: (يَوْمَ نُظِي السَّمَاءَ كُطَيِّ السَّجَلِ لِكُتُبٍ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا طِينًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)^(٨).

لقد تكذفت الإحياءات وتزاحمت المعاني بفعل هذين الفئتين في تدقيق لفظي منسجم .

لتصوير-الب ياني .

يعد التصوير البياني عماد العمل الأدبي، فالنتاجات الأدبية ليست مجرد أسلوب لغوي متمايز، بل هليئة وسيلة، ولا بد أن تكون لها وظيفة تؤديها، فتتفق عوا، وعظات، وتعلماً يستمر تجده^(١). والإمام حين يأتي بالصورة البيانية المقتبسة . أو سواها . لا يأتي بها وسيلة فقط، بقدر ما تكون هناك إيحاءات صاحبها، وتسير معها يداً بيد ويتنوع مقتضى الحال تنوعت الصور البيانية المقتبسة، فمنها ما رسم بالتشبيه، أو ما كان بالاستعارة، أو الكناية، من هنا كان الفن البلاغي مشهداً من مشاهد التوظيف الفني بل هو عماده، لارتباطه بالصورة، ومن ثم بتأثيرها في المتلقي .

وتمثل الصورة البيانية انبجاساً نفيًا وتلقائياً ينغرس في أحشاء النسيج الفني بأكمله في وجهها الاستعاري^(٢)، والكلمات ليست إلا بدائل للأشياء، إنها مرصودة لتنقل إلينا خبراً عن الأشياء، خواً كان بوسعها أن تبلغه بدقة أكبر لو أمكتنا أن نأها مباشرة^(٣) وقد يمكن ذلك بالتشبيه والاستعارة والكناية

(6) ينظر: أساليب التعبير في القرآن، ص: ٥٩٧.

(7) ينظر: نهج البلاغة، خ (٢٠٨) ص: ٢٢٠ .

(8) سورة الأنبياء/ ١٠٤

(1) ينظر: الصورة الفنية في كلام الإمام (ع)، ص: ٦٧ .

(2) ينظر: في البلاغة العربية، د. رجاء عيد، دار غريب للطباعة، مصر، ط ٢ (دب) ص: ٢٠٨ .

(3) ينظر: بنية اللغة: ص: ٣٣ .

١- التشبيه.

ويأتي التشبيه في مقدمة ألوان الصور البيانية، وأوضحها، ومن تلك الصور البيانية التشبيهية قوله (ع) بعد أن عدّد أعمال المنافقين: ((..يقولون في شهيون، وصفون في وهمون، قد هونا الطريق، وأضلعوا الضيق، فهُم لُمة الشيطان، وحه النيران: " أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هُم الخاسرون ")) (٤) .

بعد بيان وصفي طويل خص إلى القول بأنهم لُمة الشيطان، وحه النيران، وه ما تعبيران استندا إلى فن التشبيه البلاغي الخفي والمقدر بأداة التشبيه الغائبة، ثم مضى (ع) للإيغال في تمهم واستكمال بيان صورتهم استحضرا الآية المباركة (٥) ليقول: لي هُم حزب الشيطان وهُم خاسرون وفق حتمية الإهية كونيّة ثابتة.

حتى مفردات النص، وحولها من معانيها المعجمية المباشرة إلى فضاءات من المعاني الجديدة حين عقدها برباط التشبيه الخفي، فوضع القاصي أمام صور مدهشة جميلة مؤثرة، وجعله يشعر بشيء من المفاجأة والإدهاش، وهذا ما يمنح النص جمالية خاصة به .

٢- الاستعارة.

أما التصوير الاستعاري فقد كان عنصراً مهماً في كثير من مواضع النّهج، لقد سُخّنت النصوص بصور بيانية استعارية تشد المتلقي وترضي عينه قبل أُنّيه .

وفي خطبه له (ع) بدأها بحمد الله ((الذي لبس العز والكبرياء))^(١) فشبه العزّ واطهره بلباس معنوي ، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، ثم استنشّق من (اللبس) الفعل (لبس) بمعنى (انصّف) ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي ، هي العزّ والكبرياء ، على سبيل الاستعارة التبعية ، والجامع بين المستعار والمستعار له هو (الإحاطة)^(٢) ، ويعود بنا الاقتباس إلى قول المصطفى (ص واله) : ((كبريائي، والعزة إزاري ، فمن نازعي واحداً منه ما ألقته في النار))^(٣) .

(٤) نهج البلاغة، خ (١٨٩) ج ٢ / ١٩٢ .

(٥) سورة المجادلة/١٩ .

(١) نهج البلاغة، ح (١٧٨)، ج ٢ / ١٦١ .

(٢) ينظر: أساليب البيان في القرآن ، ص : ٥٧١ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٢ / ٢٤٨ ، وسنن ابن ماجه ، ص : ١٣٩٧ .

وجاء تعبير (رداء الكبرياء) في أحاديث نبوية كثيرة.

ينظر مثلاً : صحيح مسلم ، ج ١ / ١١٢ . وسنن أدمي ، ج ١ / ٣٣٣ .

وله صورةٌ استعاريةٌ استعارها من النص القرآني^(٤)، فالبسها ثوباً استعارياً في قوله (ع): ((ذاك حيث تسكرون من غير شراب))^(٥)، حيث شبه الغفلة بالسكر، مثلما شبهت الآية هول الموقف بالسكر على سبيل الاستعارة التبعية، بقرينة مانعة للمعنى الحقيقي^(٦)، قوله (ع): ((من غير شراب)) فالسكر ليس سكرًا حقيقيًا، بل هو نقلٌ عقليٌّ مجازيٌّ عبر الاستعمال الاستعاري الذي فجر طاقة المفردات وحلها دلالاتٍ موحية، وهو انزياحٌ كما عو عنه القاد الغربيون فيما بعد .

وفي صورةٍ بيانيةٍ استعاريةٍ جميلةٍ جعل للباطل جيوشاً، وللأضاليل صولاتٍ حين قال: ((الدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل))^(٧)، نحن إزاء حشدٍ صوريٍّ تصحبه ضجةٌ صوتيةٌ تكاد تُفصح عن صورةٍ حقيقيةٍ للباطل، والأضاليل، باستعارةٍ مكنيةٍ تبعيةٍ^(٨). ولفظتَ ي (دافع ، دامغ بصيغة اسم الفاعل من ورائها دلالةٌ مقصودةٌ وهي المبادرة، والثبات، لما للاسم من دلالةٍ على الثبات^(٩)، وللإسم دلالةٌ على الحقيقة دون زمانها، فالغرض ليس زمان الفعل، بل إثبات ذلك الفعل، وهذا المعنى نلمحه مخبوءاً خلف كلمات الأمام بصورتها الاستعارية وصيغتها الصرّفية المقصودة .

يجد المتلقي نفسه في حشدٍ صوريٍّ هادرٍ لطلوتٍ والصورة، وعندئذ يلمس همية الانزياح الذي قفز به إلى مساحاتٍ تبتعد كثيراً عن المعاني الحقيقية للألفاظ . ومثّلت صورته هذه مزيجاً من المعاني القرآنية مذبذبةً بألفاظٍ ومفرداتٍ انسجت بموسيقاها، وتمازجت ألوانها ، فهو انشطارٌ صحوبٌ بلاسٍ لفظيٍّ أخاذ .

(4) سورة الحج/٢ .

(5) نهج البلاغة، خ(١٨٢)، ج١٥٠/٢ .

(6) ينظر: أساليب البيان في القرآن، ص: ٥٧٢ .

(7) نهج البلاغة، خ(٦٩)، ج١١٦/١ .

وينظر: نفحات الولاية: ج٩/٤ .

(8) ينظر: أساليب البيان في القرآن، ص: ٥٥٧ .

(9) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ٤١ .

الكناية

والكناية . بأنواعها^(١) . ضربت بسهامها في بناء الصورة البيانية، وإظهارها بألوانٍ مختلفة باختلاف تلك الأنواع، وقد عوّ الإمام (ع) بالأفاظه عن معانٍ كان منها القريب والبعيد، ولا تُعبّر عن المعاني البعيدة لأول وهلة^(٢)، فمنحت نصوصه تنوعاً بيانياً، وزينةً لفظيةً، فجمعت بين جودة المعنى، وروعة السبك . ومن هذه الألفاظ (الأمشاج)^(٣)، إذ أسهمت في بناء كنائي في قوله: ((عالم السر من ضمائر الضميرين... ومط الأمشاج من مسارب الأصلاب... وعم نبات الأرض في كنبان الرمال))^(٤) . و(مط الأمشاج) كناية عن رحم المرأة وهي كناية قريبة، يُراد بها نسبة الصفة للموصوف، وتحققت بفعل الإضافة المُقدّرة بالألف واللام، وكذلك الحال في (نبات الأرض)، وهي كناية عن الأحياء

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (كناية) .

(٢) باعتبار ان الكناية هي المعنى البعيد للألفاظ التي تدل على معانٍ قريبة وبعيدة .

ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (كناية) .

(٣) قال تعالى: ((خُلِقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)) ، الإنسان/ ٢ .

(٤) نهج البلاغة، خ (٨٧) ج١-١٧٩-١٨٠ .

البرية التي تكونت من تلال الرمال وتنشأ فيها^(٥)، فَمَنَحَ النَّصَّ بِعَدَا (عِرْفَانِيًّا) ارتفع بالنص إلى شهد من شاهد الروح .

أصبح شهدا يظهر عظمة علم الله بادق الأمور، واصغرها، فهو العالم بضمائر الضميرين، وبأحوال الناس وهم في محط الامشاج من سارب الأصلاب، وبأحوال (نبات الأرض) الضعيفة بين كثبان الرمال الكثيفة، أنه جمع بين المتناقضات التي بتفاوتها، وتناقضها تتجلى عظمة الله.

وَحَوْلَ الْبِنَاءِ الْإِسْتِعَارِي . فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بِهِ نَيْلَهُ عَطَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بِهِ نَيْلَهُ فَأَعْجِبُ شَهَارٍ فَأَنْهَارٍ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٦) إِلَى بِنَاءِ كِنَائِي حِينَ اقْتَبَسَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ لِيَصِفَ بِنَاءَ الْقُبُورِ، فَقَالَ ((بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فَتَأْوَاهَا)) (٧)، أَرَادَ الْقَوْلَ لِيَمَّا بِنَيْتِ سَاحَاتِهَا عَلَى خَرَابِ الْحَيَاةِ، أَوْ زَوَالِهَا، وَمِنْ هُنَا صَحَّ التَّقَابُلُ بَيْنَ فَنَاءِ الدَّارِ، وَسِعَةِ أَرْضِهَا وَأَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَفْوَالِهَا، وَلَمْ يَقُلْ بِنَيْتِ بِالْخَرَابِ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ عَنِ نِسْبَةِ (٨)، فَأَصْبَحَتْ صُورَةٌ مُكَثَّفَةٌ أَنْارَتِ النَّصَّ وَأَخْرَجَتْ غَايَتَهُ الدَّلَالِيَةَ الْوَاضِحَةَ، لِأَنَّهُ (ع) فِي مَقَامِ التَّذْكَيرِ وَالْوَعْظِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْوَضُوحِ لِأَمَةِ الْحُجَّةِ، وَلِهَذَا كِنَايَاتٌ أُخْرَى اسْتَمَدَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ (٩) .

(٥) ينظر: أساليب البيان في التعبير القرآني، ص: ٧٣٣.

(٦) سورة التوبة / ١٠٩ .

(٧) نهج البلاغة، خ (٢٢١)، ج ٢ / ٢٤٦-٢٤٧ .

(٨) ينظر: أساليب البيان في التعبير القرآني، ص: ٧٣٩ .

(٩) ينظر: نهج البلاغة، ق (١٨٦)، ج ٣ / ١٩٥، خ (٨٩)، ج ١ / ١٨٢-١٨٣ .

الفصل الثالث خصائص الاقتباس

المبحث الأول: الخصائص الدلالية.
المبحث الثاني: الخصائص الفنية.

مدخل:

إنَّ التَّوَعَّ في طرق الاقتباس استدعى تنوعاً مماثلاً في خصائصه، إذ ليس من المعقول أن تتوحد مع مثل هذا التنوع .

والقول إنَّ المتأمل في نصوص النهج يجدها كلها ماء واحداً ، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً ، كالجسم الذي ليس لبعض من أعضائه خالفاً لباقي الأجزاء في الماهية⁽¹⁾، لا يمنع من ظهور خصائص ، ومزايا مختلفة لكل نوع من هذه الاقتباسات .

(1) ينظر : شرح ابن أبي الحديد: المقدمة .

ومن الطبيعي أن يستدعي تنوع الخصائص تصنيفاً ناسبه ويستقصيه، لتفردا "مائلة في بنية الخطاب الذي يتكامل نصاً مغنياً" (٢).

لما كان الأمر كذلك لا بد أن يتولد عن هذه الخصائص دلالات موحية، تميزها، وسمات فنية لها جمالياتها، اصطبغت بها، فقاد إلى حتمية تصنيفها إلى: (خصائص دلالية) و(خصائص فنية) تبعاً لعطاءات معاني هذه الاقتباسات وألفاظها .

المبحث الأول : الخصائص الدلالية .

إنها إضاءة وتعميق لصور الاقتباس والمتحقق بفعل عرض خصائصها التي استهدفت المنح الدلالية لبنى الاقتباس في النصوص، وتجلى في بعض من الخصائص التي انضوت تحت جناح المستوى الدلالي، وهي:

أولاً: تغيير المفردة بمقتضى الس . ياق .

وكان تغييرها وفقاً لمتطلبات عديدة، منها:

تغيير المفردة المقتبسة . للبتوافق الد . لاي .

(٢) سلطة الحق ، ص: ٢١٩ .

عمد الإمام إلى اقتباس المفردة القرآنية لعمق دلالتها، ولقدسيته في نفس المتلقي، ولقدرتها على بث المعاني، والدلالات المكتنزة فيها وحملها للمعاني التي يطول شرحها إذا أراد المتكلم العادي التعبير عن مثل هذه المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول، وأقل دلالة (١).

لقد أصبحت بمثابة إشاراتٍ منشطةٍ قادرةٍ على استدعاء الصورة الذهنية المصاحبة لها، ومن خصائص الاقتباس عنده (ع) في عموم اقتباساته تطويع ما اقتبسه سعياً لخلق التوافق الدلالي، وتمثّل هذا الأمر في المفردة حين يغيّر من تركيبها البنائية (٢)، أو في مواقعها حين يقدّم أو يؤخّر بحسب مقتضى الحال.

قال (ع) محذراً أصحابه من الشيطان: ((فاحذروا عباد الله عدو الله يهديكم بدائمه، وان يستفزكم بدائمه وان يجلب عليكم بخيله، ويرجله)) (٣).

وقع الاقتباس في المفردة (يستفزكم) من قوله تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْبِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَنْهُمْ وَمَا يَعْهَدُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُورًا) (٤)، في سياقها القرآني كانت خطاباً مباشراً بصيغة الأمر، غير أنّ السياق الجديد في كلام الإمام (ع) فرض تعبيراً جديداً في المفردة حين أوردتها بصيغة المضارع وللإشارة إلى استمراريتها، وفعاليتها بهذا الفعل المضارع الدال على الحضور والمستقبل مع الحفاظ على معناها القرآني الذي وردت فيه.

والتعبير البنائي للمفردة - من حيث الزمان - لم يكن مانعاً في استحضر معناها في سياقها القرآني وما أن تطرق المفردة النهجية (يستفزكم) مع المتلقي حتى يقفز المعنى القرآني للمفردة (استفز) (١) أمام ناظره، فيتحقق الإفهام قبل اكتمال قراءة النص، فأصبحت بمثابة (اقتران شرطي) (٢) □.

وغيّر التركيب القرآني (فأنبذ إليهم) في قوله تعالى: (وَأَلَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِذِينَ) (٣) إلى صيغة المفرد، في كتاب له (ع) إلى جرير بن عبد الله البجلي

(١) ينظر: البيان والتبيين، ص: ٩٤ .

و تقدم الكلمة عنصراً دلاليًا يشعّ بالإيحاءات المتعددة.

ينظر: محاضرات في الصوت والمعنى، رومان جاكوبسن، ترجمة حسن ناظم وزميله، المركز الثقافي العربي

بيروت، ط، ص: ٩٠ .

(٢) ينظر: الفصل الأول، المبحث الأول اقتباس المفردة القرآنية، ص: ١٦-٣١.

(٣) نهج البلاغة، خ (١٨٧)، ج ٢/١٦٣.

(٤) الإسراء/٦٤

(١) استفز: أي استنزل.

ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج ٦/٤٤٩ . وينظر: أحكام القرآن، للجصاص، ج ٣/٢٦٦.

□ (٢) الاقتران الشرطي هو مصطلح علمي عُرف عند علماء النفس، ويعني حضور شيء عند حضور شيء آخر اقترن

به، كما توصل إليه العالم الروسي (بافلوف) .

ينظر: أساسيات علم النفس التربوي، د. محسن حسين الأزيروجاوي، دار الكتاب للطباعة، الموصل، ١٩٩١م، ص: ٢٣٨

(٣) الأنفال/٥٨ .

لما أرسله إلى معاوية، ومما جاء فيه: ((... خذهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُّجَلِيَّةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُّخْزِيَّةٍ، فَأَنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ أَفْأَنْبُذُ ذَإِلَيْهِ، وَأَنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بِبَيْعَتِهِ وَالسَّلَامِ)) (٤)

الضمير يعود إلى معاوية، وأراد الإمام (ع) أن يعبر عن أمر مقصود فتم له ذلك حين عبر بهذه المفردات القرآنية التي تشكّلت في التركيب (أُنْبِذُ ذَإِلَيْهِ) وهو تركيب أضفى دلالةً غنيةً على النص ومثلت إحالة دلالية موجزة تأخذ بالمتلقي إلى ما وراء النص حين يعود إلى صدر الآية المقتبسة، وهي إشارة واضحة إلى خيانة معاوية .

وللوصول بالمفردة القرآنية إلى أقصى عطائها الدلالي، نجد (ع) أحياناً يقتبسها في بنيتها الصرفية القرآنية المتعارف عليها كما في قوله (ع): (... انفروا - رحمكم الله - إلى قتالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَتَّأَقِلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقَرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبَوَّعُوا بِالذَّلِّ) (٥).

والمفردة (تتأقلون) تعود بانتمائها الصرفي إلى المفردة القرآنية (اثأقلتم) في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) (٦).

لقد نجح الإمام (ع) في تطويع الدلالة القرآنية^(٧) على الرغم من التغير الحاصل في بنيتها البنائية مع الحفاظ على سمتها الصرفية التي عُوت بها، والتي لّدت بحروفها الثقيلة على مقدار تتأقل هؤلاء عن القتال، حتى كلهم يتساقطون على الأرض إن أرادوا القيام وهكذا قدّم بها - المفردة - دلالةً موجبةً شكّلت بُؤرةً دلاليةً للنص .

وغالبا ما تأتي اقتباساته للمفردات، مصحوبةً بالمناخ العام الذي ينهل منه تلك الاقتباسات، وكأنه يقتبس سياقها معها للإفادة منه ضمن دلالة النص الجديد .

تغير النصوص المقتبسة في مقلضى الس * ياق .

تكيف النص القرآني، والنبوي للمراد المدلولي من خلال الإفادة من تركيبه، أو معناه، وقد نجح الإمام في إيجاد كثيرٍ من هذا التكيف.

نجد (ع) يطوع ما اقتبسه من آيات وفقا للسياق العام للنص باعتباره " الّجع الذي يُحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادّة القول ويكون لفظاً أو قابلاً للشرح اللفظي " (١) ، ومن أمثلة ذلك قوله

(٤) نهج البلاغة، ك (٨) ج ٩/٣ .

(٥) المصدر السابق، ك (٦٢) ج ١٣٢/٣ .

(٦) التوبة/٣٨ .

(٧) واصل المفردة (اثأقلتم) تتأقلتم إلى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض، وهو توبيخٌ على ترك الجهاد، وعتابٌ على

التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقيل: أي تكاسلتم، ومولتم إلى المقام في الدعة، والخفض، وطيب المكان.

ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج ٥٤/٥ . وينظر: جامع البيان، الطبري، ج ١٧٢/١ . وينظر: الجامع لاحكام

القرآن، القرطبي، ج ١٤٠/٨ . وينظر: تفسير القران، ابن كثير، ج ٢٧٢/٢ .

(١) الخطيئة والتكفير، ص: ٣.

وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان : (وَسَاءَ لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَكُم مِّنْ غَرَمٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَوَّ مَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمُ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمُ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ)) (٢).

بالرجوع إلى الآية (يُنَالُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَوْلًا بَلَدِي وَلَا كُنْتُمْ فَتَنْتُمْ أَفُسُكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (٣) نلمح إبدالاً في الصيغة المقتبسة، إذ تحول الخطاب من المخاطب الحاضر (غَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ) إلى الغائب (غَرَّتْكُمْ بِالْأَمَانِيِّ).

في الآية المباركة وقع التغير من قبل الأمانى، وهي نسبة مجازية لغوية وقعت في نسبة التغير لملء ومعنوي ليس له وجود في عالم المحسوس بفضل الاستعارة، وفي كلامه (ع) وقع التغير من قبل (الشيطان المضلّ والآنفس الأمارة بالسوء)، بالإضافة إلى العدول من المخاطب إلى الغائب بعد أن سُئِلَ: (مَنْ غَوَّهم؟)، وهو سؤال عن الغائب باعتبارهم موتى، ولم تبقى سوى أجسادهم في الوقت الذي نجد الآية في حوار مع أولئك حواراً مباشراً، إنَّ ملاءمة سياق الحال والمقال التي استدعت هذا التغير مع الحفاظ على الدفق المعنوي الكبير للمقتبسات، ووضوح إحالتها الدلالية.

ونجد مثلاً آخر أعاد فيه الصياغة في أسلوب جديد ملائم للسياق العام لكلامه خدمةً للدلالة الجديدة في قوله في كتاب له كتبه إلى الحارث الهمداني حين عدل عن صيغة الجمع إلى المفرد فقال: (وَظَّ مَ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذَكَرَهُ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ) (٤)، وهو من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْطُؤُوا اللَّهَ عِصَّةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَنْ تُقُؤُوا وَتَقُولُوا وَتَصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥).

وقال له أيضاً: (وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ وَثِيقٍ) (١)، وهو من قوله تعالى في خطاب بني إسرائيل: ﴿لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهِ عَظِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وكذلك في صيغة: (وَأَكْظَمُ الْغَيْظِ) (٣)، وهو إفراد لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٤)، ولأنَّ خطابه موجّه لشخص مفرد جعل الاقتباس موجّهاً بصيغة الإفراد، فأصبح الاقتباس ملائماً لسياق النص.

(٢) نهج البلاغة، ق(٣٢٣)، ج٣/٢٣٠.

(٣) الحديد/١٤.

(٤) نهج البلاغة، ك(٦٩)، ج٣/١٤٢.

(٥) البقرة/٢٢٤.

وينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج٣٣/١٨.

(١) نهج البلاغة، ك(٦٩)، ج٣/١٤٣.

(٢) الجمعة/٦ - ٧.

وينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج٣٣/١٨.

(٣) نهج البلاغة، ك(٦٩)، ج٣/١٤٣.

(٤) آل عمران/١٣٤.

وينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج٣٥/١٨.

ويصل التغيير أحيانا إلى إبدال المضارع (تعتوا الوجوه)^(٥) بالماضي (تَدَّت الوجوه)^(٦)، أو العكس من ذلك في إبدال (ولا يؤده حفظهما)^(٧) بصيغة الحديث عن الماضي (لم يؤده) في قوله (ع): ((لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برأه وحقَّه، ولم يكونها لتشديد سلطان...))^(٨)، لأنَّ سياق الحديث في الخطبة كان في بدء خلق الأرض، وهو حديث في زمن مضى استدعى ضرورة تغيير القَدَّ بس تبعاً لذلك.

أو يغير المقتبس المضارع (مهطعين)^(٩) إلى فعل الأمر (فاهطعوا) في قوله (ع): (فأهطعوا أسمعكم إليها وخطُّوا بجَدِّكم عليها)^(١٠)، حين جاءت خطبته للوعظ والإرشاد فتطلب الأمر المخاطبة بصيغة الأمر أو في إبدال الجمع بالمفرد^(١١).

ثانيًا: دلائل بتغير مواقع الاقتباس .

احتلَّت النصوص القرآنية المقتبسة -اقتباساً مباشراً- مواقعَ مختلفة تبعاً لاختلاف سياقِ الحال والمقال (١)، فأفضت إلى هباتٍ دلاليةٍ امتاز بها كلُّ موقعٍ دون سواه .

دلالة ، الاقتباس الواقعة ، في بدالته ، صوص .

هي غالباً ما تكون منطلقات لحديث ينبع منها سواء أكان في خطبه (ع) أم في كتبه، فتغدو المحور الأساس الذي تدور النصوص في فلكه، وتلتف حوله، من ذلك قوله بعد تلاوته لقوله تعالى: "ألهكم التكاثر

(٥) نهج البلاغة، خ (١٧٤) ج ٢/١٢٠-١٢١.

(٦) قال تعالى: (وَعَتَّ الْوُجُوهُ لِأَحْيِ الْيَوْمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَلَّى ظُلُمًا) . طه/١١١

(٧) من قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) . البقرة/٢٥٥.

(٨) نهج البلاغة، خ (١٨١) ج ٢/١٤٨.

(٩) من قوله تعالى: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَنَّهُمْ هَوَاءً) . البقرة/٤٣.

(١٠) نهج البلاغة، خ (١٨٦) ج ٢/١٥٨ .

(١١) ينظر: المصدر السابق، ك (٨) ج ٣/٩ .

(١) ينظر على سبيل المثال: سورة النحل/١٢٨ في خ (١٨٨) ج ٢/١٨٥، سورة النور/٣٧ في خ (١٢٧)

ج ٢/٢٣٧، سورة الانفطار/ في خ (٢١٨) ج ٢/٢٤٠، سورة النحل/٩٠ في ق (٢٣١)، ج ٢/٢٠٤ .

حتى زرت المقابر" (٢)، فقال: ((يالاهُ مَوماً ما أبعدهُ وزوراً ما أغفلهُ، وخطراً ما أظفَعهُ لَقَد استخَذَوا مِنْهُم أَيُّ مُدَكَّر، وتناوَشُوهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ !!! أَبِمْصَارِجِ آبَائِهِمْ يَفخِرُونَ أَمْ بَعِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثِرُونَ؟ يَرْتَجِبُونَ مِنْهُمُ أَجْسَاداً خَوْتاً، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ)) (٣)، ثم يمضي (ع) في ذكرِ أحوالِ الموتى في قبورِهِم، وما سيؤولون إليه، بعد أن تركوا ديارَهُم التي أضحت عَرَصَاتٍ لَهْوِيَّةٍ، ورُبوعاً خَالِيَةً وذهبوا عنها ضلَّالاً، فنذَهَبَ في إثرِهِم، ونَطَأَ هَامَتَهُم ونسكن فيما خَوُوا وهكذا تُكرَّر الأيَّامُ فَعَلَّتْهَا مَعْنَا، فيختلط في القبورِ الملوِّكُ والسَّوْقَةُ (٤).

يدخل بعدها رَسْمُ صُورٍ بَيَانِيَّةٍ تَشْخِصِيَّةٍ حين يذكر تسليط الأرض عليهم لتأكل من لحومهم، وتشرب من دمائهم ليصل بالمتلقي إلى صورٍ مُنْفَرَّةٍ تذكيريَّةٍ رادعة واعظة، حتى يصل إلى القول: ((وانَّ للموتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بَصْفَةً، أَوْ عَتَّ دَلَّ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا)) (٥)، وقوله هذا للإمعان في التهويل، والتذكير، والاعتبار، وفي الدعوة للعمل لما بعد القبور، حينئذ فُكِّدَ دلالةَ المقتبسِ القرآني المباشر، حين تَنَطَّطَ معانيه في ثنايا خطبه (ع) فكانت المنطلق إليه، ومحوره الأساس، وخاتمته أيضاً.

إنَّها هيمنةٌ دلاليةٌ للنص القرآني الذي أخذ بتلاييب الخطبة، ثم أدارها معه حيث يدور، والذي عَزَزَ من معانيها في النص تلك الاستفهامات الاستنكارية الدالَّة على التوبيخ: (أبِمْصَارِجِ آبَائِهِمْ يَفخِرُونَ أَمْ بَعِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثِرُونَ...)، وفي تصويرٍ بيانيٍّ تَشْخِصِيٍّ.

وتوالت مثل هذه الهيمنة في قوله تعالى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ نِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...) (١) في إحدى خطبه (٢)، التي حثَّ فيها على الذكر والتقوى. بعد قراءة هذه النصوص، ونظائرها (٣)، يدرك المتلقي أن الإمام ط. عرَّضَ نصوصه للنص المقتبس، وجعلها - الآيات المقتبسة - عنصراً مهيمناً في سوق دلالة النص لتسير في ظَّهْرِهِ، فيصبح النصُّ في نسقٍ موضوعيٍّ متسلسلٍ متماسكٍ.

لم يترك زاويةً من زوايا النصِّ خاليةً من البتِّ الدلالي للآية، إنَّها إشارةٌ دلالةٌ تعود بالمتلقي إلى الفواتح القرآنية المقتبسة والمستقرَّة في مقدِّمة النص، وبذلك تصبح إطاراً تنتظم فيه النصوص، أو أن يكون بمثابةً لأرضية التي يُمكن أن تُؤسَّس عليها الدلالة العامة لها.

(٢) التكاثر/١-٢.

(٣) نهج البلاغة، خ (٢١٦) ج ٢/٢٣٠.

(٤) ينظر: المكان نفسه، ج ٢٢٣ - ٢٣١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ج ٣١/٢ - ٢٣٧.

(١) النور/٣٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، خ (٢١٧) ج ٢/٢٣٧ - ٢٣٩.

(٣) ينظر مثلاً: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).

الانفطار/٦. نهج البلاغة، خ (٢١٨)، ج ٢/٢٤٠ - ٢٤٣.

وشكّل ذكر الموتِ وصورة أحد المعالم المتكرّرة في نصوص الإمام (ع)، فما أن يتركه قليلاً إلا ويعود مرة أخرى، وهذا الذكر كان يريد للناس كافة كما هو بيّن .

وتتجلى تبعية النصّ النهجي، للنصّ القرآني المقتبس حين يحيط به بغية تفسيره، وبيان معانيه كما في تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).^(٤)

ب- دلالات الاقتباسات الواقعة في أثناء النص.

فتارة نجد النصوص المقتبسة في بداية النص^(٥)، أو في وسطه^(٦) أو بعد ذلك بقليل أو كثير^(٧)، ما عدل من ابرز تلك الدلالات - الناتجة عن تغيير مواقعها - الاشتراك الفاعل في عملية السرد، والبناء الدلالي للنصوص، والتي يلعب فيها السياق دوراً بارزاً .

في خطبة طويلة له (ع) شكّل السرد عنصراً مهماً مع تنوّع في الأحداث والزمان والمكان، لينتقل بالمتلقي من (مكان) إلى آخر حين يفصل القول في ابتداء خلق السماء والأرض، وقصة خلق آدم، وما جرى له مع إبليس، يصل بنا إلى ذروة الحدث المتمثل في امتناع إبليس عن السجود لآدم (ع)، حيث يقول (ع): ((فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ وَتَعَرَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَهَوَّنَ خَلْقَ الصَّلَاحِ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ سَتِ حَقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتَمْتَمًا لِلدِّيَّةِ، وَانْجَازًا لِلْعِدَّةِ فَقَالَ: " إِنَّكَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ " ثُمَّ اسْكَنَ سَبْحَانُهُ أَدَمَ دَارًا ارْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ، وَأَمِنَ فِيهَا مَلَأَهُ، وَحَوَّأَ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ...))^(١)

لقد مثّلت الآية^(٢) جزءاً لا يتجزأ من عملية السرد القولي اعتماداً على الحكاية القرآنية، وازدادت فاعلية النص القرآني في العملية السردية في بعض مواضع النهج، ويكاد المتلقي لا يحسّ بها لولا شهرة نسبتها القرآنية التي التصقت في أذهان المتلقين، كقوله (ع) مُتَشَكِّياً: ((... دَعَوْتُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ

(4) النحل/ ٩٠ .

(5) ينظر مثلاً: سورة يونس/ ٢٤ في خ (١٠٧)، ج ١/ ٢١٦، المدثر/ ٤٣ في خ (١٩٤)، ج ٢/ ٢٠٤، النساء/ ٥٩ في خ (١٢١)، ج ٨/ ٢، ص ٧١ في خ (١٨٧)، ج ٢/ ١٦١، النحل/ ١٢٨ في خ (١٨٨)، ج ٢/ ١٨٥، المدثر/ ٤٣ في خ (١٩٤)، ج ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥، الأنفال/ في ٢٨ ق (٩٣)، ج ٣/ ١٧١، المدثر/ ٣٨ ق (٣٧٧)، ج ٣/ ٢٤٤ .

(6) ينظر مثلاً: سورة القصص/ ٢٤ في خ (١٥٥)، ج ٢/ ٧٣، طه/ ٣٢ في خ (١٩٤)، ج ٢/ ٢٠٥، الحج/ ٢٥ في ل (٦٧)، ج ٣/ ١٤٠، الحديد/ في ٢٣ ق (٤٣٩)، ج ٣/ ٢٥٨ .

(7) ينظر مثلاً: سورة الأنعام/ ٣٨ في خ (١٧)، ج ١/ ٥١، العنكبوت/ ٢ في خ (١٥١)، ج ٢/ ٦٤، الزمر/ ٧١ في خ (١٨٥) ج ٢/ ١٥٥، الشعراء/ ٥٧ في خ (١٩٦)، ج ٢/ ٢٠٧، لقمان/ ٣٤ في خ (١٢٤)، ج ٢/ ١٥، البقرة/ ١٢٦ في خ (١٢٥)، ج ٢/ ١٧، فصلت/ ٣٠ في خ (١٧١)، ج ٢/ ١١٣ .

(1) نهج البلاغة، خ (١) ج ١٥-١٦ .

(2) الأعراف/ ١٥ . وينظر: الحجر/ ٣٧، ص ٨٠ .

تَأْمَنُّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ))، ويقولُه تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ) (٣) بعد قوله (ع): (ولا تَيَأْسَنَّ لَشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى)، فشكَّلَ مِنْهَا جَمِيعًا وَحِدَةً بِنَائِيَّةٍ فِي سَرْدٍ قَامَ عَلَى الْإِحْتِجَاجِ (٤)، فقال: ((لا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابًا لَهْ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: " فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ، وَلا تَيَأْسَنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى " إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ")) (٥).

وكذلك عند استحضار قوله تعالى: (لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (٦) في الكلام عن الزهد (٧).

ج- دلالة الاقتباسات الواقعة في نهايات النصوص .

إنارة دلالية متميزة تكون حينئذٍ، تتجّه بالنص نحو التوكيد أو التلخيص باعتباره نصاً قرآنياً له تأثيره النفسي والعقائدي في ذهن المتلقي وله القدرة على تثبيت المعنى وتوكيده أو التذكير به حين يوجز ولهذا النوع حضوره الملحوظ في النصوص التهجية (١) .

وبعد كلام (ع) في الحج ولأهميته ختم خطبته بقوله تعالى: (إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَامْنِ حَجًّا أَوْ اعْتَمَرًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خِوًّا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (٢) .

(٣) يوسف/٨٧.

(٤) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩/٢٧٤ .

(٥) المكان نفسه .

(٦) الحديد/٢٣ .

(٧) نهج البلاغة، خ (٤٣٩) ج ٣/٢٥٨ .

(١) ينظر: سورة آل عمران/٩٧ خ (١) ج ١/٢١، الأنفال/٦ خ (٣٨) ج ١/٨٦، محمد/٢ خ (٦٣) ج ١/١١٢،

البقرة/٢٠ خ (٨٧) ج ١/١٨١، الأنبياء/١٠٤ خ (١٠٧) ج ١/٢١٩، الدخان/٢٩ خ (١٨٦)

ج ٢/١٦٠، المجادلة/١٩ خ (١٨٩) ج ٢/١٩٢، الأعراف/٨٧ ك (٥٥) ج ٣/١٢٤، ص/٢٧ ق

(٧٨) ج ٣/١٦٧، القصص/٥، ق (٢٠٩) ج ٣/٢٠٠، الحج/١١ ق (٣٤٤) ج ٣/٢٣٥، يوسف/٨٧

ق (٣٧٧) ج ٣/٢٤٥ .

وتكرر الأمر في خطبة له (ع) في خطبة حذر فيها من الدنيا والتي ختمها قوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِكُتُبِ كَمَا بَآءْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا بِإِنَّا كُنَّا فَالطَّيِّبِينَ) (٣) .
خطبته التي تمحورت حول معنى واحد أعاد التذكير به، وتوكيده وبعد خطبة طويلة أخرى أوصى فيها بتقوى الله، وأبان فيها صفات المتقين، ودعا إلى العمل قبل الفوت وإقبال الغيلة ، وإدبار الحيلة ـــــــــــــــــ إلى قوله تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) (٤) فلخص بها حال من لم يفعل ذلك من الأمم السابقة .

هكذا انتهى في خطبة أخرى خص فيها المنافقين إلى قوله تعالى: (ستحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم نَكَرَ اللَّهُ أَوْلَائِكَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٥)، اختزلت هذه الآية خطبته بأكملها ، فيتربس معناها في ذهن المتلقي باعتبارها بؤرة دلالية ركزة، ومثلما يفضي إيجازه - باختيار الآية المناسبة - إلى الوعظ والإرشاد يخرج به كذلك إلى التهديد والوعيد .

في كتاب له (ع) إلى معاوية (٦) مذكرا وموعدا ختم بقوله تعالى: (إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ أَمَدُوا بِإِلَٰذِي أُرْسِلْتُ بِهِمْ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِدُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (٧) يدرك متلقي النص بالنبرة التهديدية للنص القرآني عند مطالعة كلامه (ع) الذي سبق هذه الآية، إذ قال: (.. وأحذ أن يصبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل، وتقطع الدابر، فأني أولي لك بالله أليّة غير فاجرة لئن جمعتي وإياك جوامع الأقدار لا أزال بياحتك " حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ") .

وتصل دلالة المقتبس إلى ذروتها في قوله (ع) ربما يوصل الإيجاز إلى التوبيخ (١)، أو الترغيب (٢) ، أو التذكير (٣) .

الأمر اللافت للنظر في هذه النصوص ، إنَّ غالبية ما جاءت في خواتم النصوص وتؤدي وظيفتها باعتبارها علامة تُشعر المتلقي بنهاية النص مُحققة بذلك تكثيف المعنى وتلخيصه، لما فيها من دلالات مكنتة .

(2) سورة ال عمران/٩٧ ينظر: نهج البلاغة، خ(١) ج١/٢٢ .

(3) الأنبياء/١٠٤ . ينظر: نهج البلاغة، خ(١٠٧) ج١/٢١٩ .

(4) الدخان/٢٩ . ينظر: نهج البلاغة، خ(١٨٦) ج٢/١٦٠ .

(5) المجادلة/١٩ . ينظر: نهج البلاغة، خ(١٨٩) ج٢/١٩٢ .

(6) نهج البلاغة، ك(٥٥)، ج٣/١٢٤ .

(7) الأعراف/٨٧ .

(1) ينظر: نهج البلاغة، خ(٧٨) ج٣/١٦٧ . حين اقتبس الآية (٢٧) من سورة (ق) .

(2) ينظر: المصدر السابق خ(٢٠٩) ج٣/٢٠٠ . حين اقتبس الآية (٥) من سورة القصص .

(3) ينظر: المصدر السابق، خ(٢٠٦) ج٢/٢١٨ - ٢١٩ . حين اقتبس الآية (٢٦) من سورة النازعات .

أو إنَّها تأتي للتهديد، والوعيد، الذي ارتبط بالسور المكيَّة، أو للنصح والإرشاد الذي ارتبط بالسور المدنية، وربما يرجع الأمر إلى طبيعة كلِّ من هذه السور كما هو معلوم في ظروف نزول كلِّ منهما ولملائمة السور القصار للوعيد، ولما يحتضنه من معانٍ تختص بذلك .
إنَّ البيئة التي يسودها الظلم، والانحراف لا بدَّ لها من الصقل والتهديب لذا نجد السور المكيَّة في كلامه (ع) قد جاءت بقدرٍ أكبر في مثيلاتها المدنيَّة (٤).

ثالثا: التنوع اللغوي في تنوع الأساليب وتغيير الأشكال .

إنَّ اللّالة تَبَعُ للشكل والأسلوب عند القدماء والمحدثين (١) ، ويأتي هذا عبر السياقات المختلفة، بدءاً من المفردة ، وانتهاءً بالجملة .
ولم يكن اختيار الإمام (ع) للأسلوب أو الشكل المناسب عشوائياً، وفي الوقت نفسه، ما كان بدعا، ونشازا بين مفرداته، وسطوره، وجمله بقدر ما هو مطلب لدلالة مقصودة .
لقد أخذت هذه الأساليب أشكالا عدّة في تنوعها لتعكس في مرآة النصِّ فتعطي أضواءً متنوعة من الدلالة والتعبير، ومن هذه الأساليب:

(٤) بلغ عدد الآيات المكية التي ختم بها خطبه، وكتبه، وحكمه عشر آيات هي: (الأنفال يونس ، الدخان ، ص ، فاطر ، المؤمنون ، الأعراف ، النازعات ، النساء ، القاصص) والمدنية خمس هي (محمد ، المجادلة ، آل عمران ، البقرة ، الحج) .

(١) أشار القدماء إلى هذا الأمر، وفصل المحدثون القول فيه .

ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، وينظر: دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (د.ت).

أ- الاتباس الجزئي والآية ودلالاتها ص .

شكّل الحضور الجزئي من الآيات ظاهرة بارزة في نصوص الإمام (ع) ، صحيح أنه يستحضر جزءاً من الآية إلا أنه كان تفعيلاً وناشئاً للنص لما يحمل من إشارات و دلالات مكثفة (٢).

من كلام له (ع) لأصحابه في بعض أيام صيفين: ((.وامشوا إلى الموت مشياً سججاً ، وعليكم بهذا السواد الأعظم ، والرواق المطّيب فأضربوا تَبَجَهُ فَأَنَّ الشيطانَ كامنٌ في كِهْرِهِ ،قد قد دم للوثبة يداً وأخر للكوصِ رجلاً، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق " وأتم الأَطُونِ واللّاهُ مُعَمِّمٌ وَلَنْ يَتَرَكمُ أَعْمَالُكُمْ .)) (٣).

وقوله تعالى جزءاً من الآية التي اقتبس منها، وهي قوله تعالى: (لَا تَهْزُوا وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَطُونُ وَاللّاهُ مُعَمِّمٌ وَلَنْ يَتَرَكمُ أَعْمَالُكُمْ) (٤)، غير أن مقتضى الحال هو الذي اقتضى ذلك التبعية، مع الحفاظ على البؤرة الدلالية للمفردة (تتريكم) في كلامه (ع) مع أصحابه في حرب صيفين، وخروجهم لقتال معاوية وجنودها لتذكير بأن الله لن ينقص من ثواب أعمالكم (٥)، ولن يضيعه، ولن يظلمكم (٦)، والمعاني كلها متقاربة (٧) في السياق القرآني المقترَّب، والمقصود ، وفيها حث على القتال والصمود أمام العدو الذي رمز إليه بالشيطان، وهو رمز استعاري دال بما يملكه من بث دلالي، (صمداً، صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق)، والآية الكريمة بدأت بنبذ التكاسل والتهاون والدعوة إلى السلم عند القدرة والعلو في طلب الحق ولحقاقه، وهذا مالا يحتاجه الإمام (ع) لأن القوم امتثلوا لذلك وهم الآن في ساحة القتال، وهم بأمس الحاجة إلى وعد الهي طمئني بوقوف الله معهم، لذلك وقع اختياره على بعض دون بعض من الآية المباركة، تمشياً مع مقتضى الحال، فبلغ في التأثير نروته، حتى أن صحبه بعد سماعهم لذلك انطلقوا في أكثر من عشرة آلاف خلف الإمام (ع)، ووثبوا إلى رماحهم، وسيوفهم ونبالهم، حتى وصلوا إلى خيمة معاوية فكادوا أن يقضوا عليه لولا خديعة رفع المصاحف (٨)، فالآية منلت خلاصة لخطته (٩).

(٢) ينظر مثلاً: آل عمران/٩٧ في خ (١)، ج/٢١/١، الأنفال/٦ في خ (٣٨)، ج/١/٨٦، محمد/٣٥ في خ (٦٣)، ج/١/١١٢، القصص/٢٤ في خ (١٥٥)، ج/٢/٧٣، الزمر/٧١ في خ (١٨٥)، ج/٢/١٥٥، المجادلة/٩ في خ (١٨٩)، ج/٢/١٩٢، المجادلة/٢٢ في خ (٤٥)، ج/٣/٨٤، الأعراف/٨٧ في خ (٥٥)، ج/٣/١٢٤، الحج/١ في خ (٣٤٤)، ج/٣/٢٣٥ .

(٣) نهج البلاغة، خ (٦٤) ج/١/١١١ - ١١٢ .

(٤) محمد/٣٥ .

(٥) ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي ، ج/٩/٣٠٨ . وينظر: الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي ، ج/١٦/٢٥٦ .

(٦) ينظر: جامع البيان ، الطبري ، ج/٢٦/٨٣ . وينظر: زاد المسير ، ابن الجوزي ، ج/٧/١٥٧ .

(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد الحسين الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، ج/١٨/١٤٠ .

(٨) ينظر: شرح بهج الصباغة، للتستري، ج/١٣/٥٤٣ .

(٩) ينظر: نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، قم، سليمان زادة، ١٩٩٥، ج/٣/٦٢ .

ولما كان معرض الحديدواضع الرُّسُلِ (عليهم السلام) وزهدهم في متاع الدنيا بدأ بالنبي المصطفى (ص واله) وثنى بموسى (ع) فقال: ((وان شئتُ ثنيت بموسى كليم الله، صلى الله عليه واله ، اذ يقول: " رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ "))^(٣) .

ما أخذه من كتاب الله في سياق السرد الكلامي في خطبته جزءٌ من قوله تعالى: (قَيِّ لَهَا مَا تُمْ تَوْلَىٰ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) ^(٤) .

هنا تحكّم سياق المقال والبعد الزمني في فرض هذا الاختيار، فالسياق لا يتسع لذكر " فسقى لهم ما ثم تولى " إذ لا رابط بين القول في سياق الحديث، والبعد الزمني (المضارع) الذي لفّ خطبة الإمام لا يتلاءم مع الزمن (الماضي) في الآية: " فقال "، ولكل من الآية والخطبة زمنها، لذلك همّ د(ع) لاقتباسه بالقول: (إذ يقول) مطلباً للدلالة وسعيًا إليها.

وفي كتاب بعثه إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فوَّده في الدنيا وذكر أمره معها، وهو القادر على التَّيْلِ منها، وكيف أنه طَّقها ثلاثاً، وهي دعوة غير مباشرة للاقتداء به في رَعِيَّتِهِ، خلص إلى القول: ((طوبى لنفسٍ أنت إلى رَهًا فَرَضَهَا ، وَعَرَكْتَ بجنها بؤسها وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غاب الكرى عليها افتششت أرضها، وتوسدت كفها في معشرٍ اسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاذبت عن مضاجعهم جنوبهم وهمممت بذكر ربهم شفاهاً هم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم " أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون))^(٥) .

وقع الاقتباس في قوله تعالى: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى يُرِضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١) .

بعد ذكر صفات خوف المعاد، وكثرة الذكر، والاستغفار من الذنب انتهى إلى إيجاز ذلك كله بكونهم حزب الله وهم المفلحون، أن محل الشاهد هو التكتيف الدلالي في المقطع من الآية ولا حاجة له فيما سبقها من كلام لأنه ممّا لا ينطبق وسياق كلامه اعتماداً على قدرة المقطع القصير من الآية الواحدة على الدلالة، باعتباره وحدة خاصة^(٢) .

ب- التراكم الاقتباسي وتأثيره في التلاوة ص

(3) نهج البلاغة (١٥٥) ج ٢ / ٧٣ .

(4) القصص / ٢٤

(5) نهج البلاغة، ك (٤٥) ج ٣ / ٨٤ .

(1) الحشر / ٢٢ .

(2) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب، (د.ت)،

الجزائر، ص : ١٤ .

والمقصود به وجود عدد من الاقتباسات في نص واحد متجاورة، أو متفرقة، أو بالصورتين معاً، فيغدو ذا مقدرة على البث الدلالي، على الرغم من وجود هذا النوع من التراكب الاستعاري في النصوص المباشرة إلا أنه شكّل سمة بارزة للنوع الآخر منها^(٣).

يتبلى العطاء الدلالي، ويصل إلى ذروته حين يستدعي الإمام (ع) سلسلة من الاقتباسات المتجاورة، فيكتنز النص بالإحالات، والإيماءات، والاشارات، شخى بكم هائل من القداسة والإيحاء . ويختلف عدد المقتبسات في النصوص تبعاً لمقتضى المقال وفيها جميعاً يرتقي النص، وتتعمق وبتة، إن الأمر برمته لم يكن يخلو من مطلبية دلالية هي التي تفرض عدد الاقتباسات في نص دون غيره، ففي كلامه (ع) في خلق الأرض والسماء، وبيان عظمة الله وفضله فأمطر النص بالاقتباسات المتجاورة ليعفي بانزال الموضوع في منزلته المناسبة .

حين يريد رسم صورة بيانية تستوعب ما تقدم من معانٍ لا يجد بداً من الاستعانة بالقرآن الكريم، باعتباره نصاً تعالياً يقطر دلالةً ، ويفيض بياناً فقال (ع) : (ثم انشأ سبحانه فتق الأجواء ، وشق الإرجاء ، وكأذك الهواء) ثم يصل إلى القول: (سوي منه بع سموات ، جعل فله ن هوجاً مكفوفاً ، وليها ن سقفاً محفوظاً ، وسمكاً مرفوعاً ، بغير عمد يدعما ، ولا دسار ينظمها ، ثم زينها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب ، وأجرى فيها سواجاً مستطيراً فوقاً مراً فيراً في فلكدائر ، وسقف سائر...)^(١).

يزدحم النص بالاقتباسات القرآنية: (مُطَهَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)^(٢)، (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٣)، (وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقَوَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَتْرْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)^(٤)، وقوله تعالى: (وَحِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ)^(٥)، وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا الْقمرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلْنَا الشَّمْسَ سِرَاجاً)^(٦).

(٣) ينظر مثلاً: اقتباس معنى سورة إبراهيم/٣٤ وطه/١١٠ والشعراء/٢٤ والأعراف/٥٥ والنبأ/٧ في خ (١)، ج١/٧، واقتباس معنى سورة الأنبياء/٣٠ ولقمان/١٠ والصفوات/٦-٧ ونوح/٦ خ (١)، ج١/١٠-١١، واقتباس معنى المؤمنون/١١٥، القيامة/٣٦ والمائدة/٣ والمائدة/١٩ والنساء/٩٠ خ (٨٢)، ج١/١٤٧، واقتباس معنى سورة البقرة/٤٤ والتوبة/١٠٩ في خ (١٠١)، ج١/٢٠١، واقتباس معنى سورة طه/١١١ في خ (١٧٤)، ج١/١٢٠، واقتباس معنى سورة الأنبياء/٣٠-٣١ وسورة هود/٤١ في خ (٢٠٦)، ج٢/٢١٦-٢١٧، واقتباس معنى سورة غافر/٦٠ والنساء/٣٢ والأنفال/٣٣ والفرقان/٧٠ في ك (٣٢)، ج٣/٥٣ .

(١) نهج البلاغة، خ (١)، ج١/١١-١٢ .

(٢) الأنبياء/٣٠ .

(٣) البقرة/٢٩ .

(٤) لقمان/١٠ .

وتتوالى الاقتباسات بصورة أكثر في مساحة نصية نهجية اقل فين فجر دلالة ، ويغدو نصا متكاملًا في مبناه ، ومعناه ، كما في إحدى خطبه (ع): ((... فإله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه ، فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ، ولم يدعكم في جهالة ولا عمى ، قد سمي آثاركم ولم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، وانزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء ، وعمّر فيكم نبيّه أزماناً ، حتى أكمل له ولكم فيما انزل من كتابه دية الذي رضي نفسه وأنه سي إليكم على لسانه محابيه من الأعمال ومكارهيه ، نواهييه وأوامره ، وألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة ، وقد دم إليكم بالوعيد ، وأنتركم بين يدي عذاب شديد))^(٧).

ويشي النص بأصداء الآيات المباركة: (أفحسبتم أمّا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً...)^(٨)، (أيحب الألسان أن يتذكر سدى)^(٩)، و (إنا أرسلناك بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)^(١٠)، و "إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين"^(١١)، و (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً دا عليهم من أنفسهم وجنتنا بك شهيداً على هؤلاء وولنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدي ورحمة وهدى لئلا تكونوا من الخاسرين وما أهل لغر الله به والمنخذفة والموقونة والمزينة والنطيفة وما أكل السبع إلا ما تكتم وما نذبح على النصب وأن تسد قسوماً بالأزلام ذلكم فوقهم يئس الذين كفروا من بينكم فلا تفتخروهم وأحسن اليوم أكملت لكم دينكم وأتتكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخصصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) (الأنبياء) لئلا ين أمدوا إذا ضررتهم في سبيل الله فتتذوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل من الله فتتذوا وإن الله كان بما تعملون خبيراً)^(١٢).

الخطبة التي قامت على هذه الاقتباسات كانت خطاباً لعموم الناس: (فإله الله أيها الناس)، لذلك أراد الإمام (ع) عبر هذا الشد الاستعاري أن يقيم الحجة عليهم.

(5) الصافات/٦-٧ .

(6) نوح/١٦ . وينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١/٧٦ - ٨٠ .

(7) نهج البلاغة، ج١/١٤٧ - ١٤٨ .

(8) المؤمنون/١١٥ .

(9) القيامة/٣٦ .

(10) فاطر/٢٤ .

(11) يس/١٢ .

(12) النحل/٨٩ .

(1) المائدة/٣ .

(2) النساء/٩٤ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج٦/٢٧٨ .

وقد اشترك الفعلان؛ الماضي والحاضر في النص مثلما كان الأمر في الآيات المقتبسات، مع لِحاظ أمرٍ آخر هو الاشتراك في صيغة الخطاب مع النَّاسِ في الموضوعين، وفي هذين الأمرين أجاد الإمام انتقاء اقتباساته التي نبعت منها جملها صاغ منها خطبته، وتحقق بذلك تفعيل المقتبسات وتفجير طاقتها الدلالية، وبرز مثل هذا الحشد في مواضيع عدّة من النَّهْجِ، والذي هُذِلَ إثراء المعنى الدلالي للنص^(٣).

رابطه ، الأشخايف المقتبسات ، وتغير في أزمان الأنعال طبقا لمقتضى المقال .

الاقتباس يُمثِّلُ تداخلاً نصياً في الحدث وشخصيه، ومكانه، إلا أن التمعن في النصوص النهجية يُظهر قسماً مشتركاً لها، ألا وهو الحدّث فالمراد في الأغلب الأعم هو الحدّث، للاعتبار، أو التذكير أو الترهيب به، أو غير ذلك، بِغَضِّ النَّظَرِ عن فالحه، أو زمانه أو مكانه، وقد يكون التشابه مع الحدّث الواقع، أو المرقّب حدوثه.

في خطبة سابقة له (ع) كما مرَّ بنا^(٤) - بعد ذكر الموت، وفوات الفرصة - فرصة العمل الصالح - وبعد أن تطرّق إلى ذكر من غفل بعد أن ((فات مافات، وذهب ماذهب، ومضت الثيا لِحالِبالِها))^(٥) يتلو قوله تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)^(٦).

صرّحت السورة التي اخذ بعضها منها بذكر هؤلاء الذين ما بيگ عليهم السماء، ومضت الآيات بوصف أحوالهم؛ (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَبَاتٍ وَعِيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ^(١))، أنهم آل فرعون*، أراد (ع) الاعتبار بحال هؤلاء، وألا يكون - ممن سمعه - في حال كحالهم، إنَّها دعوة للاعتبار ممن مضى، وليس المهم معرفة هُم ولا أين حدث هذا الأمر، بقدر ما يُمثِّلُ دعوة للخلّة والاعتبار، لذلك لم يكن للشخص أهمية في السياق.

وتتمتع الشخصية بحضور متميز في الأعمال السردية، لتلتقي فيها مكونات الخطاب الروائي، ونصوص الإمام (ع) التي انصفت بالأسلوب السردية، لم تكن الشخصية مفقودة فيها لذاتها مادام الحديث منصّباً على الحدّث فقط، من هنا نجد الشخصية تُذكر تصرّيحاً أحياناً^(٢)، وئميحاً أحياناً أخرى^(٣)، إلا أن النوع الثاني كان هو الأغلب في النصوص المقتبسة

(3) ينظر مثلاً: نهج البلاغة، خ(١٩٣)، ج٢/٢٠١ - ٢٠٢، ك(٢٧)، ج٣/٣١-٣٣، ك(٣١)، ج٣/٥٣.

(4) ينظر: الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٣٠.

(5) نهج البلاغة، (١٨٦)، ج٢/١٦٠.

(6) الدخان/٢٩.

(1) الدخان/٢٤ - ٢٨.

* قال تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) . الدخان/١٧.

(2) ينظر: نهج البلاغة، خ(٩)، ج١/٣٨، خ(٣١)، ج١/٧٣، ك(٤٤)، ج٣/٧٦، ق(٢٤)، ج٢/١٥٦.

(3) ينظر: المصدر السابق، خ(١)، ج١/١٥، خ(٢)، ج١/٢٢، خ(٩)، ج١/٣٨، خ(١)، ج١/٥٥.

خ(١٨٩)، ج٢/١٩٢.

لسنا إزاء شخصية نمطية، كما هو الحال حين تكون مقصودة لذاتها وإنما إزاء شخصية مُنثَلَّ وسيلةً لغاية ، ومقصديّة إفهامية لها القدرة على رَفِدِ الدلالة في النص، كقوله (ع) واعظا: (...ولا تكونوا كالمُنكَبِر على ابن أمّه من غير ما فُضِلَ جعله الله فيه سوى ما أَلَعَتِ العَظْمَةُ بِنَفْسِهِ)^(٤).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: "هاهـُ م أن يكونوا كقبايل اللّذي حَسَدَ أخاه هابيل فقتله، وهما إخوان لأبٍ وأم" ^(٥)، والإمام لم يُصرِّح بذكره اعتمادا على الدلالية الاشارية للمفردات، ثم أتته (ع) كان يسعى إلى الوعظ، والتذكير وإقامة الحجة، وهذا كله مما لا يتطلب التركيز على الشخصية في الحدّث بقدر التركيز على الحدّث نفسه، فهو (ع) يبحث عن الإشارة العامة للشخوص وليس التشخيص والتخصيص*، لأنّه يُشير إلى قصّة الصّراع الأزلي بين الخير، والشرّ، والحقّ والباطل، وما يستحضره من أثر يترتّب عليه والزمن هو أحد العناصر البنائية في النصّ الخطابي، ولعلّه لا يقلّ أهميةً عن الحدّث، أو الشخصية، باعتبارِه رحبة دلالية تستوعب ذلك كلّهُ، ومن ثمّ يفتد دلالةً في النص .

وللزمين خصيصّة في عملية الاقتباس، أنّه (ع). فح ما اقتبسه من مفردة، أو آية، أو حدّث نبويّ في خطبته، أو كُتبه، أو مواظبه لا يجعلها في معزل عن زمانها، ويُدخلها في سياقٍ متحرّك في ميادين الزمنية المتعارفة، وللبدء دوره في عملية التناص حين يقطع النصّ القرآني، أو الحديث النبوي، ويُدخله في سياقٍ متحرّك جديد، فيصبح خلاصتها لا يُحصى من النصوص قبله " ^(١).

ويتجلّى هذا التحرك الرحب في زمانية النصّ المقتبس ضمن دائرة النصّ التّهجي، حين يعرض الإمام إلى ذكر أحوال الأمم الغابرة، فيبدو الزمن (الماضي) هو الظاهر في الغالب، فالتذكير بتلك الأمم يستدعي إحضاره لضرورة سياقية منطقية، مثل قوله (ع): ((..فَلَمَّا هَمَّ دَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ حِيَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَارْعَدَ فِيهَا أَلُوهَ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَا عَنْهُ وَعَلَّمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعْضُ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمَخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَا عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَاهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَيُؤَيِّدَ قِيمَ الْحَجَّةِ عَلَى عِبَادِهِ...))^(٢)، وموارد الاقتباس هي قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَٰوِدٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)^(٣)، و (وَقُلْنَا يَا أُمُّ اسْكُنِي أَنْتَ

(٤) المصدر السابق، خ(١٨٧)، ج٢/١٦٥، حيث وقع الاقتباس في (ابن امه) من قوله تعالى:

(يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) . طه/٩٤ .

ينظر: بهج الصباغة ، التسري ، ج٢/١٢، ومنهاج البراعة، الخوني ، ج٥/٢٤٤، وابن ميثم البحراني ، ج٢/٢٥٨ .

(٥) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج١١/١٣٧ .

* وهذا السلوك يُمثل أحد تمظهرات الرؤية الجديدة الآن حين ذهب بعض كتاب الرواية الجديدة في تعاملهم مع

الشخصية مذاهب جديدة، وأحيانا غريبة حين أشاروا إلى شخصياتهم الروائية بحروف فقط .

حركية الشخصية في الرواية الجديدة، سعيدي محمد، تجليات الحداثة، ع٣، ص: ١٥٦ .

(١) الخطيئة والتكفير ، ص: ٢٥ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٨٧)، ج١/١٧٧ .

(٣) الأعراف/٢٤ .

وَزَوْجِكَ الْجَنَّةَ وَكَلَامٍ مِنْهَا مَا رَغَدَ حَيْثُ شَتَّ مَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ^(٤)، وَ (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا لِمَا بَلَّغْتُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٥)

وعند النظر إلى موارد الاقتباس القرآني في النص، نجد أنها كانت في الفعل (المضارع)، لأن سياق المقال نه الله مع آدم وزوجه (عليهما السلام) كان حديثاً مباشراً، وكان حديثه (ع) بالماضي، لأن سياق المقال هنا مختلف حين تكلم م عمّا مضى من الأمم، والرسل، والأنبياء (عليهم السلام) تذكيراً، واعتباراً^(٦).

وعند النصح والإرشاد والوعظ والتذكير بعم الله يكون الفعل (المضارع) المطل برأسه على الساحة المستقبلية هو الأظهر، مثل قوله (ع): ((الحمد لله الفاشي في الخلق هذه والغالب جنده))^(٧)، وهو انتهاز من قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ الْمُغْلَبُونَ) ^(٨).

وفي قوله واعظاً: ((أيها الناس اقوا الله فَمَا خَلَقَ امْرُؤًا عَبْنًا فَيَلْهَوْهُ وَلَا تَرْكُ شَيْءٍ فَيَلْغُو))^(٩)، وهو قول يعود بنا إلى قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْنًا وَانكَلْبُنَا لَا تَرْجِعُونَ)^(١٠).

بدا واضحاً مقدار نجاحه (ع) في استجلاب الحديث وفق مظلة زمنية حددها السياق، فنرى تعميم الفضاء الزمني الماضي تارة، والمضارع المتحرك نحو المستقبل تارة أخرى، تبعاً للحديث، وكأثره (ع) جرد ما اقتبس مما لحق به من دلالة زمنية حينما يدعو الفضاء الزمني للحديث، مع الوصول إلى غاية واحدة على الرغم من اختلاف الأساليب، فالآية جاءت بصيغة استفهام استنكاري مع شيء من التوبيخ، وكلامه (ع) أتى بصيغة النفي الوعظي اللين، والمبرر للاختلاف بين الصيغتين هو اختلاف المخاطبين في كل، أي أنه اختلاف في مقام الحال.

(4) البقرة/٣٥.

(5) البقرة/٣٨.

(6) ينظر: نهج البلاغة، خ (١٥٥)، ج ٢/٧١-٧٥ و خ (٧)، ج ١/١٧٧.

(7) المصدر السابق، خ (١٨٦)، ج ٢/١٥٦.

(8) المائدة/٧٦.

(9) نهج البلاغة، ق (٣٧٠)، ج ٣/٢٤١.

(10) المؤمنون/١١٥.

المبحث الثالث: صائغ الفية .

إنَّ اللُّغَةَ وَسِيلَةً مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْإِحْسَاسِ، وَمَا يَعْتَرِي النَّفْسَ مِنْ حَاجَاتٍ إِلَّا أَنَّهَا بِجَانِبِ ذَلِكَ كُلِّهِ تَغْدُو وَسِيلَةً فَنِيَّةً لَهَا خُصُوصِيَّةٌ جَمَالِيَّةٌ عِنْدَ الْأَدِيبِ الْمُقْتَدِرِ، فَتَصْبِحُ ذَاتَ أَثَرٍ، وَتَأْتِيهِ كِبِيرِينَ فِي الْمُتَلَقِّي وَيَخْتَلِفُ هَذَا الْأَمْرَانِ مِنْ أَدِيبٍ إِلَى آخَرَ .

اللُّغَةُ لَيْسَتْ مَدْلُولًا مَعْنَوِيًّا فَقَطْ، إِذْ " لَيْسَ الشَّأْنُ فِي إِيْرَادِ الْمَعَانِي وَحَدَّهَا، وَأَمَّا هُوَ جُودَةُ اللَّفْظِ.." (١)،

وإن كانت خطب الإمام(ع)، وكتبه ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته، غير إنها اتَّسفت بخصائص فنية قلَّ نظيراً في الأدب العربي .

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص: ٦٥ .

والخصائص الفنية سماتٌ كثيراً ما اتصفت بها النصوص الدينية، إذ هناك حميميّة بين الغرض الديني، والغرض الفني، فيجعل منه وسيلة للتأثير والتكبير والادّعاء، وذلك أنّ للإنسان جانباً جِدَانِيًّا، فلا مناص من مخاطبة هذا الجانب بلغة الطّرف الفّني، وجمالة (٢) .

وانتظمت الخصائصُ الفنيّةُ للاقتباسات في النصوص النهجية في محاور ثلاثة؛ الجانب الموسيقي، والجانب البلاغي، والجانب التركيبي .

أ- المستوى الموسيقي .

يكشف لنا هذا المستوى أثر إيقاع الحروف والكلمات المقتبسة في النص وجماليته، وهاء أكانت تُؤثر فيه أم هي التي تتأثر، وأثر ذلك في نفس المتلقي، انطلاقاً من أنّ اللغة لما كانت " ظاهرة صوتيةً تختلف اختلافاً كلياً عن سائر الرموز الأخر غير اللغوية " (٥) ب د أن تتصّف بضائٍ ص تميّزها ، منها :

أولاً: للتلفظ . . . وتي يبق لبس، والذ . ص الحاضن له.

(2) ينظر: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٣١٩ .

(1) الصوت والدلالة، د. محمد بو عمارة، مجلة التراث العرب ، دمشق ، اتحاد كتاب العرب ، ع ٨٥ .

إنَّ البنيةَ الداخليةَ للكلمةِ وُثِّرَ على علاقاتها مع الكلمات الأخرى في الجملة (٢)، من هنا يشكل ما اقتبسَه الإمام (ع) - أحياناً محورا إيقاعياً، مارس سلطته في الجمل التي بجواره، فيمنح النصَّ جرساً موسيقياً، وصفة صوتية تكشف عن الجو العام للمعنى .

للمقتبس دور في تحديد موسيقى النص في قوله (ع): ﴿لَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُمَلِّونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بَيْوتُهُمْ قُبُوراً وَمَا جَمَعُوا بِؤُوراً، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْبِرُونَ﴾ (٣).

سار المقطع على نسق المفردة القرآنية المقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بِؤُورًا﴾ (٤)، وكأثمه - المقطع - ذا قافية موحدة، وبناء موسيقي واحد، جاء متناغماً مع التلون الموسيقي الناتج عن تغيّر الفواصل، فقادت جميعها إلى نسق صوتي أخاذ .

وللوصول إلى المفردة (بؤراً) مهّد (ع) بالمفردتين: ((كثيراً، بؤراً)) (٥)، رافق الاتحاد في المعنى، اتحاد في الفاصلة، والتي تغيّر بين الحين والآخر تبعاً لتغيّر المعاني، تلاّمت المفردة والنص الحاضن لها بحضور حرف (الباء)، وهو صوت انفجاري مجهور للدلالة على التذكير المشوب بالردع، والرجز، بالتوافق مع حروف أسهمت نبراتهما، وإيقاعها الصوتي في كشف صورة المعنى للمتلقى.

ومع هذا الحشد الصوتي المعبر بقوة، وشِدته ظهر بؤرة دلالية هجية في الاستفهام (ألم رأيتم...)، والذي شكّل أسلوباً أدائياً عبّو به (ع) عن عجزه، واستنكاره من السامعين لغلتهم عن ذكر الموت.

وهكذا الأمر في قوله (ع) عند ذكر حال أهل القبور: ((وقد أدبرت الحيلة وأقبلت الغيلة، ولات حين مناص! هيهات هيهات! قد فات ما فات، وذهب ما ذهب، ومضت الدنيا لحال بالها " فما بكت عليها السماء والأرض وما كانوا منظرين ")) (١).

لما استقى (ع) الآية الكريمة: (ولات حين مناص) (٢) أفاد من دلالتها ومبناها، فطغت صبغتها الموسيقية في ما تلاها من جمل: (ولات حين مناص! هيهات هيهات! قد فات ما فات) .

في جمل قصيرة، سريعة ومتدفقة تشكّل إيقاعاً داخلياً للنص، كان المقتبس دافعاً له، فترك أثره فيما جاوره من جمل، فالمد المتناغم، والمتواصل في المفردات (لات، مناص، هيهات هيهات، فات، فات) يكاد يكون صرخة مدوية تكشف عن ضياع آمال هؤلاء في فضاء شاسع مفتوح، لا حد له، صورته الإمام (ع) بفعل هذه المدود .

(2) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: ٢٧٢ .

(3) نهج البلاغة، خ (١٢٨) ج ٢/١٢١ .

(4) الفتح/ ١٢ .

(5) ينظر: الفصل الأول، اقتباس المفردة القرآنية، ص: ٢٢ .

(1) نهج البلاغة، خ (١٨٦) ج ٢/١٦٠ .

(2) سورة ص/ ٣ .

حين أراد التعبير عن توقّف الآمال وتوقّف الحياة النّيا وحالها ، وانقطاع الأمل في النظرة (الانتظار) جاء بالآية التي ختّبها المقطع بنهايتيها الساكنة (منظّرين) سكون الحياة والأعمال ونجح في هذين الأمرين نجاحا كبيرا، حين رسم لنا صورة صوتية فُرعة بتناقضاتِها كتناقض الحياة والآخرة بالعمل وانقطاعه ، وهكذا استقطبت موسيقى القُدّيس موسيقى النص ، وتحكّمت به فغث بـ بُرة صوتيّ برُدّد النصّ صداها .

إنّ المقتبسات أخذت بمسار النصوص، واشتركت في الانتظام الموسيقي للمفردات، وحروفها، بما يُوثر في النفس، بجمالية موسيقية تقترب بنصوصها إلى المساحة الشعرية، وله مثل هذه النماذج غير موضع من نصوص النهج^(٣).

ثانيا: تطويع النص المقتبس لموسيقى النص .

وقد يَطْع (ع) ما اقتبسه في كلامه، حينئذ نرى للنصوص قدرتها في فرض موسيقاها، وإيقاعاتها على المفردات أو النصوص المقتبسة، فتصبح صدى من أصداؤه، ولونا من ألوانه . من ذلك قوله (ع) الذي اقتبس فيه قوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ^(٤) فقال: ((لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعَرِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَرُوثًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْفَقْنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ وَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مَوْطِدَاتِ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتِ بِلَا سَنَدٍ عَاهُنَّ فَأَجْبِنَ طَائِعَاتِ مُذْعَنَاتِ غَيْرِ مُتَلَكِّئَاتِ، وَلَا مُبْطِنَاتِ وَلَوْلَا إِقْرَهُنَّ لَهُ بِالرِّيْبِ يَتَوَدَّعَانُ مَهْنُ لَهُ بِالطِّ وَاجِبَةٌ لِ مَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ، وَلَا مَسْكَالًا لِدَكِّهِ)) ^(١)

يوضح الكلام معنى استدلاليا عميقا، لذلك غابت فيه الجملة القصيرة المتدفقة، والمتلقي إزاء جملة استدلالية متتابعة تقوده إلى نتائج أراد الإمام بيانها، وهذا كله لم يمنع إتيانها في حلة لفظية زاد في جماليتها موافقة المقتبسات لجاراتها في الإيقاع .

فالألفاظ (مشاركا ، موروثا، هالكا)، (وقت ولا زمان، زيادة ولا نقصان)، (موطدات بلا عمقائد مات بلا سند) (طائعات مذعنات غير متلكئات) ، ألقت نغما موسيقيا متوازنا تَوَرَّعَ بين ثنايا النص وفقراته ، وارتبطت برباط وثيق ذاب فيه إيقاع النص القرآني القُدّيس ، إذ كانت الآية مرتكزا دلاليا كبيرا، اصطَبَغَ بصبغة كلامه (ع) ، لأنّ العناية كانت موجّهة لمتابعة المعاني في مثل هذه الاستدلالات .

إنّ تعدد الاستدلالات، وترابطها استدعى تنوعا في الموسيقى أيضا، نحن إذن أمام تجانس صوتي ساعد في ربط المعنى في ذهن المتلقي وتعزيزه من خلال اجتماع المعاني بـ والي التسلسل الصوتي الذي

⁽³⁾ ينظر مثلا: خ(١٣٤) ج٢٩/١ - ٣٠ ، خ(٢١٨) ج٤٠/٢ - ٢٤١، ك(٣٨) ج٧٠/٣ - ٧١ .

⁽⁴⁾ الإخلاص/ ٣ .

⁽¹⁾ نهج البلاغة، خ(١٧٧) ج٢/١٢٥-١٢٦ . .

قاد بدوره إلى تسلسل موضوعي جعل الآيتين القَتَبَتَيْنِ جزءاً من موسيقى النصِّ ومرتكزاً لآلٍ يَدُّ من وتكراتِهِ .

وتتجلى مثل هذه الخصيصة في قوله (ع): ((الحمْدُ لله الأَوَّلِ فلا شيءَ قبله، والأخِرِ فلا شيءَ بعده والظاهرِ فلا شيءَ فوقه، والباطنِ فلا شيءَ دونه))^(٢) .

حين يتمركز النصُّ حول استدلال عقائدي عميق، يتعلّق بالذات الإلهية وتزيهها، يتجّه النصُّ نحو التجريد المعنوي المحض، وينتج عن هذا ذوبان المُقْتَبَسِ في بوتقة النصِّ وموسيقاه .

فالنصُّ القَصِيرُ انطلق من قوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ والأخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٌ) ^(٣)، فهو . جَلُّ عَلاه . أوَّلُ لأشياءَ قبله، وأخِرُ لأشياءَ بعده، وهذا ما جمَعته الآيةُ بين طَرفَيْها (الأوَّلِ) و(الأخِرِ)، فلا اثر لموسيقاها فقط ، بل الأثرُ كلُّ الأثرِ لمعناها .

ثالثاً: التئيم الإيقاع . الب . ق ت س ومعنى النص يوفقت . ٠ بعا لتنوع المعاني .

هناك علاقة بين النبرة الصوتية للمفردة، ومعناها (١)، إذ لكثيرٍ من المعاني جرساتٌ تُصاحبها (٢) فهي بمثابة وشائج بين الدلالة والمبنى تُعرف بها المعاني من ألفاظها، وإيقاع حروفها .

إنَّ الموسيقى لم تكن حِكراً على النصوص الشعرية، بل تخطَّتها إلى بعض النصوص النثرية المتعالية، وفي مقدمتها نصوص نهج البلاغة. وهذه خصيصةٌ من خصائص النص النهجي، فهو "متألفٌ يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، أو الشكل بالمعنى، اندماج الحرارة بالنار، والضوء بالشمس، والهواء بالهواء.." (٣)، والذي ساعد على هذا التنوع هو أن النثر أكثر تنوعاً إيقاعياً من الشعر لانفكاكه من القافية كقوله في وصف المنقنين: ((...أط الليل فصافون أقدامهم، تال بين لأجزاء

(٢) نهج البلاغة، خ (٩٢) ج ١/١٨٧ .

(٣) الحديد/ ٣ .

(١) ينظر: في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، ص : ٢٩٥ .

(٢) ينظر: عناصر تحقيق الدلالية، ص: ٦ .

(٣) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق ، منشورات ذوي القربى، قم، ط ١٤٢٤ هـ ، ص: ٤٠ .

القرآنُ رتلونه ترتيلاً حزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواعئهم، فإذا مروا بأية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وظلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها ذُصِّبَ أعيدُ ذهم، وإذا مروا بأية فيها تخويفاً، أصغوا إليها سَمْعاً قوياً، وظنوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم (...)) (٤).

ألفاظ رقيقة توجي بالخشوع، والرهبية، والخوف، وبدءاً نجد توحّد النص في الكلام على المؤمنين، وانقسم في وصفهم عند الشوق والخوف تبعاً لسماعهم آيات الترغيب، أو الترهيب عند وصفهم بالفحش والشوق والاستبشار جاء بحروف مهموسة هادئة، مُطدّنة، فطغّت الحروف (الألف، والواو، والياء) وهي حروف اللين، وبألفاظ ملانمة للسياق والشعور العام.

وعند وصفهم بالخوف والرهبية من الله انتقل للحديث بحروف مجهورة، لَهقة، انفجارية، تبعاً لمقتضى المقال، فكثر الحروف (الهاء، والقاف، والكاف، والطاء، والضاد، والضياء...)، وفي جرسه نبرة قوية، تلازم التصويت الانفجاري الشديد.

إنّ التجانس بين الأصوات، ودلالة العبارات خلق إبداعاً داخلياً، فأكسب النصّ عدداً جمالياً لموسياً، في أسلوبين موسيقيين منسجمين مع المعنيتين المصاحيتين لهما، لم يكن إيقاعاً واحداً طراداً، فلما لم يكن مضموناً واحداً في النصّ وهيمن التنوع الموسيقي بهيمنة التنوع المضموني له. وبإيقاعية موسيقية هادئة، متموجة اصطفت كلماته وفي جمل قصيرة، وب (فونيم) موحد في نهايات الجملة اقترب قوله إلى الشعرية الموزونة، حيث قال: ((... وأحبّ الحمد إليك وأفضل الحمد عندك حمداً يملأ ما حطقت، ويبلغ ما أردت، وما لا يحبّ عنك، ولا يقصر دوك، حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى مدده، فسناعلم كنه عظمتك إلاّ إنا نعلم أنّك حيّ يوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، ولم ننبه عليك نظراً، ولم يدركك بصر...)) (١).

إنّها فواصل متساوية في الوزن - تقريباً - وإيقاعات متّحدة متناسقة في حروفها ومفرداتها، وجاءت أصداء لمقتبسات قرآنية متجاوزة (٢)، طغى فيها السجع (٣) المناسب للمعاني، وعكست هتة لك المعاني وهودها.

ويكثر عنده (ع) اقتران المعاني الشديدة بالحروف الانفجارية الشديدة التي تكون للزجر والتبويه والتذكير والتفريع، وحيرت خاطب المنافقين، أو يذكر حال الكفار، حينئذ يأتي بجمل قصيرة، رادعة صاخبة، وأغلب الاقتباسات هنا تكون من السور المكّية المناسبة للزجر، والتفريع، والتهديد، لا سيما في

(٤) نهج البلاغة، خ (١٨٨)، ج ٢/١٨٦.

(١) نهج البلاغة، خ (١٥٥) ج ٢/٧٠ - ٧١.

(٢) ينظر مثلاً: خ (٤٤) ج ١/٩١، خ (١٥٥) ج ٢/٧٠، خ (١٨٦) ج ٢/١٥٦ - ١٥٧.

(٣) لا يمثل السجع عيباً في النص النهجي، بل هو شكل من أشكال الجمال حتى في القرآن الكريم.

ينظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ٣٠٥.

خطبه، وكتبه (ع) التي وجهها في مثل هذه المواضيع^(٤)، ومنها قوله (ع) مذكراً، ومحوراً: ((نا اهتديتم في الظلماء، وتسنى متم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وقر سمعتم يفقه الواعية، وكيف يد راعي النبأ من أصمته الصيحة؟ ربط جنازكم يد فارقه العقان))^(٥).

عرض متسلسل للأفكار، بأسلوب لغوي حاد، ورصين، وبلغه قينة جزلة بحروفها الشديدة، والتي صاحبها نغمة موسيقية أضفت على النص، مسحة خينة غاضبة، أشبه ما تكون بالصرخة وأحاط النص بلمعة مموسقة، وبأسلوب ينسجم وأحاسيسه الغاضبة، لتفصح عن الطقس الحزين الذي كان فيه .

حروف (الضاء، والجيم، والقاد، والذال) تجعل المتلقي يستشعر لوعة الإمام (ع) وغضبه، وما صاحبها من أسئلة استنكارية^(٦) يائستمن هؤلاء الذين أصمتهم الصيحة.

والنص يشي بالمقننات، والطافية على سطحه^(٧)، وان كانت قد صيغت بحروف، وكلمات وكأنها تعبر عن شعور بالضجر من هؤلاء والناطق بهذه الحروف، والكلمات يكاد يحس بالدبح، واللام والاختناق، وهنالك أمثلة عدة من هذا النوع في النهج^(٨).

هذا التقسيم الصوتي جاء تبعاً لتغير الموضوع في النص، والتجانس بين الأصوات، ودلالة العبارات خلق إبداعاً داخلياً، فأكسب النصوص عدداً جالياً طموساً، وهكذا ألقت المفردات والتراكيب المقننة بحروفها صداها على موسيقى النص المتناوقة مع المعاني، عندها تتحقق الدلالة الكلية للنظم وتسمو لتشكل عبارات تقود إلى صور شعرية زاهية الألوان، عذبة المعاني .

(4) ينظر مثلاً: اقتباس سورة فاطر/ ٨ في خ(١٥٧) ج٢/٨١، الشعراء/ ١٥٧ في خ(١٩٦) ج٢/٢٠٧ ،

الانفطار/ ٦ في خ(٢١٨) ج٢/٢٤٠، بيونس/ ٣٠ في خ(٢٢١) ج٢/٢٤٧ ،

الأعراف/ ٨٧ في ك(٥٥) ج٣/ ١٢٤ .

(5) نهج البلاغة، خ(٣) ج١/٣٣ - ٣٤ .

(6) اختلف المفسرون في ما جاء بعد الاستفهام وهو قوله (ع): ((وقر سمع لم يفقه الواعية)) هل هو دعاء أم توبيخ،

ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٢٧١، منهاج البراعة، الخوئي، ج١/٣١٧، نهج الصباغة، التستري، ج٣/ ٥ .

(7) من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَذَوُوفٌ

رَحِيمٌ) . الحديد/ ٩ .

ومن قوله تعالى: (وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبِّهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجَنِّ وَالْأَنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا

وَلَهُمْ أَادَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ لَمْ يَأْتِهِم مِّنْ أَمَلٍ لَّهُمْ مَّأْضِلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) . الأعراف/ ١٧٩ .

ينظر: بهج الصباغة، التستري، ج٣/٢ .

(8) ينظر مثلاً: نهج البلاغة، خ(١٨٠)، ج١/١٣٤-١٣٥، خ(٩٥)، ج١/١٩١-١٩٢، خ(٢٠٦)، ج٢/٢١٦-٢١٧ .

ب-المستوى البلاغي.

يتمحور الاهتمام حول محاولة التعرف على نمط بعض الأساليب البلاغية التي ظهرت كخصائص دون سواها في عملية الاقتباس ، وليس الأمر معنياً بالوقوف عند التقسيمات البلاغية ، وبعناوينها المتعارف عليها ، فالاهتمام ينصبُّ على ما يتعلق بعملية الاقتباس أولاً ، وبوضوحه كظاهرة بارزة ثانياً .
ومن أهم الخصائص في هذا المستوى:

أولاً- لقياس الصورة الاستعارية المجسمة وأثر النداء ص .

تتجلى فاعلية النص المقتبس - أحيانا - في استكمال رسم الصورة البيانية والإفادة منه في التجسيم ، والتشخيص ، وهما فئان امتازا بحضورِ فاعلٍ ، وكبيرٍ، ليزداد التواصل بين النص والمتلقي .
قامت صور الإمام على التشكيل الفني ، وخضعت لبنائية دافقة لتؤدي غرضا دلاليا مقصودا بأجمل وابهى صورة ، وتفتح فضاءات نصوصه على مصراعيها للفيض الدلالي .
لقد تنامى التصوير البياني القرآني المُستدعى - وهو الأكثر حضورا من التصوير البياني للحديث النبوي- بفعل هذين الفنين القادرين على شدِّ العُلُقَى بالنص، وتفاعله معه

اقتبس التجسيم القرآني في قوله تعالى: (اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (١) في قوله: ((وتمسك بحبل القرآن)) (٢).

أصبح القرآن جسماً مادياً فدعا (ع) إلى التمسك بحبله تعبيراً عن السقوط، والاضطراب، ما لم نتمسك بذلك الحبل، وهذا التمسك خلاص من التيه والضلالة، وهو تصوير يفتح منافذ جمالية عدّة بالإضافة إلى منافذ الدلالية، ولها من الجمال والإمتاع نصيب كبير، لاسيما وأنها استندت إلى صورة قرآنية، " وطريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير، وأفضلها في الفن والدين " (٣).

إنّ تواجد التجسيم والتشخيص ليس ومضة دلالية فقط، بقدر ما هو خلق وإبداع .

واجتمعت تجسيمات عدّة في إحدى خطبه (ع)، ارتكز كثير منها على الصورة القرآنية المقتبسة من قوله تعالى: (وَضَلَلْنَا قُرَيْشًا فَأَكْفَأْتُمُوهَا يَأْتِيهِمْ الرِّزْقُ مِنْ رِغْدَانٍ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (٤)، فقال (ع): ((عباد الله أن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه، فأستشعر الحزن وتجلّبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعدّ القرى ليوميه النازل به، ففقر على نفسه البعيد، وهون لشديد، نظر فأبصر، وذكر فأستكثر، وارتمى من عذب فرات، سهلت له موارده، فشربنه لاء، وسلك سديلاً جدداً، قدلح سربيل الشهوات، وتخطى عن الهموم، إلا هما واحداً لفردبيه فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهله هوى، وصار من مفاتيح أبواب الله دى، ومغاليق أبواب الردى)) (١).

صور بسيطة، واضحة، غير إنها عبّرت عن أعماق الأفكار، وأدقها من خلال إظهارها المعنويات بأثار مادية، فيدهش المتلقي حين يرى الحزن شعرا (٢)، والخوف جلباباً، وإنّ للهدى صباحاً، وللشهووات سربيل، واختلطت مع هذه المجسمات صور بلاغية أخرى، حين استعار (قري) للعمل الصالح بجامع الانتفاع، و(العمى) للضلال، بجامع عدم الهداية .

وصل التصوير ذروته حين اختلطت الصور في قوله (ع): (وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى) ، وأراد بمفتاح أبواب الهدى سبباً من أسباب الهدى ، ومغاليق أبواب الشر: أي سبباً من أسباب غلقه .

(١) آل عمران/ ١٠٣ .

(٢) نهج البلاغة، ٦٩، ج ١٤١/٣ .

(٣) مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم، سيد قطب، ص : ٦ .

(٤) النحل/ ١١٢ .

(١) نهج البلاغة، خ(٨٣)، ج ١٤٩/١ - ١٥٠ .

(٢) الشعار: هو ما يلي الجسد في ثياب ، وتجلّبب الخوف : جعله جلباباً أي وياً .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ٢٨٩/٦، وشرح ابن ميثم البحراني ، ج ٤٠٦/١ .

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٢)، وقوله تعالى: (يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ) (٣)، وقوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً) (٤)

استطاع (ع) أن يشير بمعنى الآيات الأولى إلى معنى محوري في نصه، وبالثنائية انتقل من المبني للمعلوم إلى اسم المفعول "مبلوّة" وهو مجازٌ مرسلٌ باعتبار ما سيكون، وصيغة (مبلوّة) المفعولية تدل على خضوعها لعلم الله الذي مثل الفاعلية المقدره .

ويرى التستري في شرحه أن قوله (ع): (والناس منقوصون مدخولون ...) يحمل بين طياته معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَدُودُ ظَلَمِكُمْ بِسُؤَالِ نَعْتِكَ إِلَيْهِ نَعْلَمُهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الظُّطَاءِ لِيُغَيِّبُهُمْ مَطَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ أَمَدُوا وَعَدُوا الصَّلَاةَ حَاطَّةً يَلْمَأُوهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٥).

جمع الإمام المقتبسات في مقطع تأخذ جطه بعضها بيد بعض لتوصل المتلقي إلى تحذير هادي وان كان بصيغة اعتمدت أسلوب الخبر، وعلى الرغم من هذا الحضور الحاشد للصور في النص إلا أنها لم تصل إلى حدّ التكلف، أو الطل، لأنها صور حيّة، نابضة، ولها القدرة على دفع المتلقي إلى ساحة الفهم والإمتاع .

ومن النوع الثاني قوله (ع): ((فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَاقِبَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيجَ حَجْرٍ وَرَيْنَ شَيْطَانٍ)) (٦) وهي صورة مركبة من قوله تعالى: ﴿لِيُتَلَفُّوا وَلَنْ تَفُطُّوا فَانقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١)، قوله تعالى: (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ نِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (٢)، آيتان اجتمعتا، وأسهمت في رسم هذه الصورة الموحدة .

والباعث في كلا النوعين في التكتيف الصوري واستحضر مثل هذا الحشد هو إدراك الإمام (ع) إن سياق المقام، والمقال بحاجة إلى ذلك كله، ويكثر هذا الأمر في الخطب والكتب التي تأتي للنصح، والوعظ والتذكير، والزجر، والتهديد (٣) ، وتتوصل بهذا الحشد الاقتباسي إلى وحدة معنوية، ضمن بناءً موحد فتجعل النص متماسكا في مستوى أدبي جميل، وفاعل .

(٢) ق/١٦ .

(٣) الطارق/٩ .

(٤) المدثر/٣٨ .

(٥) ص/٢٤ . ينظر: نهج الصباغة، التستري، ج ٨/ ٢١١ - ٢٢٢ .

(٦) نهج البلاغة خ (١٨٧) ج ٢/١٣٥ .

(١) البقرة/٢٤ .

(٢) الزخرف/٣٦ .

(٣) ينظر: نهج البلاغة ك (٦٩) ج ٣/ ١٤٣ حيث اقتبس من: الأحزاب/٧١، النساء/٦٩، النور/٥٢، النساء/١٣

و خ، (١٢٦)، ج ٢/١٧، حيث اقتبس من البقرة/٢٤، الصف/٣٢، وخ (١٧٣)، ج ٢/١١٨

حيث اقتبس من الأنعام/٥٩، إبراهيم/٤٣، وك (٢٧) ج ٣/٣٢، حيث اقتبس من: القمر/٥٣،

الزلزلة/٦، غافر/١٩، الإسراء/٣٦

ثالثاً : غلبة الأساليب الإنشائية في المقدمات .

عند التمعن في سطور النهج ، ونصوصه ، يتبين كثرة اعتماد الصيغ الإنشائية فيها كالأمر، والنهي ، والاستفهام ، والترجي، والنداء ، والقسم ، والتعجب " لأنها أقوى من الصيغ الخبرية وفيها تجديد لنشاط السامعين ، واشدّ تنبيهاً ، وأكثر إيقاظاً وادعى إلى مطالبتهم المشاركة في القول وفي الحكم ، وهي في الوقت نفسه أدقّ في تصوير مشاعر الخطيب ، وأفكاره ، لان أفكاره ، ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها"^(٤).

ولا يقتصر الكلام على نوعٍ منهما . الخبر والإنشاء . دون الآخر فالداعي إلى ذلك هو مقتضى المقال ، غير أن تحويل الأخبار إلى إنشاء يكثر في الحكم والمواعظ على وجه الخصوص ، كقوله (ع): (خذ الحكمة أنى كانت...) ^(٥)، وهو من خبر النبي المصطفى (ص واله): ((الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها))^(٦).

ووضع كلام رسول الله (ص واله) الإخباري موضع الإنشاء يهدف إظهار العناية بأخذ الحكمة والاهتمام بها^(٧).

والأسلوب الإنشائي هذا يمنح الكلام فوق الدلالة . قيمةً جماليةً ، من جهة خلق وشيجة نفسية بين النصّ والمتلقي حين يحاول معرفه هذا الأمر الذي بدأ بفعل الأمر (خذ)، ليكتشف أخيراً منزلة الحكمة وموقعها مما استوجب الحثّ على طلبها والأخذ بها .

وعند السرد والرواية لحدث ما نجده (ع) يستعين بالأسلوب الخبري فيعمد إلى تحويل الإنشاء القدّس إلى أسلوب خبري، كقوله (ع) حين ذكر النبي (ص وآله): ((جئني إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولائج ، ووصلوا غير الرّحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فبنوه في غير موضعه))^(٨).

وهو من قوله تعالى: (وما مُعَدِّ إِلا رَسولٌ قدّ خَلتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَنزَلنَا بِمِثْلِهِ نَصْرًا مِّنْ أَجْلِكَ) وَمَنْ يُظَلِّبْ عَلَى عَقِبِهِ لَنْ نُجِزَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)^(٩).

وكذلك حين حول الأسلوب الإنشائي - الأمر - في قوله تعالى: (فأصدع بما تؤمر)^(١٠)، فقال بأسلوب خبري سردي عن حياة المصطفى : ((فضع بما أمر به ، ولفح رسالات به ، فم به الصعّ

(٢) (٤) بلاغه الإمام علي (ع) ص :

(٥) نهج البلاغة، ق(٧٩) ، ج ٣/٣١٧ .

(٦) ينظر سنن الترمذي ، ج ٤/١٥٥ ، الجامع الصغير، ج ٢/٣٠٢ ، ينابيع المودة ، ج ٢/٤١٤ .

(٧) يفيد وضع الإنشاء في موضع الخبر إظهار العناية بالشيء ، والاهتمام به،

ينظر: جمالية الخبر والإنشاء ، د . حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص: ٤١ .

(٨) نهج البلاغة، خ(١٤٦) ، ج ١/٤٨ - ٤٩ .

(٩) آل عمران/١٤٤ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٩/١٠٧ .

وَتَوَقَّ بِهَلْفَ تَقْ ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ))^(٤).

ويحمل في أخباره في المقطع الأخير معنى قوله تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).^(٥)

ج - المستوى التركيبي .

إنَّ دراسةَ خصائص الجانبِ التركيبي ليستِ كِراً على المعالجةِ البلاغية، فالموضوع - هنا - لا يتعلق بالصلة بين الشكل والمضمون على وجه الخصوص، بقدر ما يعلّق بالخصائص الفنية للمتغيرات الحاصلة في تركيب وبناء بعض المقتبسات، وأثر التركيب القَدَس في بناء وتركيب النص النهجي المُستَضيف، وهذا مفهوم عام تتفرّع منه مصاديق عدّة منها :

أولاً: إبدال المفارقة بـ استهوان بني نية إله ص .

تلك خصيصة استدعتها ضرورات دلالية، ومقتضيات فنية كما في قوله (ع) حاثاً. على اخذ العلم من آل البيت: ((دوه م ورود ألهم العطاش))^(١)، وهذا من قوله تعالى: (وَشَارِبُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ) ^(٢). هناك فارق بين القولين ، نتج عن اختلاف مقتضى الحال ، فقوله تعالى في محل الذم حين يشرب أهل النار بشرب الهيم شديدة العطش^(٢)، من خلال التشبيه البليغ المقدر في (شرب

(3) الحجر/ ٩٤ .

(4) نهج البلاغة، خ(٢٢٦)، ج ٢٥٣/٢ .

(5) آل عمران/ ١٠٣ .

ينظر: نفحات الولاية، ج ١٨٠/١ .

(1) نهج البلاغة، خ(٨٣)، ج ١٥٣/١ .

(2) الواقعة/ ٥٥ .

(2) ألهم هي الإبل العطاش ، أو آتني لا تروي من الماء لداي ي صيد لها .

ينظر: جامع البيان، الطبري، ج ٢٥٥/٢٧ . وينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، ج ٥٠٢/٩ .

الهيم)، أي: كشرِب الهيم، وهو كناية عن شدة الموقف، وقوله (ع) حثُّ على أن تكون ذا حرص، في أخذ العلم، والدِّين من آل بيت رسول الله (ص وآله)، كحرص الهيم الظماء على ورود الماء (٣)، وتدافعها عليه، وهو كناية عن شدة حاجة الناس لعلوم آل البيت، وضرورة التدافع على أبوابهم، والورود من معين علومهم، إذ أن سياق كل من المقولتين يستدعي ذينك الأسلوبين المرتكزين إلى صورة بيانية تشبيهية واحدة، ولكن بصيغتين مختلفتين .

وبدّل (هادملاً لذات) (٤) في الحديث النبوي بالموت في كتاب له كتبه إلى الحارث الهمداني، حيث قال: ((وظَّ م اسم الله أن تذكره إلا على حقِّ وأكثر ذكر الموت، وما بعد الموت، ولا تتمَّ الموت إلا بشرطٍ وثيقٍ)) (٥) وسياق المقام هو الذي فرَض العدول من صيغة الجمع إلى المفرد في قوله (ع)، أنه موجه إلى مفرد، وهو الحارث الهمداني، في حين كان كلامه (ص وآله) موجهاً لعموم المسلمين .

وقال ((. . . وتقليب الأزمنة والدهور من إقبال ليلٍ مقبلٍ، وإدبارٍ نهارٍ مدبرٍ)) (٦)، وهو من قوله تعالى: (كلا والقمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر) (٧).

ولعل وجه تخصيصه (ع) الإقبال بالليل، والإدبار بالنهار، مع أن لكل منهما إقبالاً ودباراً، كون الأمر في الدنيا على خلاف المراد في الأغلب (١).

وفي استعارة جميلة استبدل المفردة القرآنية (يشترى) من قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لَهُمْ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَقْدُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢)، بالمفردة (أعر)، معرباً عن المعنى يده في كلام قاله لولده محمد ابن الحنيفة في واقعة صفين: ((أعر الله جمجتك)) (٣) .

إنها استعارة تدعو إلى التأمل، والمفردة (أعر) استجلبها (ع) بصورة مزدوجة، حين نقلها من الخسارة إلى الربح، وهو المعنى الذي تضمنته الآية المباركة .

إنها (إعارة) و(بيع) لمن يملكها أصلاً، من هنا كانت رمزاً للإعارة والتجارة الناجحة، وتضمن هذا الرمز اضاءتين: الحثُّ على الشهادة، والتأكيد على الربح العظيم من هذه الإعارة .

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي الحديد، ج ٦/٢٩٨ .

(٤) ينظر: بحار الأنوار، ج ٦/١٣٣، ميزان الحكمة، ص: ٢٩٦٤، منازل الآخرة، ص: ٣٩ .

(٥) نهج البلاغة، ك (٦٩)، ج ٣/١٤٢ .

(٦) نهج البلاغة، خ (١٥٨)، ج ٢/٨٢ .

(٧) المدثر/٣٢ . ٣٤ .

(١) بهج الصباغة، التستري، ج ١/٢٧٣ .

(٢) التوبة/١١١ .

(٣) نهج البلاغة، خ (١٠)، ج ١/٣٩ .

استطاع الإمام(ع) أن يشحن كلامه بهذه الدلالات والإضاءات خلال الإفادة من الصور القرآنية التي رُسِّمَت بالفن الاستعاري الذي عبَّر عنه(ع) بمفرداتٍ تحمل المعنى عينه، والصور نفسها لاسيما إذا ما تذكرنا مناسبة هذه المفردات لذلك الموقف . حرب صفيين . فالإعارة تدلُّ على إمكانية الإرجاع، واللفظة (جُمِّمَتْكَ) تفصح عن دممة طبول الحرب .

ثانيتها * تلمحة * وأثرها في تركيب النص النهجي .

شكَّلت التركيبية الثنائية لبنةً من لبنات النصوص عند الإمام(ع) تكون هذه الثنائية في إيراد مترافين، أو متقابلين فَ تَسْمَى حينئذٍ بالثنائية (التقابلية)، وقد اهتمَّ (ابن جني) منذ وقتٍ مبكرٍ على الثنائيات الصوتية، وأثرها في النص^(٤).

ويُمكن عدُّ النوع الأول نوعاً من الترادف، باعتبارهِ ألفاظاً دالَّةً على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحد^(٥)، والنوع الثاني طابقتاً باعتبار الطِّبَاق هو إيراد مُفردتين مُقابلتين في العادي^(٦) .
والأثر يُّعرب عن الفكرة المُتسلِّطة على الشاعر أو الناثر، وهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يُّسلِّطها النصُّ على أعماق الشاعر، أو اللُّثْر في ضيئها بحيث نطأ ع عليها^(١)، ولا يكلا النوعين من الثنائية دور في بنية وموسيقى النص .

١ - ثنائية المترادفين .

قال(ع): ((أَتَقَوَّا تَقِيَّةً مِّن سَمِعٍ فَخَشَعٍ وَاقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ ، وَوَجِلَ فَعَمَلٌ ، وَحَاوَزَ فَبَادِرٌ وَأُيْقِنَ فَأَحْسَنَ ، وَعُجِّرَ فَأَعْتَبَرَ ، وَحُدِّرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ، وَرَبَّحَ فَتَابَ وَاقْتَدَى فَاهْتَدَى ، وَأُرِيَ فَرَأَى ، فَأَعْطَا لِبَاءً ، وَنَجَا هَارِيًّا ، فَأَفَادَ دَخِيرَةً ، وَأَطَابَ سَوِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَادًا ، وَأَسْتَظْهَرَ زَادًا ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجَّهَ سَبِيلَهُ ، وَحَالَ حَاتِجِهِ ، وَمَوطنَ فَاقْتَدَهُ هِ بوقَدِّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مَقَامِهِ))^(٢).

(٤) ينظر: الخصائص، ج٢/١٥٧ - ١٥٨ .

(٥) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل

ودار الفكر، بيروت ، لبنان ، (د.ت)، ج١/٤٠٢ .

وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، ص: ٢١٥.

(٦) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (طباقي) .

(١) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥، ص: ٢٤٣ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٨٠)، ج١/١٣٤ .

تعاضدت الثنائية والسجع في رصّ جمل قصيرة ذات وقع شديد، بحروفها وسياقها المتنوع، معتمدة قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَدُّ يَسْرَهُ لَيْسُ سُرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغَى، وَكَتَبَ بِالْحُسْنَى، فَسَدُّ يَسْرَهُ لَيْسُ سُرَى) (٣).

ومثل استحضار هذه الثنائيات البناء الأساس في تركيب النص الذي يشف عن توازن موسيقي أشبه بالقافية، فيدخل النص بانسيابية في نفس المتلقي، ولم تكن حلية في السياق، بل من صميم العمل، وجيئها يوجي بالتصحیح، والإرشاد، والذي قام على إسناد من الجنس عبر المفردات: (حاذر، بادر، أجب، أناب)، وازداد إضاءة أسلوبية تتمثل بتوكيد الخبر، وتركيزه في ذهن السامع، ونقل الخبر بهذا الأسلوب فيه تعظيم لله، تحقق بالتمائل الصرفي، والصوتي بين المفردات.

ومن النوع الثاني قوله (ع) اصفاً المنافق: ((إن أصابه أبلء دعا مضطراً، وإن نالو خاء أعرض مغتراً)) (٤).

جملتان متوازنتان، قامتتا على طباق، يضعهما في موازنة عقلية بصرية، فبرسما صورة، لجزئية للذي... إن أصابه أبلء دعا مضطراً، وإن نالو خاء أعرض مغتراً. والمفردة (مضطراً) تكاد ترسم لنا هذا الاضطراب من خلال الوقف على حرف الضاد، وهذه الطباقات قادت إلى تناغم وائتلاف وتوازن، ورسمت صورة أزلية لهذا الصنف من الناس.

٢٢ ثنائية تقبلية ضادية .

وقد تقوم الثنائية على الضدية، وما ينتج عنها من بيتان صوتي يرافق ذلك التباين المعنوي، بجانب ما ينضوي بين طرفيها من شمولية لمستويات عدة.

ومن ذلك قوله (ع) في كتاب له إلى عبد الله بن العباس: ((أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، وسبوه فؤت ما لم يكن يدرسه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفاك على ما فاتك فيها، وما نلت من دنياك فلا تفرح به، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزاً، وليكن همك فيما بعد الموت)) (١).

(٣) الليل/٥ - ١٠ . وكذلك قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَدِيثَ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ يَنْسَوْنَ وَأَنْ يَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

البقرة/٤٤ .

وقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) . الذريات/٥٦

وقوله تعالى: (وَتَزُودُوا فَأَنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) . البقرة/١٩٧ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج٩/ ١١١ .

(٤) نهج البلاغة، ق(١٥٠) ج٣/ ١٨٩ .

(١) نهج البلاغة، ك(٢٢)، ج٣/ ٢٣ - ٢٤ .

طغت الثنائية التقابلية على النص فنجد (يسره، سيوه ه)، (درك، فـوت)، (سرورك، أسفك) (نلت ، فاتك) ، (أجتك ، دنياك) ، (فرحاً ، جزعا) وكأنها تدور حول ما اقتبسها من قوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفُوحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (٢).

كَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا هُوَ آتٍ نَتِيجَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي الْآيَةِ ، وَجَعَلَ الْإِمَامَ (ع) هَذَا الْمَعْنَى مُحَوَّرًا فِي كِتَابِهِ إِلَى الْوَالِيهِ ، هُوَ تَقَابُلٌ بَيْنَ مَشْهَدَيْنِ وَمَعْنَيْنِ رَافِقَهُ تَقَابُلٌ فِي مَعَانٍ مُرَادِفَةٍ وَسَانِدَةٍ طَرَدَتْ فِي النَّصِّ لِنَتَكْتَمِلَ بِهَا الصُّورَةُ ، لِأَنَّ التَّقَابُلَ " طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ التَّصْوِيرِ " (٣).

وَقَدْتِي دَاخِلَ هَذَانِ النُّوعَانِ مِنْ هَذِهِ الثَّنَائِيَةِ فِي مَسَاحَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِهِ (ع) : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَيَذُوقُ لَهُ خُذًا وَوَجْهًا ، يُقْبِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ سَلْمًا وَضَعْفًا ، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَةَ رَهْبَةً وَخَوْفًا (٤) ، وَلِهَذَا الثَّنَائِيَةُ أَكْثَرَ مِنْ مَوْقِعٍ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ (٥) وَالْمُفْرَدَاتِ الْآخِرِيَّاتِ مِثْلًا طَبَاقًا وَاضِحًا فَجَاءَ الْإِمَامُ (ع) بِمُفْرَدَتَيْنِ مُقَابِلَتَيْنِ هُمَا : (طَوْعًا وَكَرْهًا) .

وَحِينَ كَانَ الْكَلَامُ تَعَلَّقَ بِالْإِيمَانِ وَالسُّجُودِ ذَكَرَ (ع) - كَمَا فِي الْآيَةِ - حُرِيَّةَ الْإِخْتِيَارِ (طَوْعًا) ، وَقُدْرَةَ الْإِجْبَارِ (كَرْهًا) ، وَفِي مَعْرُضِ حَدِيثِهِ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَجَبْرِيَّتِهِ اسْتَوْجَبَ ذِكْرَ الرَّهْبَةِ وَالْخَوْفِ وَكُلُّهَا اجْتَمَعَتْ لِتَحْيِكَ بِنَاءِ النَّصِّ ، بِمُفْرَدَاتٍ إِيحَائِيَّةٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ الْغَرِيبِ فِيهَا ، فَآتَى هَذَا الْإِيْحَاءَ عَنْ تَرَابُطِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَنَزْوَعَهُ مَنزَعًا مُجَازِيًا فِي قَوْلِهِ (ع) ﴿ وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَةَ رَهْبَةً وَخَوْفًا ﴾ وَتَعَدَّدَ اِحْتِمَالِيَّةُ الْمَعَانِي ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ إِثَارَةُ الْمُتَعَةِ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّيِّ

وهذه الثنائيات لإيرادها زمن دون غيره ، بل تتفتح على كل زمان ومكان ، فالسجود لله ، وطاعة المخلوقات له ، لا تقف عند زمان دون آخر ، وللطباق فيها يحمل بين طياتها موسيقى داخلية كامنة في نسيج المفردات وتراكيبه ، وجمله

وتكوّن مثل هذه الثنائيات في مواضع أخرى من النهج ، حيث تهلّ جليّة أزيّة في الصّراع بين الحقّ والباطل ، والحياة والموت ، والشرّ والخير (١) .

(٢) الحديد/٢١ - ٢٣ .

وينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١٥/١١٠ .

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، منشورات دار الأضواء ، قم ، ص : ٧٥ .

(٤) نهج البلاغة، خ(١٨٠)، ج٢/١٤١-١٤٢ .

(٥) (وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بِدِّسَالِحِهَا وَأَنْدُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) . الأعراف/٥٦

هُوَ الَّذِي يَرْيَمُ الْبَرِّقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ . الرعد/١٢

(وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَمُ الْبَرِّقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ) . الروم/٢٤

﴿ وَتَجَافَى جُنُودُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) . السجدة/١٦

(١) المصدر السابق ينظر: خ(١٣٧)، ح١/٣٣، ك(٦٦)، ج٣/١٣٩، ق(١٧)، ج٣/١٥٥، خ(٥٠)، ح١/٩٦، خ(١١٠)، ح١/٢٢٣

خ(١٠٩)، ح١/٢٢٠، ق(٤٢٢)، ح٣/٢٥٤ .

ثالثاً : الإفادة من الصيغة البنائية **تلبم** ، س في النص النهجي .

يَطَّلُ الْمُقْتَبَسُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِنَائِهِ، وَتَرْكِيبِهِ فِي خُطْبِ الْإِمَامِ (ع) ، وَكُتِبَهُ ، وَمَوَاعِظُهُ ، وَبِهَذَا يَشْحَنُ لُغَتَهُ بِهَذِهِ التَّرَاكِيِبَ ، فَتَصْبِحُ لُغَةً مُمَيَّزَةً تَزِيدُ مِنَ التَّوَاصُلِ بَيْنَ نَصُوصِهِ ، وَالْمُتَلَقِّي لَهَا .

من ذلك ما اقتبس من الحديث الشريف: ((استوصوا بالنساء خيراً))^(١)، فقال (ع): ((استوصي بالتجار خيراً))^(٢) وفي قوله (ع): ((أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً))^(٣)، وهو من قول المصطفى (ص) وآله: ((ستلقون بعدي أثره))^(٤).

وفي قوله (ع): ((فإنما هلك من كان قبلكم إنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، واخذوهم بالباطل فاقتدوه))^(٥)، صدق لتركيب الحديث الشريف: ((إنما هلك الذين قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد))^(٦).

وقال (ع) في مالك الاشتهر: ((مالك وما مالك))^(٧)، وهو قول يعود بنا إلى قوله تعالى: ((الحاقة ما الحاقة))^(٨).

وأفاد (ع) من الصيغة (الحاقة) في قول: ((أما مالك))^(٩) للتعظيم ، قال التستري في شرحه: "والظاهر أن مالك "مبتدأ ، وجملة "ما مالك" خبر لبيان عظيم الأمر مثل قوله تعالى: ((الحاقة ما الحاقة...))^(١٠). أنه ارتكاز إلى العنصر البنائي القرآني، والذي ظهر أيضا في قوله (ع): ((يُنزَّلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَصِيبَةِ))^(١١)، إذ ارتكز على بناء الحديث النبوي الشريف: ((أَنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَوْئِنَةِ))^(١٢).

وقد يعتمد الصياغة القتبسة بأكملها دون زيادة أو نقصان كقوله (ع): ((ما عال من اقتصد))^(١٣)، أو في قوله: ((حبيب حبيبك هونا ما...))^(١٤)، أو كما في قوله (ع): ((تنزل المعونة على قدر المؤونة))^(١٥).

(2) ورد الحديث النبوي الشريف بصيغ عديدة لا تتعد كثيرا عن هذه الصيغة .

ينظر: صحيح البخاري، ج ٦/١٤٥، صحيح مسلم، ج ٤/١٧٨، سنن ابن ماجه، ج ١/٥٩٤، سنن الترمذي، ج ٢/٣١٥ .

(3) نهج البلاغة، ك (٥٣)، ج ٣/١١٠ .

(4) نهج البلاغة، خ (٥٧)، ج ١/١٠٣ .

(5) سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي ت (٣٠٣) هـ ، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٠م ، ج ٨/٢٢٥ .

صحيح البخاري، ج ٨/٨٧ ،

(6) نهج البلاغة، ك (٧٩)، ج ٣/١٥١ .

(7) سنن الدارمي، ج ٢/١٧٣ ، صحيح البخاري، ج ٤/١٥١ ، صحيح مسلم ج ٥/١١٤ ، سنن الترمذي، ج ٢/٤٤٢ .

(8) نهج البلاغة، ق (٤٤٣) ج ٣/٢٥٨ .

(9) الحاقة ١ - ٢ .

(1) بهج الصباغة، التستري ، ج ٧/٦١٥ .

(2) نهج البلاغة، ق (١٤٤) ، ج ٣/١٨٥ .

(3) الجامع الصغير، السيوطي ، ج ١/٢٩٧ ، كنز العمال ، المتقي الهندي ، ج ٦/٣٤٧ .

(4) نهج البلاغة ، ق (١٤٠)، ج ٣/١٨٥ . ينظر : الباب الاول ، الفصل الاول ، ص : ٦٩ .

⁽⁵⁾ نهج البلاغة ، ق(٢٦٨)، ج٣/٢١٧ . ينظر :الباب الاول ، الفصل الاول ، ص : ٦٩ .

⁽⁶⁾ المصدر السابق ، ق(١٣٩)، ج٣/١٨٥ .

أَلْبَابُ الثَّانِي

التَّضْمِينُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

- الفصل الأول: أنواعه .
- الفصل الثاني: وظيفته .
- الفصل الثالث: خصائصه .

الفصل الأول

أنواع التضمين.

المبحث الأول: تضمينُ الشِّعرِ عرَاليَّ . المبحث الثاني: تضمينُ المَثَلِ العَرَبِيِّ .

المبحث الأول : النص " ليس ذاتاً مستقلة، أو مادة موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص آخر، ونظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه جميعها تسحب إليه كماً من الآثار، والمقتضات من التاريخ، ولهذا فإن النص يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصى من الأفكار والمعتقدات، والارجاعات" (1)، والعمل الأدبي كلما كان أكثر انقاجاً، وتداخلاً مع غيره من النصوص أصبح أكثر محاكاة وتأثيراً في الآخرين، وأصبح أكثر قدرة على توليد معانٍ جديدة متعددة، مما يساعد على خلق جوٍّ إبداعي له القدرة على فرض هيمنته وتأثيره في الآخرين على مر العصور، وهذا ما لا يتوافر إلا في نصوص متعالية كالنص النهجي، والذي هو كغيره من النصوص التي تفتح على نصوص سابقة لها أفقاً في مرجعية الإمام الثقافية والمتشعبة على لسانه، وهو الذي عرف بكثرة حفظه، وسعة ذاكرته (2).

والكاتب حين يكتب، والخطيب حين يخطب، إنما يركز إلى خزين ثقافيٍّ متسع تكون من خلاله حفظه، وتأثره بنصوص متعاقبة على ذهنه (3)، وهو أساس انبثاق تجربته الإبداعية، إذ لا يأتي النص من فراغ، فالنصوص عند المحدثين "في حالة صيرورة عمل، لا يكف عن التفاعل وعن تعهد مدارج الإنتاج" (4) ضمن

(1) الخطيئة والتكفير، ص: ٣٢١ .

(2) قال صاحب العمدة في حفظه للشعر: ((حفظ كثيراً من أشعار العرب، وأمثالهم وحكمهم، لقد عرف عنه أن كان يفاضل بين الشعراء، وقدم امرأ القيس...)).

العمدة في محاسن الشعر، ونقده، ج ١/١١١ .

وقال ابن عباس (رض) حبر الأمة، والمشهور بكثرة حفظه للشعر حين قال له أهدم لم رأى حفظه للشعر: ((ما رأيت أذكى منك قط"، فقال: لكنني ما رأيت أذكى من علي بن أبي طالب)).

الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط ٢، (د.ت)، ج ١/٨١ .

(3) ينظر: الخطيئة والتكفير، ص: ٣٢٣ .

ويرى (أدونيس)، أن الشعراء يُلَوِّنون قيمةً بقدر ابتعادهم عن التراث والموروث الأدبي فهما بمثابة نقطة ثابتة يدور حولها الشعراء . ينظر: الثابت والمتحول ، أدونيس ، ص: ٣٧ .

(4) تداخل النصوص في الرواية العربية، عبد الرحمن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ ، ص: ٢٦ .

عملية التداخل بين تلك النصوص^(٥)، ثم أن للنص ارتباطاً لغوياً بالمحيط الذي يعيش معه^(٦)، وقد مهد الإمام (ع) لهذا المنطلق حين ربط كثيراً من نصوصه بالموروث اللغوي والثقافي العربي القديم من شعر^(٧) ومثل. ما فتئت العلاقة قائمة بين المبدع، وتراثه القديم من شعر، أو نثر، والتي تعود به إلى "الإرث النصي"^(٨) أو السمعي المخزون في ذاكرته الضاغطة على الفتح بقصد، أو بغير قصد .

ومدعو النصوص ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي، أنهم يكتبون عن فيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد، وفي ذاكرة اللاوعي الجمعي لمجتمعاتهم.

ولما كان الإمام (ع) مدركاً لقيمة الأثر الكبير للإشارات المباشرة، أو غير المباشرة للشعر والمثل والحكمة، استحضرها في نصوصه بصور شتى، تعالاً مقتضيات المقال، أو الحال باعتبارها إشارات كافية لاستنارة ذاكرة المتلقي، واستصحاب الدلالة المصاحبة لها فور سماعها، أو قراءتها، لا سيما وقد تميز بالفطرة السليمة، والذوق الرفيع، والبلاغة الآسرة، ثم بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه^(٩) .

(٥) وهذا المفهوم بدأ حديثاً مع الشكليين انطلاقاً من (شلوفسكي) الذي فتق الفكرة، فأخذها عنه " باختين " الذي حوّلها إلى نظرية حقيقية تعتمد على التداخل القائم بين النصوص .

ينظر : الخطيئة والتكفير، ص: ٣٢١-٣٢٢ .

(٦) ينظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ٣ .

(٧) وردت بعض الأشعار على سبيل الاستشهاد وسبقها قوله (ع): ((كما قال أخو هوازن ، أو كما قال أخو بني سليم ، أو كما قال القائل))، وهذه الأبيات كما هو ظاهر لا تدخل في باب.

ينظر: نهج البلاغة: خ(٣٤)، ج١/٨٢، ك(٤٥)، ج٣/٦٩، ك(٣٦)، ج٣/٦٩ .

(٨) لأن ثقافة المبدع سلسلة من النصوص تُهدب نصوصاً أخرى، ومن الرسوبات الموسوعية التي تتصهر ببطء، الواحدة في الأخرى، فتترك القديمة آثارها في الجديدة.

ينظر: السيميائية وفلسفة اللغة، اميرتو ايكو، ترجمة: د. احمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥م،

ص: ٣٩٢-٣٩٣ .

(٩) ينظر: من روائع نهج البلاغة ، ص: ٣٢ .

ب ت الأوصالين ، الشعر العربي .

كان الشعر، وسيظلّ مهلاً فليضاً للأدباء، والعلماء، فهو زاد لا ينفد، ومعين لا ينضب، ورافد للمعاني التي أودها الشعراء قصائد لهم وعالجوا فيها كثيراً من فنون الحياة، وأصنافاً من الحكمة .
عملية التضمن الشعري، إنما هي ظاهرة الائتلاف ناس الشعري^(١)، والتي تخلق رغبةً عند المتلقي للاستزادة من قراءته .

إن التباين الكبير بين القيم، والمفاهيم الجاهلية، والإسلامية لم يمنع من وجود قواسم، ومساحات مشتركة بينها والتي تمثلت في منظومة من مكارم الأخلاق بعبث النبي (ص واله) تتممها^(٢).
والشعر ديوان العرب، فأذا خفي شيء من القرآن الكريم، رجع بعض المفسرين إليه، ليلتمسوا، تلك المعاني^(٣)، حتى أن ابن عباس (رض) قام تفسيره - الذي عرف فيما بعد بـ (سؤالات ابن نافع)^(٤) - على الشعر الذي ذاع واشتهر بين الناس، فأستعان به كشاهد على معانيه، ويبقى " الشعر قوة ثانية للغة وطاقة سحر وافتتان"^(٥).
ولعلّ الانفتاح الرحب لنصوص الإمام (ع) على الموروث الشعري العربي، وتداخلها معه، همّ د لرفد الدلالة وتعزيزاً لها، حين أدرك ما للشعر من أثر في نفس المتلقي آنذاك، وحتى يومنا هذا^(٦)، ومأط اللثام عن مهارته (ع) في التعامل معه، ووفرة اطلاعه عليه.

(١) كما يسميها الدكتور إبراهيم ريكان .

ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م، ص: ٥٢-٥٣.

(٢) لقوله (ص وآله): ((هَذَا بِعَثِّ لَاتَمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)) . كما انه (ص وآله) استمع إلى شعر كعب بن زهير في المسجد النبوي
ينظر: العمدة، ص: ٩٢ .

(٣) ينظر: الإتيان في تفسير القرآن، السيوطي، ج ١/١٩٩ .

(٤) سؤالات نافع بن الأزرق ت (٦٥) هـ، إلى عبد الله بن عباس ت (٦٨) هـ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨ م .

(٥) اللغة العليا، جون كوهن، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص: ٩٠ .

وتمثّل تضمينه (ع) للشعر في أنواع عديدة، هي: التضمن الشعري المباشر، ولتضمن الشعري غير المباشر.

أو الثاني - ضمّين الشعر - شعري المباشر .

إن التراث الشعري مستودعٌ ثقافيّ، ضخم لا يتوانى الإمام (ع) من الرجوع إليه، فتارة يأتي به شطراً، وأخرى يتأً كاملاً، تبعاً لمقتضيات وضرورات تستدعي ذلك، لا سيما وأن بعض الأبيات أو شطراً منها حققت ذيوماً لدى المتلقي لصياقها على طريقة الأمثال، ممّا ساعد إدخالها في دائرة التعالقات النصية لضرورتها .

وهي - ن الشعر - طرفي الذ - ص الذ - هجي *

ويتجلّى باستحضار الشطر أو بعضه، وهو مع ذلك تضمينٌ حرفي دونما تغييرٍ في بُنيته أو تركيبه، كقوله (ع) في كتاب بعثه جواباً إلى معاوية: ((.. وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسنت، وعلى كلّهم بغيت، فأنيكُن ذلك كلّك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك بتلك شكاة ظاهر عنك علواً ..))^(١).

استشهد الإمام (ع) بشطر من بيت في قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي، والبيت الذي ورد فيه هو:

وعيرها الواشون أنّي أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها^(٢)

وأصبح هذا البيت فيما بعد مثلاً، حتّى أنّ عبد الله بن الزبير لما عيره رجلٌ بأمه - وهي أسماء بنت ابي بكر المعروفة بذات النطاقين - قال له عبد الله: "وتلك شكاة ظاهر عنك علواً، وأراد أنّ تعييره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعارٍ يلزق به، وأنه يفتخر بذلك"^(٣).

(٦) قال (ابن الأثير): ((من أحب أن يكون كاتباً، أو كان عنده طبعٌ مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد، ولا

يقنع بالقليل من ذلك...)) . المثل السائر، ج ١/١٦٩ . وقال (أبو هلال العسكري) : ((ومن لم يكن راوية

لاشعار العرب تبيّن النقص في صناعتهم)) . الصناعتين ، ص: ١٣٨ .

* وسماه البعض (التضمين الجزئي).

ينظر: البلاغة والأسلوبية، يوسف أبو العدوس، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط ١٩٩٩، ص: ١٥١ .

(١) نهج البلاغة: ك (٢٨) ج ٣/٣٧ .

(٢) ومطلع القصيدة هو:

هل الدهر إلا ليلة ونها لها والأطلوع الشمس ثم غيارها .

ديوان الهذيلين، القسم الأول، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٢٦٤ هـ، ١٩٤٥، ص: ٢١ .

وقد نسبته كثيرٌ من شراح النهج إلى أبي ذؤيب الهذلي .

ينظر مثلاً: منهاج البراعة، الراوندي، ج ١٩/٩٩ . ومنهاج البراعة، الخوئي، ج ٣/٧٩ . وأعلام نهج البلاغة، ج ١/٢٤٢ .

(٣) لسان العرب، مادة (شكا)، ج ١٤/٤٤٠ - ٤٤١ .

وأراد الإمام(ع)باستشهاده بشرط البيت أن هذا الذي ذكره معاوية ليس مما وقع على معاوية،أو يخصه فيكون العذر له،فهذا ليس بعارٍ يلحق الإمام(ع)مع أنه لم يفعله،فيتوضَّح معنى الشرط عند من يحفظ سياق الشعر الذي ورد فيه،ويبدو أن البيهقي شاع بين الناس إلى الحد الذي أن شرطه يدل عليه، أهمية التضمين في فُرج دلالاته العامة في النص.

وتَمَقَّ أيضاً بشرط آخر هو: (وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُنْتَصِحُ) في الكتاب عينه حين قال: ((...ما كنت لأعتذر من أئى كنت أنقم عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له ، فرب طوم لا ذنب له: وقد يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُنْتَصِحُ))^(١).

وقال صاحب(جمهرة الأمثال)لظنُّة:الثَّهْمَةُ،وَالْمُنْتَصِحُ:الْبَالِغُ فِي النَّصِيحِ،وَالشَّعْرُ لِأَكْثَرِ بَنِي صَيْفِي،ومعناه أنك إذا بالغت في النصيحة لصاحبك ظنُّ أنك تريد ظناً لنفسك،وإنك إذا بالغت في النصيحة فتأهَّب للثَّهْمَةِ،وانشدنا أبو احمد عن الصولي عن ابي ذكوان قال أنشدني عمارة بن عقيل :

ألم تعلموا أئى وإن قلَّ شُكْرُكُمْ لأعراضكم واق أحوط وَاْمَدْحُ
وَكَمْ سِقَّتْ فِي آثَارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُنْتَصِحُ^(٢)

والإمام(ع)اكثر في نصحه للخليفة عثمان بن عفان حتى أنه قال في موضع آخر من الكتاب: ((فأينا كان أعدى له ، وأهدى إلى قاتله ، أمَّن بذلِّه نُصْرَتَهُ،فَأَسْنَقَ دَهْ،وَأَسْتَكَّه ، أَمَّن اسْتَنْصَوهُ فُتْرَاخَى عَنْهُ وَبِثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ...))^(٣)،ويقصد بذلك معاويةالذي تقاعس عن نصرة الخليفة،في حين أنه(ع)أرسل ولديه لحمايته. لم يبخل بالنصيحة،والوعظ حتى لو أسىء به الظنُّ،ولا يهمله ذلك كله مادام أنه أراد الإرشاد، والهداية،لاسيما أيام الفتنة ونتيجة لإسرافه في النصيحة اتَّهَمَ فتمثل بهذا الشرط من البيت الذي يحمل دلالةً وان

ثمَّار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ٩٦٥ م ، ج ١/٢٩٤ .

(١) نهج البلاغة،ك(٢٨)ج٣/٣٩ .

(٢) جمهرة الأمثال،أبو هلال العسكري،ت(٣٩٥)هـ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش،دار

الفكر،بيروت،ط١٩٨٨،٢م،ج١/١٦١ .

ونسبه البحراني في شرحه إلى أكتف بن صيفي أيضا.

ينظر:شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٣٥٥ .

وذكر بعض الشراح صدر البيت ، ولم ينسبوه إلى قائل.

ينظر مثلا:أعلام نهج البلاغة،ج١/٢٤٣ . ومنهاج البراعة،الخوئي،ج١٩/١٠٠ .

واعتبره أحدهم مثلاً ، ولم يذكر صدر البيت معه.

ينظر:شرح نهج البلاغة،الموسوي،ج٤/٢٣٩ .

(٣) نهج البلاغة،ك(٢٨)ج٣/٣٨ .

كانت لا تتّظهر بصورةً بيانيّةً إلاّ أنّها تَضَعُ المتلقّي أمامِ مَصْدَاقٍ مِنْ مَصَادِقٍ تَصَوِّرُ عامَ بعمومٍ دلالةَ الْمُتَنَصِّحِ .

وفي المثالين السابقين اقتصر التّضمينُ على الشطر الثاني للبيتين للإشارة إلى معنى يفهمه المتلقّي بمجرد سماعِهِ هذا ما يُوَكِّدُ إشاريةَ لُغَةِ الشَّعْرِ (٤).

وفي مواضعٍ أُخرٍ من النصّ النهجي استحضر (ع) الشطرَ الأوّلَ من البيتِ الذي ورد فيه (٥)

٢ . تضمين الب . يُلشأنه عرّي في الذ . هجي .

وهو النوعُ الغالبُ في عمليةِ التّضمينِ الشعري إذا ما قورنَ بالتّضمينِ الشطري (١)، وسُمّي بالتّضمين الكلي (٢).

من ذلك قوله في الخطبة (الشَّقَشَقِيَّة): ((... فرأيتُ أنّ الصَّبْرَ على هاتا أحجى، فصَبَرْتُ وفي العَيْنِ قَدَى، وفي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُراثي نهباً حَتَّى مَضَى الأوَّلَ سبيلاً بهُفأدلى بها إلى فُلانٍ بَعْدَهُ (مَمَّ قَدَّ لَ بقول الأَعشى) * :

شَتَانُ ما يَوْمِي عَلَى كُورِها وَيَوْمُ حَيَّانِ أُخِي جَابِرِ)) (٣)

ونسبَ بعضُ شراحِ النهجِ البيتَ الذي تمثل به الإمام (ع) للأعشى الكبير، وهو أبو بصير ميمون بن قيس ابن جندل، من القصيدة التي قالها في مناصرة لَمَمَةَ بن عاتلة وعامر بن الطفيل وأولها :

عَلَّمُ ما أنتَ الى عامِرٍ النَّاقِصِ الأوتارِ والوا تِر (٤)

وأراد الإمام بذلك أنّ هناك فرقاَ شاسعاً بين يومِفي الخلافة مع ما انتفضَ عليه من الأمر، وما مُني به من انتشارِ الحبلِ واضطرابِ أركانِ الخلافةِ وبين يومٍ من سَقَبِهِ في الخلافةِ حيثَ وليها على قاعدةٍ مُمَهَّدَةٍ، وأركانٍ ثابتَةٍ وسكونٍ شاملٍ، فأنتظمَ أهواطُ رَدِّ حاله، وسكنتَ أيَّامه (٥)، والفَرَقُ بينَ حالِيهما، كالفَرَقِ بين

(٤) محاولة في تعريف الشعر الحديث، أدونيس، مجلة شعر، ع ١٤، السنة الثالثة، ١٩٥٩م، ص: ٩٦ .

(٥) الشطر: (لَبِثُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الهَجَا حَلِي) ، والشطر: (دَعَ عَكَ نَهَباً صَبِيحاً فِي حَوَاتِهِ) .

ينظر: نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣، و (١٥٧)، ج ٢/٨٠ .

(١) ينظر: نهج البلاغة، خ (٣)، ج ١/٢٦، خ (٢٤)، ج ١/٦٠، خ (٢٤)، ج ١/٦١، خ (٣٤)، ج ١/٨٢، ك (٣٦)، ج ٣/٦٩ .

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص: ١٥١ .

* لم يرد هذا التعليق في نصّ ابن أبي الحديد، ولكنه ورد في متن الخطبة في النسخة التي شرحها الشيخ محمد عبده، وحقّقها محمد محي الدين عبد الحميد، وأشار حقّق شرح ابن أبي الحديد إلى أنّ هذا التعليق موجود في مخطوطة النهج .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ١/١٣٩ .

(٣) نهج البلاغة، خ (٣)، ج ١/٢٦ .

(٤) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١/١٤٢ . وينظر: منهاج الواعية، الراوندي ، ج ١/١٢٤ . وينظر: أعلام نهج البلاغة، ج ١/٤٦ .

(٥) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ١/١٤٤ .

حال (جابر) في نَفَرِهِ، وهو على كورِناقَ تَه وحال أخيه (حيّان) في رفاهِيتِهِ، فالأوّل كثيرُ العناء، شديدُ الشَّقَاءِ، والثاني وأفرُ النَّعِيمِ، وفي الرّاحة، أي أنّ الإمام أنشده للمثّل (٦) .

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه (٧)، وصاحب جمهرة الأمثال (٨)، ومجمع الأمثال (٩) قصّة (جابر وحيان).

وقام (ع) ضِعْراً بتناقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي لما تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقد دمّ عليه عاملاه على اليمن، حين غلب عليهما (بسرُ بن ارطاة)، فقال: ((ما هي إلا الكوفةُ أقبِضُها وأبسُطُها، إن لم كُونِي إلا أنت تهبُ أعاصيرُك فقبّحك الله (وتمثّل بقول الشاعر):

لَمَعْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرُ يَاعْمُرُ إِنِّي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ)) (١)

أظهر الكوفةَ بهيئةَ مادّيةٍ، وهي في قبضتِهِ: أي في تصرفه، فالأول مجاز لغويّ غيرُ مرسل (لتقيدته بالتشبيه)، باعتباره استعارة قائمة على التشبيه، والثاني (في قبضته)، وهو مجازٌ علاقته السببية، لأنّ القبضة هي السبب في التصرف، والتمكّن .

وبخروجه (ع) من خطاب أصحابه إلى خطاب الكوفة (لا أنت) خرج من الغيبة - بالنسبة إلى الكوفة - إلى خطاب الحاضر (٢)، فإن لم يكن لي من الدنيا مُلكٌ إلا مُلك الكوفة ذات الفتن، والآراء المُختلفة، فأبعدَها الله . وشبّه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بلأعاصيرٍ لإثارتِها التراب، وافسادها الأرض (٣).

لقد أراد الإمام (ع) من هذا كله بيان ضجّره من أهلها حين تناقلوا عن الجهاد ووجه التمثيل في تضمينه لهذا البيت هو " تمثيل على وجه الاستعارة، فأستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ (الوضر) (٤) القليل فيه للكوفة، ووجه المُشابهة ما تشترك فيه الكوفةُ والوضرُ من الحِقارةِ بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل الإناءُ من الطعام " (٥)، وكأنّه ضربٌ من التّشبيه الضمني بلونٍ جديد، وهو أن يكون المُشبّه نَصلاً نثرياً، والمُشبه به نَصاً شعريّاً .

(٦) ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ، ج٣/٤٧ .

(٧) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج١/١٤٣ - ١٤٤ .

(٨) ينظر، جمهرة الأمثال، ج٢/٣٢٠ .

(٩) ينظر: مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِيدَانِيُّ النِّيسَابُورِيُّ ت (٥١٨)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار

المعرفة، بيروت، (د.ت) ج٢/٣٥٦ .

* هكذا وردت في متن الخطبة . ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١/٢٨٠ .

(١) نهج البلاغة، خ (٢٤)، ج١/٦٠ .

(٢) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١/٢٨٩ .

(٣) ينظر: المكان نفسه .

(٤) الوضْر: هو بَقِيَّةُ الدَّسَمِ فِي الْإِنَاءِ ، أَوْ هُوَ الدَّرَنُ الْبَاقِي فِيهِ وَيُ سْتَعَارُ لِكُلِّ بَقِيَّةٍ مِنْ شَيْءٍ يَقِلُّ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج١/٢٨٨ ، وينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٢٣٢ .

(٥) شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٢٣٢ .

ولم ينسب صاحبُ (مجمع الأمثال) ، أو شُراح النهج البيتَ إلى شاعرٍ بعينه^(١).
ويتضمنه لهذا البيت إنما، ضُمَّتْ تجربةُ إنسانٍ^(٢) ، وعقدَ مقارنةً مع ما أراد الشاعر، وإن كانت التجريبتان
مختلفَتين، فهما تدوران حول محور إنساني واحد، وانطلقا من وحدة في المعاناة الإنسانية، من هنا
اسقط(ع)همه، ولأَمه في قول الشاعر هذا عند تضمينه.

وفي خطبته السابقة، والتي خُطبها بعد تواتر الأخبارِ باستيلاء أصحابِ معاوية على البلاد، ختمَ بقوله:
(.. أما والله لو ددت أن لي بكم ألف فارس من نبي ف راس بن غنم:

هناك لو دعوت أذاك منهم قوارس مثل أرمية الحميم))^(٣)

شبهه هؤلاء - الذين تمنى أن يكونوا معه بدلاً من أصحاب الذين تناقلوا عن نِ صرته، حتى غزاهم جندُ
الشام في عقرِ دارهم^(٤) - بأرمية الحميم .

والأرمية: جمع(رمي)، وهو السحاب، والحميم: هو وقت الصيف وإنما خصَّ الشاعر سحابَ الصيف بالذكر
، لأنه أشدَّ جفولاً وأسرعُ خوقاً، لأنه لا ماء فيه، وإنما يكون السحابُ ثقيلَ السيرِ لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في
الأكثرِ إلا زمان الشقاء وإنما أراد الشاعر وصفَهم بالسرعةِ إذا دعوا، والإغاثةِ إذا استغيثوا ، والدليلُ على ذلك
قوله هنا: لو دعوت أذاك منهم^(٥).

وذا سبَّ البيتُ إلى أبي نجب الهُ ذلي في الشرح^(٦)، وفي لسان العرب نجد النسبةَ نفسها، ولكن برواية
(رجال)^(٧).

واللغة الأدبية المتمثلة في استحضار البيت اعتمدت التصريحَ دون الإيحاء وفيها من الدلالة الكثير على
شدة تبرمه، وضجره، وبأدنى تأملٍ يتضح الفرقُ بين المُقلين، وبين ما هُ وفيه، وما كان يتمناه .

(٦) ينظر: مجمع الأمثال ، ج ٢/٣٤ .

شرح ابن أبي الحديد ، ج ١/٢٨٣ . ومنهاج البراعة، الراوندي ، ج ٣/٣٥٦ . ومنهاج البراعة ، الخوئي ، ج ١٠/٤٧٣ .

(٧) نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج ١/٦١ .

(١) كما فعل (بسر بن ارطاة) حين أغارَ على أطرافِ الكوفة .

ينظر: نهج البلاغة ، خ(٢٤) ج ١/٥٩ ،

وينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ١/٢٨٧ .

(٢) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ١/٢٨١ .

وقصد بهؤلاء بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وعرفوا بالشجاعة.

ينظر: المصدر السابق : ج ١/٢٨٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ج ١/٢٨١ .

وعند الرجوع إلى ديوان الهذيلين لم أجد البيت فيه.

(٤) ينظر: لسان العرب ، ج ١/٣٣٧ ، ووردت بمثل هذه الرواية في الأغاني أيضا .

ينظر: الأغاني، ج ١٠/٢٣٠ .

تضمين ثانوي للشعر هري في المباشرة .

وقد دل في تضمين تراكيب، ومعانٍ^(١) شعرية ذاع صيتها، وعُوت بتراكيبها، ومعانيها تلك التي اقتربت بها من صيغة المثل، والحكمة .

وقد تختلف أحياناً عن صياغتها البنائية - مع الاحتفاظ بدلالاتها على معانيها^(٢) - عند إدخالها في النصّ النّهجي، وتعدّ تضميناً شعرياً غير مباشر، اعتماداً لمرجعيتها الشعرية التي انطلقت منها وعُوت بها . وقد يوتى ببعض من لفظ الشعر مع معناه^(٣)، وإعادة نسيجه، ومن الممكن تضمينها - على الرغم من قوّتها - إلى تضميناتٍ شعرية (قريبة)، وأخرى (بعيدة) .

ن الشأء هري في المباشرة الفريب .

من السهولة بمكان إرجاع هذا النوع من التضمين إلى موارها التي استقى منها، من ذلك قوله (ع): ((... فلكلّ أجل كتاب ، ولكلّ غيبة إياب ، فأستمعوه من رلذ يكم ، وأحضروه قلوبكم ، وأستيقضوا إن هتف بكم...))^(٤).

قال ابن أبي الحديد: ((وقد قاله عبيد بن الأبرص، واستثنى من العموم الموت، فقال:

وكُلّ ذي غيبة يؤوبُ وغائب الموت لا يؤوبُ))^(٥)،

وأرجعه محقق الشرح إلى موضعه في ديوان الشاعر^(٦).

(١) جوز (ابن أبي الإصبع) المصري أن يكون التضمين معني مجزاً من كلام أو مثل سائر، أو جملة مفيداً أو قارة من كلمة . ينظر: تحرير التعبير، ص: ١٤٠ .

(٢) أن اخذ قسم والنصرف في القسم الآخر تصرفاً يبيراً عرف بمصطلح "الاهتدام" .

ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (الاهتدام)، ج ١/ ٣٤٠ .

(٣) ينظر: المكان نفسه .

(٤) نهج البلاغة، خ (١٠٤)، ج ١/ ٢٠٨ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد، ج ٧/ ١٥٤ .

والفرق بين القائلين يكمن في عقيدة كل من القائلين، فالشاعر الجاهلي يرى . وفق عقيدته . أن لعودة لأحد من الأموات إلى الحياة الموت عندهم فناء وعدم، والإمام (ع) - بمقتضى اليقين بالمعاد - يرى عكس ذلك تماماً، فالعودة لكل غائب بعد موته^(٦)، إنها عودة لا بد منها، وأراد الإمام بهذا الاستحضار التضميني توكيد توبيخه، وتقريبه لهم على غلظهم^(٨).

وابن أبي الحديد في قوله أنه (ع): **لِيُحْمَقَ عَيْدَانِي اسْتِثْنَاءَهُ**^(٩)، لا يوجد ما يدل عليه، ويؤيده في سياق كلامه (ع) .

وفي إخباره عن عبد الملك بن مروان قال^(١٠): **((كَأَنِّي بَعْدَ دَنَعَقٍ بِالتَّمِّمْ، وَفَصَّصَ بِرِيَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كَوْفَانٍ فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ فَوَرَشَ الْأَرْضَ بِالْمُرِّ وَسَقَدَ فَاغْرَتُهُ وَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ...))**^(١١)

نلمح قوله (ع): **(فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ)** والضرروس هي الناقة السيئة الخلق تعضُ حالاً بها^(١٢)، وهذا يعود بنا إلى قول بشر بن أبي خازم :

عَطْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ الْمَلَا بِرِ شَهْبَاءٍ لَا يَمْشِي الضَّرَاءَ رَقِيبَهَا^(١٣)

ورد التضمين في مورد الذم ، و(عطف الضروس) مشبه به، في تشبيهه بليغ محذوف الأداة استبدال صيغة المفرد " لها " بصيغة الجمع " لهم " طبقاً لمقتضى السياق الذي أوحى بذلك، فالسياق هو عبارة " عن كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من نوال أخرى سواء أكانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً ، أو حالياً كالظروف والملابس التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع " ^(١٤)

وفي كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، قال فيه: **((... ولكن يهات أن غلب بني هاشم، ويقودني جسعي، إلى تخيير الأطمعة ولا علة بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القصر، ولا عهد له بالشعب!! أو أبيت بطنانا ووطي بطنون غرثي، وأكباد حرثي!! أو أكون كما قال القائل:**

(6) المكان نفسه . ينظر: ديوان عبید بن الأبرص ، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص : ٢٦ .

(7) وفي مكان آخر من النهج أراد بالغياب غياب السفر لذلك قال: **((لَيْسَ كُلُّ طَالِيٍّ صِيبٍ وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَنْوِبُ))**

نهج البلاغة، ك(٣١)، ج ٥٩/٣ .

(8) ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ، ج ٣٠١/٧ .

(9) شرح ابن أبي الحديد ، ج ١٥٤/٧ .

(10) بنظر: شرح ابن أبي الحديد ج ٣٧/٩ .

(11) نهج البلاغة خ(١٣٤)، ج ٣٠/٢ .

(12) ينظر: لسان العرب، مادة(ضرس)، ج ٤٢٤/٩ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ج ٣٨/٩ .

(13) ديوان بشر بن أبي خازم ، ص: ١٥ .

(14) دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ص : ١٠٣-١٠٤ .

حَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَةً وَهَذَاكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ (١)

مِطَان:الذي لا يزال عَظِيمَ البَطْنِ من كَثْرَةِ الأَكْلِ (٢)، وكَلْمًا صارت بطنُه أَلَةً للأَكْلِ والشَّرْبِ لكنَّ الإمامَ(ع)عَبَّرَ مِنْ خِلالِ هذِهِ الصِّيغَةِ عَن زَهْدِهِ وَغِيَّةِ نَفْسِهِ ضَلًا عَن تَرْكِيزِ التَّوْبِيخِ لِلْمَخاطِبِ وَهَذَا المَعْنَى يَكشِفُ عَنهُ السِّيَاقُ (٨) .

وَيُطَوِّنُ غَرثِي:جائِعَةً(٩)،وَبِذَا يَنْطَوِي النَّصَّ عَلَي طَباقِ ضِمْنِي فِي المَفْرَدَتَيْنِ (مِطَانًا، غَرثِي) .

وَهناكَ رِوَايَةٌ أُخْرَى ذَكَرَها ابنُ ابي الحَديدِ فِي شَرْحِهِ لِلنَّصِّ، وَهِيَ: (أَبَيْتُ مِطَانًا، وَحَوْلِي بَطونَ غَرثِي..). فَيَكُونُ وَقْعُ الأَسْتِفْهَامِ الأَسْتِكْارِي أَشَدَّ فِي بَيانِ دِلالةِ النَّصِّ الَّتِي كَشَفَتْ عَن رَفْضِهِ لِمِثْلِ هذِهِ المِعادِلَةِ الَّتِي مَهَّدَ لِإِسْتِحالَةِ حَدوثِها بِالأَداءَةِ (هَيْهات) .

وَالبَيْتُ الَّذِي ضَمَّنَهُ الإِمَامُ: (حَسْبُكَ داء...)، مِنْ أَبْيَاتٍ مَنسُوبَةٍ إِلى حاتِمِ الطائِي (١)، وَقد وَرَدَتْ هذِهِ الأَبْيَاتُ فِي دِيوانِ الحِمامَةِ لِأَبِي تَمامٍ وَليسَ مَعها البَيْتُ المَذْكَورُ (٢)، وَهُوَ مُنْجَمٌ مَعَ القَصِيدَةِ مِنْ حَيْثُ الوِزْنُ (البحر الطويل)، وَالقَافِيَةُ، وَالْمَعْنَى، وَالَّذِي يُعزِّزُ ذلِكَ رِوَايَةُ ابنِ أَبِي الحَديدِ، وَان كَانَتْ بِرِوَايَةِ (كَفَى بِكَ عارا) (٣)، .

وَالقَوْلُ (وَحَوْلِكَ أَكْبَادٌ..، هَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ هُ الجِزْيِيَّةُ، حِينَ نُكِرَ الجِزْيُ (أَكْبَادٌ)، وَأَرادَ الكَلَّ، وَهُمُ النَّاسُ الفُقَراءُ .

وَمَقولَتُهُ هَذِهِ: (أَوْ أَبَيْتُ مِطَانًا وَحَوْلِي بَطونَ غَرثِي) تَضَمِينٌ لِقَوْلِ الأَعشى:

بِئْتُونَ فِي المَشْتَى مِلاءً بِطونِكُمْ وَجارِئُكُمْ وَغَثِي يَبْدُ تَنْ حَمائِصًا(٤)

وَلتوكِيدِ المَعْنَى نَفْسَهُ اسْتَحْضَرَ البَيْتَ الَّذِي يَقارِبُهُ فِي المَعْنَى تَفِيرًا ، فَيَعِدُّ لَوْنًا مِنْ ألوانِ التَّوكِيدِ لِمَا أَرادَ قَوْلَهُ ، وَلأَهْمِيَّةِ الأَمْرِ وَضُرورَتِهِ أَكْدَهُ (ع) بِمَعْنَى مُقارِبِ لَهُ تَجَلَّى فِي البَيْتِ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ تَفِيرًا عَنِ العارِ اللّازِمِ عَنِ الاسْتِمْتاعِ بِبَياتٍ مَعَ وَجودِ ذَوِي الحَاجَةِ إِلى يَسيرِ الطَّعامِ (٥) .

(٦) نَهجُ البِلاغَةِ، ك(٤٥)، ج٣/٨٠ .

(٧) شَرْحُ ابنِ ابي الحَديدِ، ج١٦/٢٢٥ .

(٨) خِصائِصُ الجُملةِ العَرَبِيَّةِ فِي نَهجِ البِلاغَةِ، ص: ٤٢ .

(٩) يَنْظُرُ: شَرْحُ ابنِ أَبِي الحَديدِ ، ج١٦/٢٢٥ .

(١) دِيوانُ حاتِمِ الطائِي، دارُ صانِرٍ ، بَيرُوتَ ، ١٩٨١م، ص: ٤٣ .

يَنْظُرُ: شَرْحُ ابنِ أَبِي الحَديدِ، ج١٦/٢٢٨ . يَنْظُرُ: شَرْحُ ابنِ مِثْمِ البِجْرانِي ، ج٢/٤٢٠ .

(٢) شَرْحُ حِمامَةِ أَبِي تَمامٍ ، أَبو زَكَرِيّا يَحْيَى التَّبْرِيزِي ت(٥٠٢) هـ ، تَحْقِيقُ غَرِيدِ الشَّيخِ، وَاحْمَدُ شَمْسِ الدِّينِ ، دارُ الكَتِّبِ

العِلْمِيَّةِ، بَيرُوتَ ، ٢٠٠٠م، ج٢/٩٨١-٩٨٢ .

(٣) الشَّاهِدُ الشَّعْرِي فِي نَهجِ البِلاغَةِ، بَحْثُ مَخْطُوطٍ، عَبدُ الواحِدِ خَلْفِ وَسائِكِ ، كَلِيَّةُ التَّربِيَّةِ ، مِيسانَ ، ص: ١٤ .

(٤) دِيوانُ الأَعشى، ص: ١٩٣ .

(٥) شَرْحُ ابنِ مِثْمِ البِجْرانِي، ج٢/٤٢٠ .

لقد ذكر (ع) هذا المعنى في مستويين ضمناً وتصريحاً، ليعود بعدهما متناً بدلاً على سبيل النفي أو الاستنكار: ((أَفَنَعِ مِنْ فَنِي بَأْنِ يُقَالُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ...))^(٦).

وكذلك نرى مثل هذا التضمين حين قال: (كحاملِ الثَّمَرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مَسَدَّهِ إِلَى النَّضَالِ)^(١). وفي قوله: (ع): (قَلْبَتَ لَابِنِ عَمَّكَ ظَهَرَ الْمَجْنِّ)^(٢)، وقوله: (كَمَا تَدِينُ نَدَانِ)^(٣).

(٦) نهج البلاغة، ك (٤٥)، ح ٨١/٣ .

(١) نهج البلاغة ، ك (٨) ، ج ٢٤/٣ .

وقع التضمين من قولِ الشاعر الجاهلي (خارجة بن ضرار المري):

فَأَنَّكَ وَاسْتَبْضَاعَكَ الشُّعْرَ نَحُونَا كَمَسْتَبْضِعِ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ رَا

ينظر: مجمع الأمثال ، ج ١٥٢/٢ .

ينظر: بهج الصباغة ، التستري ، ح ٨٩/٣ .

ينظر: شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج ٨٥٦/٢ .

وقول الشاعر: أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ قَلَمًا اشْتَدَّ سَاعَهُ رَمَانِي

مجمع الأمثال، ج ٢٠٠/٢ .

شرح ابن أبي الحديد ، ج ١٤٧ / ١٥٥ .

(٢) نهج البلاغة، ك (٤١) ، ج ٧٢/ ٣ .

وهو من قول الشاعر (معن ابن اوس): قَلْبَتَ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِّ فَالَّ مَمَّ أَدُمَ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَدْحَوْلَ .

ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي ، ج ٦٩٦/٢ .

(٣) نهج البلاغة، ح (١٤٩) ، ج ٥٦/٢ .

وهو تضمين لقول الشاعر (الفند الزماني): مَمَّ يَبْقَى الْعِدْوَا نِ نِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي، ج ٢٥/١ .

ينظر: المستقصى في أمثال العرب ، الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ، دار النشر، ط ٢، بيروت، ١٩٨٢م ، ج ١٩٨/٢ .

ن . الشاعري في . يراد . بالشراب . عليه . وي .

وهو قائم على المضامين المعنوية - المشهورة - (١) للشعر، والإفادة منها بعد صياقتها صياغةً جديدة، على وفق سياق القول ومبناه .

والإمام (ع) حين يتناول الشعر، إنما يتعامل معه بشيء من التغيير، بزيادة أو نقصان، ثم يصوغه صياغةً جديدةً، فيجعله منسجماً العطاء الدلالي الذي أراده في السياق .
قال (ع): ((ربّ قول أنفذ من صول)) (٢)، والذي قد يكون من قول العرب: ((والقول ينفذ ما لا تنفذ الأبر)) (٣)، ربّ تدل على الثقل، أي ربّ كلامٍ وثر في نفوذ السطوة (٤) وهو مثلٌ ي ضرب للرفق واللين الذي يبلغ ما لا يبلغ بالعنف (٥) .

وقال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً لي يرى مانصرك الله به على أعدائك ، فقال (ع): ((أهوى أخيك معنا ؟ فقال: نعم ، قال: ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء سيرع بهم الزمان ، وقوى بهم الإيمان)) (٦) .

يرعف بهم الزمان: ونهم ويد خرجهم، كما يرعف الإنسان بالدم الذي يخرج من انفه قال الشاعر:
وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضيباً (٧) .

(١) يشترط بعضهم أن يكون التضمين أصلاً للأقوال المشهورة .

ينظر: البلاغة والأسلوبية ، ص: ١٥٠ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٣٩٤)، ج ٢٤٨/٣ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ، ج ٣١٠/١٩ .

(٤) ينظر: توضيح نهج البلاغة، ج ٤٥٢/٤ .

(٥) ينظر: تفسير ابن ميثم البحراني، ج ٦٦٩/١ .

(٦) نهج البلاغة، خ(١٢)، ج ٣٩/١ - ٤٠ .

إنَّ تجسيم الزمان وإدخاله عالم المحسوسات يدخل في صميم الصورة الاستعارية (المكنية) إذ أطَّلَ علينا الزمان بهيئة آدمية، دلَّ عليها الفعل المضارع "يرَعَف" وهي خصيصة من خصائص المستعار منه المحذوف والفعل (يرَعَف) له دالتان، الأولى التَّدْفِقُ والِدال على الكثرة والثانية هي الاستمرارية، والوصلة إلى عدم الانقطاع، وكنهاه ما توصل إلى كثرة عطاء الوان لِمِثْلِ هؤُلاءِ، وعدم خلو الأرض منهم .
ومن ذلك أيضاً قوله (ع) في إحدى خطبه: ((ألا وفي غدٍ - وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عملاًها على مساوئ أعمالها))^(٨)، ولربما يعود بنا إلى قول الشاعر :

سَبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْإِخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدِ^(٩)

وهكذا فعل في تضمينات أخرى من هذا النوع، لمعانِ ذاعت واشتهرت بمرجعياتها بين الناس، وجاءت متساوية معه تجرته حين عكسه على حاله، ومعاناته، مثل تضمينه لقول الشاعر:
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَعِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْتَعُ^(١)
في قوله (ع) ((واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ مما تحب مخافة مكره سمّت بلئلاً هواءٌ إلى كثيرٍ من الضّرر))^(٢).

وكذلك في تضمينه قول الشاعر: فللموت ما تُدِّ الوالدة^(٣)

في قوله (ع): ((يا لِموتٍ، وأجمعوا للخراب))^(٤) .

وفي تضمينه قولاً بيده: ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل^(٥)

في قوله (ع): ((وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية))^(٦)

(7) ولم ينسبه شراح النهج إلى شاعر بعينه.

ينظر مثلاً: شرح نهج البلاغة، ج ١/٢٠٩ . ومنهاج البراعة، الخوئي، ج ٣/١٨٢ .

(8) نهج البلاغة ، خ (١٣٤)، ج ٢/٢٩ - ٣٠ .

(9) ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق د. سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، ط ٢، بيروت ، ١٩٩٧م، ص : ١٢٠ .

(1) ينظر: ديوان الهذيليين ، ج ١/٣ .

(2) نهج البلاغة ، ك (٥٦) ، ج ٣/١٢٥ .

(3) الحماسة ، ج ٤/٩٩ .

(4) نهج البلاغة ، ق (١٣٢)، ج ٣/١٨٣ .

(5) ديوان لبيد، الشيخ الطوسي، تحقيق د.حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦م، ص : ١٤٥ .

(6) نهج البلاغة، ق (٣٨٧)، ج ٣/٢٤٧ .

المبحث الثاني: دلالة العرب في

للمثل قدرة في العطاء الدلالي الكبير ، بأقل عدد ممكن من المفردات إذ " ليس في كلام العرب أوجز منها ، ولا أشد اختصاراً " (١) ، وتكاد تجمع التعريفات الاصطلاحية للمثل على أنه " صورة حيتمثالة لمشهد واقعي ، أو متخيل ، مرسومة بكلمات معبرة مجزة يوتى بها غالباً لتقريب لمي ضرب له من الاستعارة ، أو الكناية ، أو التشبيه " (٢) .

والرسم بالكلمات - بيان يلى - ، والإيجاز ، والاستعارة ، والكناية ، والتشبيه ، المستفرغة في الأمثال ، مع مالها من " الشيوخ والانتشار وكثرة الدوران على الألسن " (٣) جعل منها طاقة دلالية فاعلة ، ليس في النصوص الأدبية فقط ، بل تعداها إلى كتاب الله (٤) ، وحديث رسوله المصطفى (ص وآله) (٥) .

لا غرابة إذن من وروده في النص النهجي ، لا سيما وأنه كان جزءاً من ثقافة العصر الذي عاش فيه الإمام (ع) ، وقد أخذ مساحة واسعة من لغة العرب ، وأدابهم .

(١) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج ١/٧٥ .

(٢) هذا ما استخلصه الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (الصورة الفنية في المثل القرآني) بعد استعراضه للمعاني الاصطلاحية للمثل .

ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص : ٥٠ - ٦٠ .

(٣) وهذا هو الفارق بين المثل والحكمة " فالقول الصادر عن تجربة سمي حكمة إذا لم يتداول مثلاً وإذا كثر استعماله وشاع أدهو في المناسبات المختلفة " .

جمهرة أمثال العرب ، ج ١/٥ .

(٤) أورد الدكتور محمد حسين الصغير ، والشيخ السبحاني ، في كتابيهما المؤلفات التي تناولت المثل القرآني .

ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص : ٤٠٣ - ٤٠٩ .

وينظر: مفاهيم القرآن ، (دراسة الأمثال والأقسام في القرآن الكريم) ، مطبعة اعتماد ، قم ، إيران ، ١٤٢٥ هـ ، ج ٩/٢٦ - ٢٧ .

(٥) ينظر: المصدر السابق ، ج ٩/٦٥ - ٧٠ .

ما من شك أن كل إنسان يتأثر بما حوله من ظروف، وثقافات وآداب تستدعي ظلالها في التركيب اللغوي والنفسي بصورة أو بأخرى والاستحضر للمثل في كلام الإمام (ع)، وكتب ضرورة فرضاها ذلك التأثر، من طبيعة الحياة آنذاك، حين امتدّت ثقافة الإمام (ع) فشملت الشعر والمثل العربي .

ولم تقتصر على القرآن والسنة النبوية الشريفة ، وان كانت مساحتها أكبر كما يتبين في باب الاقتباس اذا ما قورن بمساحة التضمين في هذا الفصل، وما يتبعه من فصول أخرى

وإثراء النص النهجي بالمثل عبر آلية التضمين وطد العلاقة التناصية مع الموروث الأدبي، فالشاعر، أو الناثر حين يقوم بذلك " إنما قد يساعد في إبقاء ذلك المأثور حيًّا، أو أعاد له الحياة في صورة معاصرة، وهو نوع من الحفاظ على القادة والتكبير بها "(6).

وفي مقابل ذلك - حين زخرت نصوص النهج بالتضمين المثلي - جعلها تتفتح على أجواء فسيحة من الصور، والمعاني، وتستمد أكبر قدر من الطاقة الدلالية والإيحائية، والبنية العميقة للمثل، إذ لم يكن تضمينها لدواعٍ تجميلية تزيّن بقدر ما هي إنماءٌ دلالي للنص .

ويبقى - ربما - سبب تفضيل بعضها دون بعض ارتكازها على شيوعها وانتشارها بين الناس من جهة، وما تحمله من دلالاتٍ دون سواها من جهة أخرى .

لقد تنوّعت طرائق التضمين للمثل العربي في النص النهجي فمنها ما كان ضمينا مباشراً لها، ومنها ما كان غير ذلك .

(6) التناص مع الشعر العربي، عبد الواحد لؤلؤة، ص: ٢٨ .

التلوين المباشر للم - ثل .

من ذلك قوله (ع) موبخا بعض أصحابه: "أشهودي ياب، وعبيد كأرياب؟؟، أتلو عليكم الحكم فتتفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة تتفرقون عنها، وأحنتكم على جهاد أهل البغي فما أتني على آخر لأول حتى أراكم مذرفين أيادي سبأ، ترجعون إلى جبال سكم، وتتخادعون عن مواعظكم" (١).

وأأيادي سبأ " مذرف ضرب في شدة التفرق، وضربه (ع) تفوقهم عن مجالس الذكر" (٢)، وسبأ بيلة من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وجاء الثل من قصة هؤلاء حين قدرقوا بعد انفتاح سد مأرب وسقوطه فتقوا في البلاد، وصار ي ضرب فيمن قدرق بعد اجتماع (٣).

وقوله (ع): (... حتى أراكم متفرفين أيادي سبأ) أي: كأأيادي سبأ وهو تشبيه بليغ محذوف الأداة، يحمل بين طياته استعارة ذات خصوصية مندولة عند العرب قبل الإسلام، والأأيادي استعارة تصريحية للقوة بجامع القدرة (٤)، وهو لقي. يضرب للمتفرفين، واصله قوله تعالى عن أهل سبأ: " وموقاهم كل ممزق " (٥)، وهو تأكيد لقوله (ع): ((مذرفين)) (٦)

(١) نهج البلاغة، خ(٩٣)، ج١/١٨٨ .

(٢) شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٤٧٧ .

(٣) المكان نفسه . وينظر: مجمع الأمثال، ج١/٢٧٥ .

وقال البعض أن (سبأ) أسم مدينة بلقيس باليمن .

ينظر: النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، المكتبة العلمية،

بيروت، ١٩٧٩م، ج٢/٣٢٩ .

(٤) اقتصر تعريف المثل عند الأستاذ منير القاضي على كونه استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب .

ينظر: المثل في القرآن الكريم، منير القاضي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٧، الأعداد (٣٠ - ٣٥)، ١٩٦٠م، ص: ٤ .

وقد سبقه الجاحظ بذلك حين سمي الاستعارة مثلا في تعليقه على بيت الأشهب ابن رميله .

لقد تعزز المعنى المراد باستحضار المثل التصويري، وتموضعه في بنية النص، بصورته التي اقترنت بدلالة تعارف الناس عليها من خلال معرفة قصته المرتبطة به^(١).

الصورة هنا تفصح عن وجودها بمجرد سماع المثل، حيث أفضى إلى دلالة مقصودة، اقترنت بالإشارة إلى رمز استعاري لِمَا ضَى من الزمان فهو أداء رمزي كان معوّداً للوصول إلى الغاية الدلالية المنشودة .
إنّ المعنى المختزن في ذهن المُلقّي هو العلامة البارزة في ساحة الخزين المعرفي التي انكأ النص عليها في عملية التضمين لهذا الثقل دون سواه، فسَهّل الإفصاح عن الدلالة الكامنة في النص والتي أحضرها التضمين إلى ساحة الإفهام.

إنّ الإمام(ع) إذن لم يستسخ المثل استنساخاً منفصلاً عن سياقه في النص بقدرما كان ذا مقربياتٍ استطاع إدخالها، واستنزالها فيه وما من شك أنّ له القدرة على تشكيل اللغة المناسبة للحال والمقال .
ومن ذلك أيضاً قوله(ع): ((.. والله لقد رفعت مدرعتي هذه حتى استحبيبت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تبدّها عنك؟ فقلت: أعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى))^(٢).
(عند الصباح يحمد القوم السرى) شكُّ ضب لِمَ احتمل الشقة ليصل إلى الراحة، فأصله أنّ القوم يسرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا^(٣).
قال التستري في شرحه: ((مثلٌ تعبٍ أخرجاً طويلاً))^(٤)، وقال أنه لا يعلم أصله^(٥).

ينظر: البيان والتبيين، ج ٤/ ٥٥.

ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، ج ١/ ٣١٣ .

ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص : ٥٧ .

^(٥) ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ، ج ١/ ٧١٢ .

ينظر: شرح نهج البلاغة ، ج ٢/ ١٤٢ .

^(٦) ينظر: منهاج البراعة ، الراوندي ، ج ١/ ٤٣١ .

^(١) ولولا هذه القصص التي رافقت الأمثال لما فيها كثير من معانيها، لأنّ للمثل مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة نفهم م .

ينظر: المثل السائر، ج ١/ ٦٣ .

^(٢) نهج البلاغة، خ (١٥٥)، ج ٢/ ٧٦ .

^(٣) ينظر: جهمرة خطب العرب ، ج ١/ ١٣٨ . وشرح ابن ميثم البحراني ، ج ١/ ٦٥١ . منهاج البراعة ، الخوئي ، ج ٩/ ٣٩١ .

^(٤) بهج الصباغة ، التستري، ج ٦/ ٣٨٣ .

^(٥) المكان نفسه .

استفرغ الإمام (ع) ما في المثل من دلالة، وفي الوقت عينه كساه معنىً جديداً حين ضمّنه كلامه، وأدخله في سياقٍ أشار فيه إلى من سخر دنياه لأخوته .

لقد انتقل بالمثل من دلالاته المادية إلى دلالاته المعنوية، واستوقفه عند المعنى الذي أراده هو (ع)، وبذلك استطاع أن يعكس معنى المثل على واقعِهِ هو (ع)، حيث الزهد، والوع، والالتقوى، ونبذ الدنيا وزخرفتها، وهذا مما يُوصل إلى النجاة، والسلامة، فلم يخل النص من صورةً بيانيّةً، وإن لم تكن واضحة المعالم لعموم المتلقين .
وفيه نجد استخداماً آخر للتناص من خلال التضمين الذي جاء به (ع)، فجربته الشخصية في محاولة السعي الحثيث للوصول إلى المُستقر (الأخروي)، بعد السفر (الدنيوي) جاءت منسجمةً، ومُتوافقةً مع تجربة قائل هذا المثل، وكما لا يخفى فإنّ المثل أدّى ما أراد (ع) من التعبير عن الفكرة الصالحة للتمثيل والتي وُحّدت بين النصّ والسياق، الذين قد يكمل أحدهما الآخر "

وفي كتاب له بعثه جواباً إلى معاوية قال : ((وما لللطُّ لقاءً وأبناءً لَطُّ لقاءً والتميّز بين المهاجرين الأولين ، ورتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات ! لقد حنَّ قدحٌ ليس منها وطْفِقَ يحكّم فيها من عليه الحكماء))^(١).

قوله (ع): (وما لللقاء)... استفهام على سبيل الاستحقار والإنكار على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور الكبار^(٢)، وقوله: (هيهات) تعزّز هذا الاستحقار حين تدل على استبعاد أهلية معاوية لمثل هذا الحكم^(٣).
والقول - وهو محل الشاهد - (لقد حنَّ قدحٌ ليس منها) مثلك ضب ل من يدخل نفسه بين قومٍ ليس له أن يدخل بينهم، وأصله القداح من عودٍ واحدٍ جعل من غير ذلك الخشب، فيصنّ بينهما إذا أرادها المفيض، فذلك

ونسبه صاحب (جمهرة الأمثال) إلى (الجميح) ، ونسبه صاحب طبقات الشعراء إلى غير واحدٍ من الرّجّاز .
ينظر: جمهرة الأمثال ، ج ٢/٤٢ .

ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ت (٢٣١) هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، (د.ت.)، ج ١/٥٩ .

وكذلك جعله صاحبُ المستقصى في أمثال العرب من الرجز :

أني إذا الجبس على الكور انثنى
لو سئل الماء فداء لافتدى
وقال كم أتعبت فُلْتُ قد أرى
عند الصّباح يجمد القوم السرى

المستقصى في أمثال العرب، ج ٢/١٦٨ .

(١) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤ . وينظر: لسان العرب، ج ١٣/١٣٠ . وينظر: تاج العروس، ج ٩/١٨٧ .

(٢) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/٣٥٠ .

(٣) ينظر: المكان نفسه .

الصوتُ هو نَجْدُهُ^(٤)، وهو صوتٌ ناشئٌ عن حركةٍ ذلك العود (القداج) خالِفَ أصواتَ الأعواد الأخرى في عَرَفَ به أنه ليس من جملتها، فَضْرِبَ مَثَلًا من يمدح قومًا ويطريهم ويفتخر بهم مع أنه ليس منهم^(٥). وفي هذا التضمين - كما في غيره - أسرارٌ تعبيريةٌ بديعيةٌ ساعدت في فهم المراد من كلامه (ع)، فالمثل هنا ليس زُخْرًا يُوْتَى به دُونَما قَصْدِيَّةٌ دلاليةٌ، بل هناك ضرورةٌ تستدعيه، للاسهام في استكمال دلالة النص، وإيصاله أو تقريبه من ذهن المُتلقِي،

وله (ع) ضعة أمثالٍ أخرى ضَمَّنَهَا بصورٍ باشرةٍ في مواضعٍ متفرقةٍ من نصوص النهج^(١).

ضمين ثلغيا: ير المباشر له . ث . ل .

ذبوع الأمثال وانتشارها بين الناس بصيغةٍ مخصوصةٍ عائدًا دون جواز التغيير في بنيتها التركيبية، هذا ما اشترطه جملةٌ من الأعلام^(٢)، وعُدَّ ذلك من أبرز مميّزات الثلغ عندهم^(٣)، غير أن فسحة القول بجواز التصريح بما تعنيه^(٤) تسمح بنوع من التغيير وعملية التغيير هذه تستند إلى أمرين هما؛ التغيير اليسير لا يعيق من إرجاع تلك الأمثال إلى وجعياتها أولًا، والتعامل مع الأمثال الشائعة، والتي تكفي بعض ألفاظها للدلالة عليها، مثل قوله في وصية الإمام لابنه الحسن (عليهما السلام): ((... والصاحبُ مناسبٌ، والصديقُ من صدق بغيره وألهم شريك العناء، ربُّ قريبٍ أبعد من بعيدٍ، وربُّ بعيدٍ أقرب من قريبٍ، والغريبُ من لم يكن له

(٤) شرح ابن أبي الحديد، ج ١٥/١٤٩.

(٥) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/٣٥٠. لأن معاوية في كتاب الإمام (ع) - كما يفهم من جواب الإمام (ع) - ذكر اصطفاً الله محمدًا (ص وآله) لدينه، وتأبيده إياه بمن أيده من أصحابه، لذلك ردَّ الإمام (ع) عليه بهذا القول بصيغة الاستغراب والسخرية. ينظر: نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤.

ويُضْرَبُ لِمَنْ يَفْتَخِرُ بِقَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ. ينظر: منهاج البراعة، الراوندي، ج ٣/٧٢.

(١) ينظر مثلاً: قوله (ع): "قَدِّمِ لَوْثَبَةَ يَدًا وَأَخِّرِ لِلنَّكُوصِ قَدَمًا". نهج البلاغة، (٦٣) ج ١/١١١.

وقوله (ع): "كَمَا تَدِينُ تَدَانُ". نهج البلاغة، خ (١٤٩) ج ٢/٥٦.

وقوله (ع): ((أَخِرِ الدَّاءِ الْكَبِيرَ)). نهج البلاغة، خ (١٦٢) ج ٢/٩٨.

وقوله (ع): ((قَدِّمْنَا بِغَيْبِ بَعِيدٍ)). نهج البلاغة، خ (١٨٧) ج ٢/١٦٣.

(٢) ينظر مثلاً: السيوطي في كتابه المزهر، والرازي في كتابه "نهاية الإجاز"، ص: ٨١.

والسكاكي، في كتابه "مفتاح العلوم"، ص: ١٨٧.

و.د. محمد حسين علي الصغير، في كتابه، "الصورة الفنية في المثل القرآني"، ص: ٥٢.

(٣) عند توحيد التعريف الاصطلاحي عدَّ "عدم التغيير في لفظه الموضوع له" واحدًا من شروطه الثلاثة، وهي: (وجود علاقة

المشابهة)، و(السيرورة والتداول بين الناس)، و(عدم التغيير في لفظه الموضوع).

ينظر: المصدر السابق، ص: ٦٠.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص: ١٨٧.

حبيب))^(٥) نبه على أن ربه البعداء هو اقرب، وانفع من النسب، وفي الأقرباء من هو أبعد من البعيد وهو مشهور^(٦)، وهذا المعنى يعود بنا إلى المثل العربي المعروف ((رب أخ لك لم تتده أمك))^(٧) .

وقال مضمناً المثل العربي ((الدهر ضربان، ضرب بلاء، وضرب رخاء))^(٨) وفي كتاب له بعثه إلى عبد الله بن عباس (رض الله عنه): ((... واعلم بأن الدهر يومان، يوم لك، ويوم عليك، وإن الدنيا دار نول))^(٩) وقد جرى هذا التغيير في المثل ينسجم مع الحالة الشعرية للإمام (ع)، الظاهرة في الودّ والحب لعامله، وابن عمّه، في خطاب مباشر معه (لك) و (عليك) .

وقال في موضعين من مواضع النهج في خطبه مؤبّخاً فيها أهل الكوفة على مماطلتهم بالنفار إلى الحرب^(١٠): ((... ومع أي إمام بعدي قتات لون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكُم فقد فاز والله بالسهم الاخيبي، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل))^(١١) .

وفي أخرى قال مؤبّخاً أصحابه لتقاعسهم عن النهوض إلى حرب أهل الشام^(١٢): ((..أكلما أطلّ عليكم منسّر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه، وأنحجر انحجار الضبّة في جحرها، والظدع في وجرها؟ الّذليل والله من نصرتموه! ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل ...))^(١٣) .

في كليهما ضمّن مثلاً عويّلاً قديماً: ((رجح بأفوق ناصل))^(١٤)، وهو هذا الضرب لمن استجد بمن لا ينجده^(١٥)، ولمن رجع عن مقصده بالخبيّة أو بما لا غناء عنده^(١٦) .

والسهم الأفوق: الكسور فوق ، وهو مدخل الوتر، والناصل: الذي لا نصل له^(١٧)، قال الميداني: الناصل: السهم بقط نصله، والافق الّذي انكسر فوقه^(١٨)، وشبّههم بالسهم المكسورة فوق، المنزوعة النصل، لعدم الانتفاع بهم في الحرب، كما لا ينتفع بالسهم الموصوف^(١٩)، وكئى بإغلاق كل منهم بابه - عند سماعهم بقدم طلائع

(٥) نهج البلاغة ك (٣١)، ج ٢٢/٣

(٦) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٣٩٢/٢ .

(٧) جمهرة الأمثال ، ج ٤٧٢/١، ٤٢٥ .

(٨) ما ورد في وصية الحرث بن كعب لبنيه جمهرة خطب العرب، ج ١٢٢/١ .

(٩) نهج البلاغة ك (٧٢) . ج ٣/ . وقاله بصيغة أخرى: (واليوم يومان: يوم لك، ويوم غيك). نهج البلاغة ، ق (٣٩٦)، ج ٢٤٩/٣

(١٠) شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢٥٢/١ .

(١١) نهج البلاغة، خ (٢٩) ، ج ٧٠/١ .

(١٢) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٣٤٠/١ .

(١٣) نهج البلاغة ، خ (٦٦)، ج ١١٣-١١٤ .

(١٤) مجمع الأمثال ، ج ٢٩٥/١ .

(١٥) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ٨٢/٦ .

(١٦) ينظر: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، محمد الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١٤٠٧، هـ ، ص: ١٧٩

(١٧) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ٩٠/٢ .

(١٨) ينظر: مجمع الأمثال ، ج ٢٩٥/١ .

(١٩) ينظر: منهاج البراعة، الخوئي ، ج ١٢٣/٥ .

جيش الشام بعد استفهام دالّ على التّوبيخ - بقوله: فَيَنْحَجِرُونَ: أي يَسْتَرُونَ في بيوتِهِمْ جَبناً، كما يَتَسْتَرُ الضَّبَّةُ في حِجْرِهَا، وَالضَّبْعُ في وِجَارِهِ" (١١) ، هَادِوَقَعَ الشَّيْبَةُ عَلَى الضَّبَّةِ مُبَالِغَةً فِي وَصْفِهِم بِالْجَبَنِ وَالْفِرَارِ" (١٢).

وللامعان في التّوبيخ والذم جاء بمفردة (الفوز) - مع أن لا فوز بهم - على سبيل المجاز " من باب إطلاق اسم احد الضدّين على الآخر " (١٣) ويحمل بين ظنّيهِ استهزاءً يعود بنا إلى قولهِ تعالى: (فَيُؤْتُهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَسْمَاءً مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ) (١) ، وكذلك باسم تجلاب صيغة التّفصيل بالذمّ (الاخيب) ، أي أشدّ خيبة ، وهو الحرمان (٢)

وهذا القول فيه حشد لفنون بلاغية عديدة، إذ جمع النّصّان فنوناً من البلاغة ، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والحصر، والتوكيد.

أما التّشبيه فقد وقع في تشبيههم بانحجار الضبّة والضبع وهما ما تشبيهان بلاغيان، والاستعارة في قوله (ع): (من رمى بكم) وهي استعارة لبعثه لهم إلى الحرب للدلالة على عدم انبعاثهم عن أمره (٣)، فهم كالسهم الذي لا فوق له ولا نصل فأثمه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة (٤) ، لقد وصفهم بأردأ أوصاف السهم الذي يبطل معها فائده لمشابهتهم له في عدم الانتفاع بهم في الحرب (٥)، والكناية حين كئى بإغلاق كل منهم بابه دلالة على جبنهم، وكراهية سماعهم للحرب (٦).

والحصر في قوله (ع): (من فاز بكم فقد فاز . . .) (ومن رمى بكم فقد رمى . . .) للدلالة على حصر الدلّ لكل منتصر بهم فيمن نصره (٧).

وجاء المثل ليُفصح عن بأس الإمام من هؤلاء، وصيغة التّفصيل (افعل) في (أخيب)، جاء بموازات الحالة النفسية، لما للمفردة من دلالة نفسية ظاهرة، وما صاحبها من توكيد بالقسم (والله)، والذي جاء كجملة اعتراضية أحسّ الإمام بضرورتها وتجلّى في التوكيد في القسم (المغرور والله) وفي الأداة (قد) في قوله (قد رمى) والاشتراك في الموضوع صاحبه تشابه في البناء في كلتا الخطبتين، حيث الاستفهام يصاحبه قسم ويتبعهما توكيد بالأداة (قد) ثم يأتي تضمين غير مباشر للمثل العربي .

وفي كليهما بيان لحاله (ع) مع هؤلاء الذين أبان عن صفاتهم وساعد المثل في عكس خيبة الإمام، وبأسه منهم، ليُبين عن عاطفة متوجّعة كان يحملها في صدره فمدّت النصّ بنبض الحياة .

(١١) الوجار هو بيت الضبع . ينظر، شرح ابن أبي الحديد، ج ٨٢/٦ .

(١٢) المكان نفسه .

(١٣) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢٥٢ / ١ .

(١) آل عمران/٢١ ، التوبة/٣٤ ، الانشقاق/٢٤ .

(٢) ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي، ج ١٦/٤ . وشرح نهج البلاغة ، ج ١/٢٤٢ .

(٣) ينظر : شرح ابن ميثم البحراني ، ج ١ / ٢٥٢ .

(٤) المكان نفسه .

(٥) المكان نفسه .

(٦) المصدر السابق ، ج ٣٤١/١ .

(٧) المكان نفسه .

ولهذا النوع من التضمين مساحةٌ أوسع من سابقه في النصوص النهجية^(٨).

(٨) ينظر مثلاً قوله (ع): ((لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ)) .

نهج البلاغة، خ (٣٤) ، ج ١/٨١ .

وقوله (ع) : ((مَا سَمَّرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا)) .

نهج البلاغة ، خ (٢٢) ، ج ٢/١٠ .

وقوله (ع) : ((الِهِمُّ نِصْفُ الِهْرَمِ)) .

نهج البلاغة ، خ (١٤٣) ، ج ٣/٨٥ .

وقوله (ع) : ((لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلُوءٌ أَوْ مُرٌّ)) .

نهج البلاغة، خ (١٥١) ، ج ٣/١٩ .

وقوله (ع) : ((فَرِيًّا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَهَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ)) .

نهج البلاغة ، ك (٣١) ، ج ٣/٦٢ .

الفصلُ الثاني وظيفة التّضمين

المبحثُ الأولُ: الوظيفةُ الدّليّةُ. المبحثُ الثاني: الوظيفةُ الفنيّةُ.

مدخل.

الموروثُ الأدبي العربي - من شعرٍ ومثَل - بمثابة رَحمٍ دلالي زاخرٍ وفدِ النصوصِ بولاداتٍ دلالية تتفجرُ عناصره، وتتوزعُ فيه بوصفها رصيِّداً معوّياً كامناً .

سيُدر هذا الفصل حول محورين يَصِلان إلى التّعريفِ على توظيفِ التضمينِ في المُستويين الدلالي، والفني، فالنص - بما يحتويه من بني صغيرة - هو لفظٌ ومعنى، أداةٌ وفكرةٌ، شكْلٌ ومضمونٌ ومن ثمّ قد يُوْدي وظيفةٌ تتبع من معانيه، وأفكاره، ومضامينه لتصبّ في فضاءاتٍ دلاليةٍ رحبةٍ متنوّعةٍ أو قد يُوْدي وظيفةً فنيّةً تتولد من ألفاظه وأدواته وشكله .

من الصدعوبة بمكان الفصل بين هذين النوعين من التوظيف، وإدراجهما تحت عناوينٍ مستقلة بهما وهذا لا يعني استقلالها في هذه الوظيفة أو تلك دونما علاقةٍ أو سببٍ يربطها ببعضها لتُوصَلَ في نهاية الأمر إلى عطاءاتٍ دلاليةٍ فنيةٍ موحدة، تحمل في طياتها طاقةً دلاليةً بأبهى صورة^(١).

هذا ما نجده في النص النهجي “ فالنصّ في النهج ليس قطعة بلاغية ذات جمالٍ مجرد، بل هو وظيفة متقنة، أنه ثمرة للزواج الطبيعي بين البلاغة والأفكار والذي تترتب عليه إجاباتٍ أفكارٍ لغويةٍ جديدةٍ واستخداماتٍ لغويةٍ وبيانيةٍ جديدة ”^(٢).

لولا معرفة الإمام بالقيمة الوظيفية للأشعار والأمثال ما استخدمها في كلامه وكتبه ومواعظه ، والذي زاد في نجاح توظيفها مقدرته الفذّة في نسجها بسياقٍ كلامه ، والوصول إلى غاية عطاءاتها الدلالية والفنية .

المبحث الثالث ، التلاو وظيف ، الد ، لاي .

قد تتعدّد سيميّات الوظائف الدلالية للشعر، والمثّل في النص النهجي، وتتشعب، غير أنّها تتوحد مع مشتركاتٍ تسعى إلى اختزال تلك التشعبات، وحين سعى الإمام إلى مثل هذا التوظيف إنما أراد ألا فادة مما ينضمّنه الشعر، والمثّل من طاقه تعبيريه، وقدرة إيحائية مرتبطة بوجودان المتلقي، ووعيه، مما يستدعي إثارة، وتفعيلاً للدلالات المختزلة، ومن ابرز أنواع هذا التوظيف:

دلالة الإيلاج - يان والت - وضح .

للتوظيف البياني وجهان، تمثّلاً في إبراز المعاني، والانتقال بها من مستوى إلى آخر، أكثر منه وضوحاً للمتلقي، وهو ما يتعلق بالمحتوى الدلالي، وفي إبراز المعاني من خلال فئتي التشخيص

(١) باعتبار ((إن للتضمين الفني وظيفة هي في الغالب لتطوير المعنى، أو الحدث))

دير الملاك، ص: ٢٢٨.

أو باعتباره حاملاً لوظائف عدة.

ينظر: النص والتناس، ص: ١٧٥-٢٠٨.

(٢) سلطة الحق، ص: ٢٨٦.

والتجسيد - كما سيُتضح (١) - والمار عبر التوظيف الاستعاري، وهو ما يتعلّق بالتوظيف الفني، ولكلّ منهما موضعه الخاص .

وذمة تداخل آخر في سُمى هذا النوع من التوظيف ، والذي يتوضّح في (الإيحاء) الدال دون التصريح به، وبدلالاته الإيحائية هذه يوصل المتلقي إلى ساحة الفهم والبيان والتوضيح، وخصوصا فيما يتعلق بالمثّل، فهو " يوحى دون أن يصرح " (٢) .

لقد أبان الإمام عمّا يجيش في صدره حين وجدّ قدرةً فائقةً للتعبير عن واقعه المرير، وتجربته المؤلمة التي وافقت شطراً من الشعر ضمّنه في جوابٍ لمن سأله: كيف دفعكم ق ومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال (ع): ((... فإنها كانت اثره شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم الله ، والمعود إليه يوم القيامة ، ودع عنك نهباً صيحاً في حجراته وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه ، ولا غرو والله فيا له خطباً يستقرّ غ العجب ، ويكثر الأود...)) (٣).

ضمّن الإمام خطبته شطراً من بيتٍ لامرئ القيس^(١)، أراد به بيان ما هو عليه من زاويةٍ بين ، الأولي: دع عنك مامضى من أمر الخلافة ، وهلمّ إلى مانحن فيه من أمر معاوية^(٢)، فجعل هلام الخطب في ابن أبي سفيان) مدمماً ، وديلاً عن عجز البيت ((ولكن حديثاً ما حديث الرواجل)) (٣).

(١) ينظر: الباب الثاني، الفصل الثاني، ص: ١٨٩-١٩١.

(٢) الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د.عشتار داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص: ٣٨.

(٣) نهج البلاغة، خ(١٥٧)، ج٢/٧٩-٨٠. (١)

والبيت هو: **ودع عنك نهباً صيحاً في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواجل.**

ديوان امرئ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص: ٣١٢.

وذكر ابن أبي الحديد البيت كاملاً، واستطرد قائلاً: ((وأما البيت فهو لامرئ القيس بن حجر الكندي، ورؤي أنّ أمير المؤمنين لم يستشهد إلا بصدده فقط)).

شرح ابن أبي الحديد، ج٩/١٩٦.

وهكذا نسبه اغلب شراح النهج.

ينظر مثلاً: منهاج البراعة، ج٢/١٣٤. منهاج البراعة، الخوئي، ج١٠/١٦١.

وينظر: أعلام نهج البلاغة، ج١/١٥٤.

وبرى الراوندي في تفسيره أيضاً ان البيت لامرئ القيس، ولغيره .

ينظر: منهاج البراعة، ج٢/١٣٤.

وروى الشيرازي تنمة أخرى للبيت هي: ((وهات حديثاً ما حديث الرواجل)).

ينظر: توضيح نهج البلاغة، ج٢/٤٤٨.

والثانية أراد أنه أصبح في حال هي اشد، وأمر مما كان فيه، والدال على ذلك قرائن عديدة، منها تشبيه الأمر بالخطب، وهو الحادث الجلل^(٤)، وعنى به الأحوال التي أتت إلى أن صار معاوية منازعاً في الرئاسة، قائماً عند كثير من الناس، صالحاً لأن يقع في مقابلته، وان يكون نداً له^(٥).

وللتوكيد على فداحة ذلك الخطب قال (فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه) و(لاغر رو والله): أي ولا عجب والله^(٦)، لذلك هو خطب يستفرغ العجب ويكثر الأود: أي العوج^(٧)، وهو تعبير استعاري دال .

إن المعنى المكتنز في شطر البيت بفعل ما يحمله بين طيأته من قصة أصبحت مثلاً فيما بعد وهي قصة الشاعر -امرئ القيس- حين نزل على خالد بن سدوس بن إصبع الهمداني فأغارت بنو جديلة عليه فذهبوا بلذبه فلما أتى لمرأ القيس الخبر نكر ذلك لجاره فقال له: اعطني رواحك الحق عليها القوم فأرد عليك ليلاً فذهب في إثرهم حتى أدركهم ثم فقال: يا بني جديلة، أغرتم على ليل جاري! فقالوا ما هو لك بجار، قال لي والله وهذه رواحله، قالوا: كذلك! قال: نعم فرجعوا إليه فأنزلوه عنهن، وذهبوا بهن وبالإبل. ل، تحوّل بعدها امرؤ القيس، ونزل على جارية بن مرة بن حنبل أخي بني ذعل، فأجاره وكرمه، فقال يمدحه بأبيات منها هذا البيت^(٨)، فصار البيت مثلاً يضرب لمن ذهب من ماله شيء، ثم ذهب ما هو أجل منه^(٩).

لاشك أن التضمين الجزئي لشطر من البيتين انطوى على فكرة ماثلة لما أراد الامام قوله، فافاد منها للتعبير عن تجرّبه، وبينها بصورة موجزة واضحة اشد الوضوح، بفعل الإشارة إلى قصته كثير شيوعها حتى أصبحت مثلاً بين الناس.

عند الرجوع إلى السياق يتضح سبب استحضار هذا الشطر دون سواه، إنما كان للاشتراك في الدلالة المعبرة عن معاناة كل من الإمام والشاعر.

ووظف قول الأعشى: (شدان ما يومي علي كورها ويوم حيان أخي جابر)^(٣).

وروى الخوئي في شرحه أن في بعض النسخ قد ذكر مصراع البيت، ثم استدرج قائلاً: " والظاهر هو سهو من الدسّاخ، وأنه لم يتمثل إلا بصدر البيت "

منهاج البراعة، ج ١٠/١٦١.

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٩/١٩٨.

(3) ينظر: المكان نفسه.

وينظر: منهاج البراعة، الخوئي، ج ١٠/١٦١.

(4) لسان العرب، مادة (خطب).

(5) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٩/١٩٩.

(6) المكان نفسه.

(7) ينظر: المكان نفسه.

(1) ينظر: مجمع الأمثال، ص: ٩٤.

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٩/١٩٦-١٩٧.

(2) ينظر: مجمع الأمثال، ج ١/٢٦٨.

ينظر: جمهرة الأمثال، ج ١/٤٥٢.

ينظر: النهاية في غريب الأثر، ج ١/٣٤٣.

(3) ديوان الأعشى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م، ص: ١٩٢.

في الخطبة الشَّقْشَقِيَّة حيث قال: ((فَصَوْتُ فِي الْعَيْنِ قَدْ ذِيَّ وَفِي الطَّقِ شَجَاً ، أَرَى تَرَاثِي نَهْباً ، حَتَّى
هَضَى الْأَوَّلَ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ))^(٤) تَمَّ تَمَثُّلٌ بِالْبَيْتِ ، لِاسْتِكْمَالِ بَيَانِ حَالِهِ (ع) .

من المعلوم أنَّ للشعر الجاهلي قدرةً على شحن النصوص المُستَضيفة لها بالدَّلالاتِ فيما لو
روعيَّ فيها السياق، والاتِّساق مع المعنى العام، فيكون أكثر تأثيراً في المتلقين، وهذا ما أدركه الإمام
وأحسن استخدامه، لاسيَّما إذا تذكّرنا ما للشعر الجاهلي من أثرٍ في النفوس من هنا ندرك بيان المعنى
واتِّضاحه بفعل هذا التوظيف الناجح والكاشف للدلالة النص العميقة .

كذلك الأمر حين ضمَّن المثلَّ العربي: ((فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى))^(٥) في خطبةٍ وعظيمةٍ
طويلةٍ^(٦) ، مُتَشَهِّداً بِذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِنَهْمِ لَزخرفِ الدُّنْيَا وَطَلْبِهِمُ لِلْآخِرَةِ كَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى (ص وَآلِهِ) ،
وموسى وداود (عليهما السلام) حتى وصل إلى هذا المَثَلِ الَّذِي أُنِيَ بِهِ وَظِيْفَةٌ إِبْدَاعِيَّةٌ أَدَّاهَا فِي
التَّضْمِينِ

فَلْيَا لِيَالَةَ الْعَيْدِ وَهَدِ الْوَيْدِ .

يتحقَّق ذلك حين تُفصح التضمينات عن غضبه، فيؤدي التضمين وظيفةً اسقاطيةً موحيةً تفجر
طاقات دلالية مخزونة في ذهن المتلقي، لتعكس ذلك الغضب كقوله (ع) في كتاب بعثه الى معاوية
((... وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ؛ فَلَقَدْ دَأْضَكَتْ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ؟ لَبَّثْتُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيَّجَا هَلْ فَسَيْطَلُ بِكَ مَنْ
تَطَلَّبُ...))^(١).

حيث وقع التضمين في القول: (لَبَّثْتُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيَّجَا هَلْ) وهو شطرٌ من البيت :
لَبَّثْتُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيَّجَا هَلْ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ تَرَلَّ

(4) نهج البلاغة، خ (٣)، ج ٢٦/١ .

(5) نهج البلاغة ، خ (٥٥٥)، ج ٧٦/٢ .

ينظر: جمهرة خطب العرب، ج ١٣٨/١ .

ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص ١٧٧ .

(6) ينظر: نهج البلاغة ، خ (١٥٥)، ج ٧٦-٧٠/٢ .

(1) المصدر السابق ، ك (٢٨)، ج ٣٩/٣ .

وقيل أصله أن مالك بن زهير تَوَعَّدَ (حَمَلُ بن بدر)^(١) فقال حمل : لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ فَأَرْسَلَ مَثَلًا يَضْرِبُ لِلْوَعِيدِ بِالْحَرْبِ وَقِيلَ أَصْلُهُ أَنَّ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرٍ تَوَعَّدَ (حَمَلُ بن بدر) فقال حمل: لَبِثَ... البيت، ثم أتى وقتل مالكا، فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفه فقتلها^(٣).

لقد أستحضره الأمام بعد سؤالين على سبيل الاستنكار والاستغراب أراد بهما في الخوف عن بني عبد المطلب من الأعداء ولسيف، فجاء التضمين توظيفاً دلاليّاً أراد به تهديد معاويه ووعيده بالانتظار قليلاً حتى يحضر الامام بجيشه، وهو الذي سيطلب معاوية فسوف يطلبك من تطلب" وبمجرد ذكر الشطر الدال على المثل وقصته ندرك مقدار التهديد والوعيد، والذي يعزز ذلك قوله "سيطلبك من تطلب"، وهو وعيد بالسير الشديد إليه^(٤).

وبهذا أجاد الامام توظيف شطر البيت، حتى أن المتلقي يدرك قصده بمجرد قراءة الشطر، لاسيما بعد أن جعله يبدو وكأنه من سياق الكلام، من خلال أدائه في كلامه، فبدى الشطر وكأنه وحدة متجانسة مع كلامه (ع)، واصبح بمثابة بناء هيكلية ذي نسيج متساق .

كذلك في قوله (ع) جواب قوم سألوه عن عقاب من أجاب على عثمان بعدما بدويع: ((يا أخوتاه أني لسأجهل ما تعلمون وسأمسك الأمر ما أستمسك وإذا لم أجد بدداً، فأخر الدواء الكي))^(١)، و(آخر الدواء الكي) أول من قاله لقمان بن عاد ، واصبح فيما بعد مثلاً يضرب فيمن يستعمل في أول ما يجب استعماله في آخره وفي أعمال المخاشنة مع العدو إذا لم يجد معه اللين والمدارة^(٢).

مستهل جوابه: "يا أخوتاه أني لست أجهل ما تعلمون لا يوحى بتهديد أو وعيد ما لم نكمل قراءة النص الذي يصل ذروتاه في قوله (ع): (... وسأمسك الأمر ما استمسك وإذا لم أجد بدداً فأخر الدواء الكي)، والانتهاه بأخر الدواء الكي تسفر عن حل صارم وسريع يتوضح بحرف العطف "الفاء" الذي لا يتركفسحه زمنية بين ما يسبقه، وما يلحقه إذ لا تواني ولا توقف إذا لم يكن بد من ذلك . وبعد الانتهاه من سماع جوابه (ع) تظل دلالة المثل عالقة ولاصقة، ومؤدية في ذهن المتلقي، فيتصور من خلاله جدية الوعيد .

(2) ونسبه صاحب اللسان إلى ((حمل)) أيضاً.

ينظر: لسان العرب ، ج ١١/١٨٢ .

ونسبه كثير من الشراح إلى ((حمل)).

ينظر مثلاً: منهاج البراعة ، الراوندي ، ج ٣/٨٢ . ومنهاج البراعة ، الخوئي، ج ١٩/١٠٠ . و أعلام النهج ، ج ١/٢٤٣

(3) ينظر: جمهرة الأمثال ، ج ٢/٢٠٦ .

ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢/٣٥٥ .

(4) ينظر: المكان نفسه.

(1) نهج البلاغة، خ (١٦٣) ، ج ٢/٩٩ .

(2) ينظر: مجمع الأمثال ، ج ١/٢٩٢ .

و: جمهرة الأمثال ، ج ١/٩٧ .

و: المستقصى في أمثال العرب ، ١٩٨٢ ، ج ١/٥٠٠ .

النص هنا ليس مجرد بناء لغوي ذي دلالة موضوعية بقدر ما يشكل دفقة شعورية تُوحى بالكثير إن جاء في سياقٍ مناسبٍ، وتضمينه للمثل (آخر ألداء الكي) في هذا السياق يمثل رغبة حقيقية لما يعترى قلبه من هؤلاء الذين حمل كالمه (ع) تهديداً حقيقياً لهم لا مؤاربة فيه ، وله من ذلك غير مثال (٣) .

د ثالثاً ، التوبيخ .

كثيراً ما ملئ قلبه (ع) بالالوعة والحزن وكثيراً ما ترجم أحزانه إلى آهات عبر آلية التضمين، فيستشعرها المتلقي غضباً تارة ، أو حزناً تارة أخرى ، وقد يترجمها توبيخاً - لمن يستحقه- إذا كان الأمر يتعلق بحقوق العباد ، ونصرة الحق على الباطل ، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم ما دام الأمر واقعا بين الحق والباطل ولا يهّمه كثرة الناس حوله أو تفرقهم عنه ، لأن طريق الحق قليل سالكوه لقد بدأ بهذا الأمر مع أقرب الناس إليه كالذي فعله مع ابن عمه عبد الله بن عباس (٤) حين كان والياً على البصرة، ومما جاء في وعظه له من تضمين قوله (ع): ((أما بعد، فأني كنت أشركتُك في أماتي، وجعلتُك شعاري ويطانتي؛ ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثق منك في نفسي لِمُواساتي ومُؤازرتي، وأداء الأمانة إليّ؛ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلَب، والعنوّ قد حارب ، وأمانة الناس قد حَزِيت، وهذه الأمة قد فَتكت وشغرت ؛ قلبت لابن عمك ظهر المَجَنِّ، وفارقتَه مع المُفارقين، وخَلتَه مع الخاطِلين، وخنتَه مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت، ولا الأمانة أثيت...)) (١) .

قوله (ع): (ضربت لأبن عمك ظهر المَجَنِّ) يُضرب مثلاً لمن يكون مع أخيه فيتغير عليه ويصير خصماً له ، ولمن يصير حرباً ، بعد كونه سلماً (٢) وأصله إنَّ الرجل إذا كان سلماً لأخيه يكون بطن ترسِه إليه فإذا فارقه وصار حرباً له يَلب له ظهر ترسِه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شرِّ، فجعل ذلك كنايةً عن العداوة بعد الصداقة (٣) بعد أن (كَلَب) الزمن: أي اشتدَّ ، و(حرب) العدو: أي استأسدَّ ، وأمانة الناس قد حَزِيت: أي افتضحت خياتها ، وبعد أن (فَتَكَت وشغوت) الأمة ، و(فَتَكَت)،

(٣) ينظر: قوله (ع) : ((إنَّ غداً من اليوم قريب))، نهج البلاغة، خ(١٥٢)، ج٦٨/٢، خ(١٨٣)، ج١٥١/٢ .
(٤) وإن كان الكتابُ وُضِع في الأصل تحت عنوان (ومن كتابٍ له إلى بعض عماله)، غير أنَّ المشهور أنَّه كُتِب لأبن عمه (عبد الله بن عباس)، لوجود قرائن استدلوا بها لاثبات هذا القول كقوله (ع): ((قلبُ لابن عمك ظهر المَجَنِّ))

و
((لأبن عمك آسيت))، وذهب البعض انه موجه لعبيد الله بن عباس.
ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١٦/١٣٤ .
ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج٢/٤٠٨ .
(١) نهج البلاغة، ك(٤١)، ج٣/٧٢-٧٣ .
(٢) ينظر: منهاج البراع ، الراوندي ، ج٣/١٣٦ .
(٣) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج٢/٤٠٩-٤١٠ .
ويرى ابن الأثير أن القول: ((قلبُ له ظهر المَجَنِّ))، كناية عن تغير المودة.
ينظر: المثل السائر، ج٣/٧٧ .

من (فَكَتَ الجارية): إذا صارت ماجنة ، وهو تصوير استعاري جميل ، يظهر فساد الأمة التي (شَوَّت): أي خَلَّت من الخير^(٤) قلبت لأبن عمك ظَهَرَ المَجِيءُ: أظهرت له العداوة ؟ .

بعد هذا التقديم المصور لواقع الأمة ، وحال الإمام معهم ، نستشعر عظم وقع الحدث عليه ، إذ أنتت الخيانة في خضم أحداث تكالبت ، وترافقت ؛ اشترك فيها الزمن ، والعدو ، والأمة ، ولا بأس في ذلك كلاًه ، إلا أن ما أوجع الإمام منها خذلان اقرب الناس إليه ، وأطالاب بالمواساة ، والنصرة ، (ولم يكن في أهلي رجلٌ أوثق منك في نفسي لِمُواساتي ومُؤازرتي ، واداء الأمانة ألي) ، ولم يقتصر الأمر على المفارقة والخذلان فقط، إنما تعداهما إلى سرقة أموال الناس، كما هو واضح في قوله (ع): ((واخظفتما قَدَرَت عليه من أموالهم الصَّوْنَةَ لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الدَّنب الأزل دامية المعزى الكسيرة))^(٥)

والصوره التَّشبيهية تُفصح عن حَقِّ الإمام وِغْضَبِهِ من هذه الخيانة الظالمة ، فالذنب الأزل: الخفيف الوريكين كناية عن شدة عدوه ، وسرعة وثبته على معزى دامية، وهي كناية عن ضعفها^(٦) ، فنلمح طباقاً معنوياً يكشف لنا غلبة الدَّنب ، وقوته ، وضعف المعزى ، وانكسارها ، وهما استعارتان ظاهرتان، تحملان من الدلالة الكثير، وإذا كانت نهاية النص الأول تكشف عن توبيخ الإمام للمخاطب ، فإن مقدمته تكثف عن شكواه وتظلمه ، وبذلك كان وقع التوبيخ اشد ومعناه أكد .

والتضمين محل الشاهد من شعر ينسب إلى (معي بن اوس) حيث قال :

قَدَبْتُ لَهُ ظَهَرَ المَجِيءِ فَلَمْ أُمِ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَحَوَّلُ^(٧)

وكذلك في قوله (ع): ((أَصَبْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُمْ، مَا بِالْكُمْ! مَا دَوَاؤُكُمْ! مَا طِبُّكُمْ! القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقْوَلًا بغيرِ عِلْمٍ؟ وَغَلَّةٌ مِنْ غَيْرِ وِرْعٍ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ))^(٨).

في نسق استفهام استنكاري أعرب الأمام عن استيائه، وِغْضَبِهِ ، بعد يأسه من نصرة أصحابه، وتقاعسهم عن حقهم، واستيلاء جند معاوية على كثير من بلاد المسلمين، حتى أنه (ع) أقسم على ذلك بالله (أصبحت والله ...) ، وفي ثنايا هذا الاستيلاء و الغضب وقاع توظيف للتضمين الواقع في قوله (ع): (ما بِالْكُمْ ! ما دَوَاؤُكُمْ ! ما طِبُّكُمْ ! القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ !) ، هو تضمين يعود بنا الى قول الشاعر الجاهلي (الشراخ بن يعمر الكندي):

القَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَّهُمْ شَوْ فِي الرِّئْسِ لَا يَنْشُرُونَ إِنْ قُتِلُوا^(٩)

(4) ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦/١٣٣ .

(5) نهج البلاغة، ك (٤١)، ج ٣/٤١٠ .

(6) شرح ابن أبي الحديد ، ج ١٦/١٣٣-١٣٤ .

(7) المستقصى من أمثال العرب، ج ٢/١٩٨ .

(1) نهج البلاغة، خ (٢٨)، ج ١/٧١ .

(2) شرح ديوان الحماسة، التبريزي ، ج ١/١٢ .

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه مثل هذه العلاقة بين القولين

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ٢/٩٠ .

وهو توظيف ناجح لما كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام ، إنَّ المَلِكَ مُحاطٌ بهالةٍ مُقتَسَنةٍ حاكها الناسُ في مخيلاتهم ، وخوفُهُم من السَّحْرِ والغَيِّباتِ والآلهة التي كانوا يعبدونها ، وإنَّ دماءَ هؤلاء الملوك ليست كسائرِ الدِّماءِ^(٣)، فهي تشفي من الجنون وألحقوا بها هُجَّةً من المعتقَداتِ، وترتَّبَ على ذلك اعتقادُ أمرٍ عَظيمٍ ؛ وهو أنَّ الملوك لا يُقتلون بسهولةٍ ، وفي يوم (ذي قار) عندما قتل فارسٌ بكريُّ أحدِ أبناءِ ملوكِ فارس ألتفت إلى الجيشِ صائِحاً : "يا قومئهِمُ مَ يهوتون" ^(٤)؛ وكأنَّه حطَّ مِ الأسطورةَ بِذلكِ .

والذي أفاد دلالةَ التوبيخ فيه هو وجود سلسلة الاستفهام الإنكاري فلا بالكم؟، ما دأوكُم؟ ما طبكم؟ .

دلالة البوط والنص والإرشاد

لعلَّ هذا التوظيف الدلالي من أشدِّ التوظيفاتِ الدلالية بروزاً، وأكثرها حضوراً في كلامِ الإمام، وكتبه، وحكمه، فأخذت مساحةً واسعةً في النصِّ النهجي، وقد يكون المبرر لذلك كله هو أنَّه (ع) كان حريصاً أشدَّ الحرص على القيام بذلك لأنَّه إمامُ الأُمَّةِ وخليفَتُها في زمانٍ كثرت فيه الفتنُ وتداخلت فيه الأمور فكان لهم مناراً ، وفناراً في هذا البحرِ الظلمِ مِنَ القَنِّ .

من ذلك قوله واعظا ابنه الحسن (عليهما السلام): ((رويداً يسفر الظَّلامَ كأنَّ قَدَّ ورتت الأضغان، يوشكُ من أسرع أن يَلْحَقَ ..))^(١) .

في كلماتٍ موجزة ، دالَّة ، طرح الإمام معنىً كبيراً ، مُكثِّفاً، كاشفاً عن نفسه في تصوير بياني، جعل ما ضمَّنه من مَثَلٍ ، هو، ((رويداً يسفر الظَّلامَ))^(٢)، والذي يَضْرِبُ للأمل بعد اليأس، وقد أصبح محوراً لهذا التصوير، ودلالةً توكيديةً من خلال استحضار المصدر (رويداً) يَصِلُ المتلقي - وباطمئنان - إلى أنَّ الظلامَ - وهو استعارة للشدة - لا بدَّ أن يزول، مهما طالَّت مدَّتُه ، فضلاً عن التقريب في الرَّمْنِ ، والحامل معه فُسْحَةٌ كبيرةٌ مِنَ الأمل .

" والاطعان: جمع ظعينه، وهو الهَوْدَجُ تركب فيه المرأة، عَجَّرَ به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة، كأنَّ حالهم أن يروا على غاية سيرهم"^(٣)، وما أسرع ما سيكون ذلك، والذي سيلحق بالركبِ هو من أسرع خطاه، كنايةً عن التَخَفُّفِ من الذنوب، وزخرف الدنيا، فمن كان مُثَقَّلاً بالذنوبِ لا يكون ممن سيلحق بالركبِ .

(3) ينظر: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي، د. عادل جاسم البياتي، ص: ١١٥.

(4) شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ج ١/٢٠٨.

(1) نهج البلاغة، ك(٣١)، ج ٥٦/٣.

(2) مجمع الأمثال، ج ٢/٢١٤.

(3) شرح ابن أبي الحديد، ج ٥٦/٣.

إنَّ معرفةَ مَنْ وقعَ عليه الخطاب وهو الحسن (ع) - تعين في فهم وإدراك مقدار العظة، وعظمتها، والسياق هو الآخر يساعد في إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية، والانفعالية^(٤).

وثمة قول له يندرج تحت هذا التوظيف حيث قال واعظاً: ((وَأَنْعَمَ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَا وَمَارَ ضَيْقَ نَفْسِهِ ، وَضَعَفَ فَرْخَكَ وَاحْطَطَ كِبْرَكَ ، وَادَّكَّرَ قَدْرَكَ ؛ فَأَنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ ؛ وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصِدُ ، وَكَمَا قَتَمْتَ الْيَوْمَ تَقْتَمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَأَمْهَدُ لِقَائِكَ ، وَقَدْ تَمَّ لِيَوْمِكَ ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَالْجَدُّ الْجَدُّ أَيُّهَا الْغَافِلُ " وَلَا يَنْبُذُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ "))^(٥).

نسج النص في جمل انشائية فعلية يتقدمها في الغالب فعل الأمر (أنعم ، خالف ، دعه ، ضع ، احطط ، اذكر ،...، ثم استحضر مَثَلَيْنِ مشهورين ليُنبه بهما^(٦)، وهما قوله (ع) كلما تدين تَدَانُ (وكما تزرع تحصد)، وقد وقعت فيها الاستعارة في الدين والزراعة، والحصد^(٧).

وعزز نصحه وإرشاده بأسلوب التوكيد اللفظي (فالحذر الحذر) و(الجد الجد)، ثم جاء التعزيز باقتباس قوله تعالى: " وَلَا يَنْبُذُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ "^(٨) ، فتعاوض التضمين و الاقتباس في حشد الدلالة الوعظية التي بلغت درجة التحذير.

وله أيضاً قوله واعظاً: ((كَلِّمُوا تَعْرِفُوا فَانَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ))^(٩)، وهذا مما يعود بنا إلى قول (زهير بن أبي سلمى):

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفُ نَصْفِ فُؤَادِهِ فَمَنْ يَبْقَى إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالذَّمِّ^(١٠)

وله شواهد أخرى لمثل هذا النوع من التوظيف في ساحة النص النهجي ، استجلب فيها الماضي فحقق به ومضات واسعة الدلالة من خلال علاقات تناصية تضمينية ، كما في إحضاره لأحد أبيات لزيد في كلام له (ع) : ((مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مُحَقَّقٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ)) (٤) .

(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيغن اولمان، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب المنيرة، ط، ١٠ مصر، ١٩٨٦، م، ص: ٦٤.

(٥) نهج البلاغة، خ(١٤٩)، ج٢/٥٦.

(٦) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٦٢٥.

وقوله: ((كَمَا تَدِينُ تَدَانُ))، يضرب في الحث على فعل الخير.

ينظر: مجمع الأمثال، ج٢/١٦٢، ١٥٥.

ونسبه بعضهم ليزيد بن الصعق

ينظر: جمهرة الأمثال، ج٢/١٦٨.

(٧) شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٦٢٥.

(٨) سورة فاطر/١٤.

(٩) نهج البلاغة، ق(١٤٩)، ج٣/١٨٩، ق(٣٩٢)، ج٣/٢٤٨.

(١٠) ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص : ٨٩ .

(٤) وهو قول لبيد : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِثْلُ مَا خَلَا اللَّهُ بِاطِلٍ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ .

و تضمين قول الشاعر أبي نُؤيب الهُ نَلِي فِي قَوْلِهِ (ع): ((وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا تَرَدَعُ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرْرِ)) (٥) .
 وتضمين قول أحدهم في قوله (ع) لمعاوية: ((فكنت في ذلك كناقِلِ النَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ)) (٦)

د . نَهْجُ السَّائِلِ: الْإِقْنَاعُ، وَالْإِنْفَاعُ . ام .

ولرَّيْمًا تَفْضِي دَلَالَةَ التَّضْمِينِ إِلَى الْإِقْنَاعِ ، وَحَثَّ الْمُتَلَقِّي لِأَمْرِ مَا وَقْفَاعِهِ بِقَرِينَةٍ عَقْلِيَّةٍ مَعَ تَهْيِئَةِ مَنَاحِ نَفْسِي مَصَاحِبِ دَاعِمٍ لِلْفِكْرَةِ وَالذَّلِيلِ ، إِذْ لَمْ يَكُنِ الْهَدَفُ الْعَقْلِيَّ غَائِبًا عِنْدَ الْإِمَامِ ، وَكَثِيرًا مَا أَعْتَمَدَ الْمَنْهَجَ الْعَقْلِيَّ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْعُقَائِدِ مِنْ؛ تَوْحِيدٍ ، وَذُبُوءٍ ، وَمَعَادٍ وَغَيْرِهَا كَثِيرٍ حَتَّى يَصِلَ الْأَمْرَ إِلَى حَدِيثِهِ عَنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

فالشاهد الشعري قد يكون دليلاً، والمثل مقروناً بالحجة (١) وفي أسلوبٍ شطريٍّ ضَمَنَ مَعْنَى قَامَ عَلَى الْإِقْنَاعِ بِمَا قَدَّمَهُ وَصَوْلًا إِلَى نَتِيجَةٍ حَتْمِيَّةٍ، فَقَالَ (ع): ((مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ)) (٢)، لقد بدأ من حيث انتهى حاتم الطائي:

فَأَنَّكَ إِنِ اعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعَا (٣)

ديوان لبيد ، ص: ١٤٥ .

ينظر: نهج البلاغة ، ح (٣٨٧)، ج ٢٤٧/٣ .

(٥) وفي تضمين قول الشاعر الهذلي والنفس راجية إذا رعبتها وإذا ثرد إلى قليل تقنع .

ديوان الهذليين ، القسم الأول ، ص : ٣ .

نهج البلاغة ، ك (٥٦) ، ج ١٢٥/٣ .

(٦) وتضمين قول الشاعر: اعذمه الرهية كـل يوم فَلَإِنَّمَا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣٤/٣ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج ١٤٧/١٥ .

ينظر: منهاج البراعة ، الراوندي ، ج ٧١/٣ .

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر ت (٣٣٧) هـ، ص: ٥٧ .

ويرى السيوطي أن في ضرب المثل تبكيت للخصم الشديد الخصومة .

ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ج ٣٩/٤ .

(٢) نهج البلاغة، ق (٤٤٩)، ج ٢٦٠/٣ .

(٣) ديوان حاتم الطائي، ص: ١٧ .

ينظر: شرح حكم نهج البلاغة ، ص: ١٧٩ .

من أوضح صَديق الشهوة؛ البطن والفرج، وإشارته (عليه السلام) بالاسم العام شامل لكلِّ مصاديقها والمفردتان (كُوت، هانت) تُوحيان بذلك التنازع بين النَّفسِ والشَّهوة .

ومن المثل السائر ، والضروب فيمن يحمل شيئاً إلى من هو في غنى عنه أقام الحجة على معاوية في جوابه له يبيِّن نصحه بما هو في حاجة له فشبهه به بمن يحمل الذم إلى هجر فقال (ع): ((فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تُخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا ونعمته علينا في نبيِّنا، فكنت في ذلك كعاقل الذم إلى هجر أو داعي مُدَّده إلى النَّضال...)) (٤) .

محاولة لإفهامه واقناع الآخرين، إنَّ حديث معاوية في بيانِ نعمَةِ الله على الناس في بعث النبي المصطفى (ص واله)، فيرى (ع) إن ذلك من عجائب الدهر وإنَّ معاوية في عمله هذا كمن ينقل التمر إلى (هجو) هي مدينةٌ اشتَهَرَت في كثرةِ تمورها، وهو كناية عن العمل الذي لا طائل من ورائه، وجاء به (ع) كعامل من عوامل الإقناع النفسي للسامع، وجاء به (ع) ليُحقِّق هذه الغاية ، ووقع الأمر في اختياره وتوجيهه وفق منظومة نفسية تستند إلى شيوع المعنى، ومعرفة المغزى للاستدلال على ما يُريد بيانه .

بالإضافة للإقناع والإفهام يتحقَّق أمر آخر، حين يكون التضمين وسيلةً - بالإضافة لما تقدم - للتفريغ النفسي، كما في قوله حين وأ نفسه مما اتَّهمه به معاوية في قتل الخليفة عثمان بن عفان، فأفْلَحَ في ذلك أيها فلاح، إذ قال: ((وما كنت لأعتذر من أني كنت انقم عليه أحداثاً فأن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له، وقد يستفيد الظنة المتصح (١)))
وصل الأمر إلي أن يقدم نصحه وإرشاده للخليفة من قبله حتى أسيء به الظنُّ، فلم يجد بداً من استحضار هذا البيت الذي ينطبق تمام الانطباق على حاله.

(٤) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤ .

(١) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٩ .

ينظر: الباب الأول ، الفصل الأول، ص: ١٦٤ .

المبحث ، اللواظيفية ، الفنية :

ليس التضمين بأقل مساحة من الاقتباس، ويمثل هذا المبحث الملمح الفني . بانواعه . للتضمين الذي تدّكيء النصوص عليه فيتجلى بسماتٍ فنيّةٍ لاتقلُّ أهميّةً عن الروافد الدلالية في النصّ ومثلما كان للتضمين دور في العطاء الدلالي، كان له دور في التوظيف الفني، والذي تمثّل بمستوياتٍ عديدةٍ منها :

ألموت. لاوى الب. لاغري :

تتّوع التوظيف الفني في هذا الجانب البلاغي ، لاسيّما فيما يتعلّق بالمجاز من تشبيه، واستعارة، وكناية ، علما أنّ البلاغة كلنخ تقصودةً لذاتها بقدر ما كانت تمثّل سليقةً طوعيّةً، فطريّةً للإمام ، وأبرز تلك التوظيفات البلاغية :

رغد ، الص. أورة. البيانية. في. الذ. ص .

لقد مثَّل التشبيه كِيزَةً من ركائز هذا التوظيف ، ومن خلال الركون إلى هذا الفن البلاغي توضح كثير من المعاني ، بصورة معبرة ، كقوله لما أراد تصوير حزنه ، وألمه مما أصابه من نكوص أصحابه عن نصرته ، وتخلفهم عن حقهم ، وتخليهم عنه .

صوّر ما لا يمكن تصويره لولا هذا التشبيه في قوله (ع): ((أشه ود كغائب، وعيد كأرياب، أتلو عليكم الحكم فتتفوا منها، وأعظكم بالموعظة فتد فرقون عنها، وأحدثكم على جهاد أهل البيغي فما أتى على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سباً، ترجعون إلى مجالسكوتة تخادعون عن م واعظكم)) (١).

وصفهم بالكبر والتبهي (٢) بأسلوب إنشائي استفهامي استنكاري ساخر برفقة أسلوب بياني تشبيهي شه ه م بالجاب، على الرغم من حضورهم ، وبالأرياب مع كونهم عبيداً ، فشكّلت الألفاظ (شهود، غياب)، (عيد، أرياب) فناً طباقياً متماً للصورة التشبيهية، وامتزجا لوسماً صورةً لتناقضات هؤلاء، وتبدلهم من حال إلى حال ووجه الشبه أن الفائدة في شاهد الموعظة دون الغائب عنها هي سماعها والانتفاع بها، وأما الثانية فلأنهم رعيين شأنهم التبعيد لأوامر أمرائهم، ثم أنهم لتعززهم وشموخهم كبراً وعدم طاعتهم كالأرياب الذين من شأنهم أن يأمرؤ ولا يأت مرواً، ثم ويخهم بنفاهم عما يتلو عليهم من الحكم وتفرقهم عن موعظه البالغة (١)، وهم بعد نفورهم مما يقول، وتفقههم عن حقهم، إما تفرقوا كأيدي سباً .

إنها صورة تشبيهية ، تضمنت دلالة اشارية للمثل المعروف بقصته بين الناس آنذاك ، ووظيفها (ع) لبيان تفرق القوم ، أو للدعاء عليهم (٢) ، هي صورة قامت على التشبيه البليغ وتقديره: (كقوم سباً) ، وهناك توظيف هائل لمثل عربي شاع نكره في موضع آخر من مواضع النهج (٣) .

أما الأسلوب الاستعاري فقد وظّف توظيفاً ناجحاً في الإفصاح عما يجول في فكر الأمام، بصور نكاد نراها ، وماكان لها لتظهر لولا هذا التوظيف، وكثيراً ما كانت الاستعارة في دراسات السابقين ومؤلفاتهم كاشفة عما يدور في النفوس من آمال، ومحبّة، أو بغض، أو عرض لقضايا اجتماعيه وه موم نفسه (٤) .

وكذلك قوله (ع) لأصحابه في بعض أيام صفين يحدثهم على قتال الأعداء الذين كمن الشيطان في عسكرهم: ((... و امشوا ألي الموت شيئاً سحجاً، وعليكم بهذا السواد الأعظم ، والرّواق الطنّب فأضربوا

(١) نهج البلاغة، خ (٩٣)، ج ١/١٨٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج ٧/٦١ .

(٣) شرح ابن ميثم البحراني، ج ١/٤٧٧ .

(٤) يرى الغروي أنه دعاء عليهم، ثم يستدرك فيقول " ولكن ظهورها في تشبيه تفرق أصحابه عند خطابه (ع) بتفرق سباً يمنع لدعاء الألهم إلا أن يعم المعنيين بالاشتراك " .

ينظر: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص: ٧٦ .

(٣) في قوله (ع) مشدداً نصح معاوية له بـ ((ناقل التمر إلى هجر)) .

نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤ .

(٤) في الأدب والبيان، د. محمد بركات، ص: ١٠٥ .

تَبَجَّهُ ، فَأَنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَقَدْ قَدَّمَ لِلوَثْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ، حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّشِ " وَأَنْتُمْ أَلَا عَلُونَ " ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُكُمْ أَعْمَالُكُمْ))^(٥).

وصايا عديدة جَهَّهَا لَجَنْدُهُ مُتَحَضِّرًا فِيهَا تَصْوِيرًا دَقِيقًا بِأَلْيَةِ بِيَانِيهِ كَاشِفَةً لِمَعَانِيهِ، وَمُجَسِّدَةً لَهَا فِي الْمَفْرَدَةِ (الشَّيْطَانِ)، هِيَ تَعْبِيرٌ اسْتِعَارِيٌّ دَالٌّ عَلَى ضَلَالَةِ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ وَغَوَايِبِهِمْ. وَقَعَتِ الْاسْتِعَارَةُ التَّصْرِيحِيَّةُ فِي هَذِهِ الْمَفْرَدَةِ الْمَضْغُوطَةِ بِالدَّلَالَاتِ لِمَعَاوِيَةَ بِجَامِعِ الضَّلَالَةِ وَالغَوَايِبِ لِلنَّاسِ فِي كُلِّ^(٦) لَذَلِكَ أَوْصَاهُمْ (ع) بِضَرْبِ (تَبَجُّهِ) أَي وَسَطِهِ^(٧)، وَالْهَاءُ تَعُودُ إِلَى الرَّوَّاقِ، فَالشَّيْطَانُ أَي مَعَاوِيَةَ كَامِنٌ فِي وَسَطِهِ .

وَلِحَثِّ الْجُنْدِ عَلَى قِتَالِ الشَّيْطَانِ وَحَزْبِهِ، رَسَمَ لَهُمْ صُورَةَ تَرَدُّدِهِ وَخَوْفِهِ، وَأَظْهَرَهَا بِاسْتِحْضَارِ اسْتِعَارَةِ تَمَثُّلِيَّةٍ فِي الْمَثَلِ الَّذِي أَصْبَحَ يُضْرَبُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرِ مَا، وَهُوَ قَوْلُهُ (ع): (قَدْ قَدَّمَ لِلوَثْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا)، وَيَكُونُ (تَقْدِيمُ يَدِهِ) لِلوَثْبَةِ كِنَايَةً عَنْ تَزْيِينِهِ لِأَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ الْحَرْبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَتَأْخِيرُ الرَّجْلِ لِلنَّكُوصِ كِنَايَةً عَنْ تَهْيِئَتِهِ لِلْفِرَارِ إِذَا تَقَى الْجَعَانَ كَمَا حَكَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ إِذْ مَا تَرَأَيْتَ الْفَتَنَانَ كَصَّ عَلَى عَيْبِهِ وَقَالَ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ)^(٨)، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ، بَلْ هُوَ مَثَلٌ بِالصَّمِيمِ يُقَالُ عَلَى كُلِّ مَنْ شَاكَلَهُ فِي الْجُبْنِ إِنْ جَاءَ الْحَدُّ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الدُّنْيَا مَا وَجَدَ إِلَيْهَا سَبِيلًا وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْدَالِ^(٩).

نَجَحَ الْإِمَامُ (ع) فِي هَذَا الْاسْتِبْدَالِ الْمَجَازِيِّ ذِي الْقُدْرَةِ عَلَى وَضْعِ الْمَثَلِ أَمَامَ صُورَةِ فَنِيَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ، تَتَبَضُّ بِالْحَيَاةِ حَتَّى يَكَادِ وَاهَا، فَكَانَ تَحْرِيكُهَا لِلنَّفْسِ أَقْوَى وَهَذَا مَا ابْتِغَاهُ (ع) فِي نَصِّهِ، وَبِذَا أَصْبَحَ النَّصُّ ذَا قِيَمَةٍ دَلَالِيَّةٍ بِمَعْرُضٍ حَسَنِ يَشُدُّ السَّمْعَ بِاعْتِمَادِهِ الرِّكَائِزَ الْمَعْرِفِيَّةَ عِنْدَ الْمَثَلِيِّ، فَكَانَ التَّضَمُّنُ بِمَثَابَةِ إِحَالَةٍ سَرِيعَةٍ، تَكْفِي الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا لِتُكْتَمَلَ الصُّورَةُ فَيَتَصَوَّرُهَا الْمُتَلَقِّي كَيْفَمَا يَشَاءُ لِلْوَصُولِ بِهِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ التَّرَدُّدُ لِلخَوْفِ فِي صُفُوفِ الْعَدُوِّ، وَهَذَا تَجَلَّتْ وَظِيفَةُ التَّضَمُّنِ الْبَلَاغِيِّ تَوْظِيفًا يَفْجُرُ الْوَعْيَ الْمَخْزُونُ فِي التَّأَكُّرَةِ .

(٥) نهج البلاغة، خ(٦٣)، ج ١١١/١-١١٢.

(٦) يرى ابن أبي الحديد أنه (ع) ربما أراد بالشيطان إبليس، أو ربما أراد به معاوية، والثاني هو الأقرب لوجود قرينة تؤيِّده، وهي (قَدْ قَدَّمَ لِلوَثْبَةِ يَدًا))، وإلى القول الثاني ذهب كثير من الشراح.

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣٧/٥.

ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٣٣٥-٣٣٦/١.

ينظر: منهاج البراعة، الراوندي، ج ٢٩٢/٢.

ينظر: منهاج البراعة، الخوئي، ج ٢٧/٥.

توضيح نهج البلاغة، ج ٢٦٣/٢.

وقد يكون المراد به - الشيطان - عمرو بن العاص.

ينظر: منهاج البراعة، الخوئي، ج ٢٧/٥.

(٧) لسان العرب، مادة (تَبَجُّج).

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣٧/٥.

(٨) شرح ابن ميثم البحراني، ج ٣٣٦/١.

(٩) ينظر: المثل السائر، ج ٧٣/٣.

ولعب التوظيف البلاغي دوره من خلال الطباق في المفردات: (خير، شر)، (الجبة، النار)، (نعيم بلاء) ، في قوله (ع) الذي سق ذكره في هذا الفصل^(٣).

وجاء بأنزياح جميل آخر في قوله (ع): ((عاشِرَ المسلمين استَشَعروا الخَشِيَةَ، وتجلدِبُوا والسَّكِينَةَ، وَعَضُوا عَلَى النَّوَاجِفِ فُلْنِي للسَّيْفِ وَفِ عَن الهَامِ، وَاكْمَلُوا لِلْأَمَةِ وَقَطُّوا السَّيْفِ وَفِ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا وَالْحِطُّوا الخَزَرَ، وَاطْعَمُوا الشَّرَرَ، وَنَافَعُوا بِالظَّبَابِ، وَصَلُّوا السَّيْفِ بِالْخَطَا))^(٤)

إنَّ استشعار الخَشِيَةَ، وتجلدِبُ السَّكِينَةَ استعارتان مجسَّمتان للخَشِيَةَ والسَّكِينَةَ، وظاهراً بمظاهر اللبوس، للدلالة على ضرورة التحلي بهما في مثل هذه الساعة من الحرب، وقوله (ع): (وصلوا السيوف بالخطا)، هو أمرٌ بوصول السيوف بالخطا لتدارك قصر السيوف، أو التردد، لأنَّ الزحف في الحرب إلى العدو والتقدم إليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهّمه الضعف، ويُلقِي في قلبه الرعب ويدخله الرهبة^(٥)، وذلك من قول الشاعر:

وَإِذَا قُصِرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَتْ وَصَلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَانَا فَنُضَارِبُ^(١)

أو قول الشاعر:

نَصَلِ السَّيْفِ إِذَا قُصِرْنَ بِخَطُونَا يَوْمًا وَتَلَحُّقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ^(٢)

أو من قول الشاعر (بشر بن عبد الرحمن بن كعب):

وَإِذَا السَّيْفُ قُصِرْنَ أَكْمَلَهَا دَنَا حَتَّى تَنَالَ بِهَا أَلْعَوْ خُطَانَا^(٣)

(3) ينظر: الباب الثاني، الفصل الثاني، ص: ١٩٣.

(4) نهج البلاغة، ج (٦٣)، ج ١/١١٠-١١١.

(5) شرح ابن ميثم البحراني، ج ١/٣٣٥.

(1) نسب البيت إلى الاخنس بن شهاب، كما في خزنة الأدب، ونسبه صاحب (الأشباه والنظائر) إلى قيس بن الخطيم.

ينظر: خزنة الأدب، ج ٣/٢٤.

ينظر: الأشباه والنظائر، ج ١/١٢٠.

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٥/١٣٤.

ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ١/١٢٠.

وأورده أبو تمام في حماسته بصيغة (وَإِنْ قُصِرَتْ أَسْيَافُنَا).

ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي، ج ١/٤٨٨.

(2) نسبة صاحب (الكامل في الأدب) إلى كعب بن مالك.

ينظر: الكامل في الأدب، ج ١/١١٤.

ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ٥/١٣٤-١٣٦.

ونسبه التبريزي إلى (كعب بن مالك) أيضا، ولكن برواية:

نَصَلِ السَّيْفِ إِذَا قُصِرْنَ بِخَطُونَا قُدَمَا فَتَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ

شرح حماسة أبي تمام، ج ١/٨٤.

(3) حماسة أبي تمام، شرح التبريزي، ج ١/٤٨.

ولهذه الاس تعارة أثرها في رسم صورةً بيانيةً تُمكن المتلقي من تصورِها، وإدراكِها ، إذ كلما كانت الصورة أبسط اكتسبت أهميتها "والصورته لفتت كدسب عنصر الأهمية بقدر ما تتميز بالوضوح والبساطة وبالألفة" (٤) .

وقد وردت في هذا المعنى أشعار كثيرة ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه، وفي غير واحد من كتب الأدب (٥).

ومما ضمّنه بأسلوب كئيب، ما جاء في قوله (ع) فكتب وجّه له لأبن عمه (عبد الله بن عباس): (قَلْبَتِ لِأَبْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمِجَنِّ)، كما مرّ في موضع سابق في هذا الباب (٦)

القدرة . ع . بلى الت . جسيم والت . شخيص .

للشعر والمثل دورهما في استجلاء المعاني وإبرازها في تجليات مادية تمثّلت في تجسيم ما نَقَّ وخَفِيَ، وتشخيص الجمادات غير الحيّة، فالشعر ساحة يتزاحم فيها هذان الفنان، وللمثل - أيضا - شأن ليس بالخفي في إبراز خبيّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تُريك المُدخِّل في صورة المُحقِّق والمُتَوَهِّم في معرض المُتَيَقِّن والغائب كأنه "شاهد" (٧)، وهذا هو صميم فن التجسيم .

والغاية في ضرب الأمثال عند الزركشي ت (٧٩٤) هي تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب (١)، وبذلك تصور الحياة تصويراً دقيقاً (٢).

وبفَيْتِي التجسيم والتشخيص تتكشف العلاقة بين ما هو مُتخَيَّل وما هو واقع ، حينئذ تتوفر لمتلقي فرصة التخيل لما لا يُمكن تخيله ، ورسمه بصورٍ يمكن إدراكها ، وبفضل ما تقدّم كان للنص النهجي القدرة على بثّ طاقة توصيلية تُشدُّ المتلقي ، وتستوقفه طويلاً، فهو - النصّ - ليس قطعة بلاغية ذات جمال مُجرّد، بل ذو وظيفة مُتقنة (٣).

من ذلك قوله (ع): ((ولقد شهنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ، ويقوى بهم الإيمان)) (٤) ، لقد وظّف التجسيم وأخرج الزمان بيهنة آدمية ،

(٤) دراسات في صور القرآن ، ص: ٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ، ج ٥/١٣٤-١٣٦.

ينظر: خزانة الأدب ، ج ٣/٢٤.

ينظر: البيان والتبيين ، ج ٣/٢٦.

(٦) ينظر: الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص: ١٧١.

(٧) تفسير الكشاف ، ج ١/٧٢.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ج ١/٤٨٨.

ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص: ٨٢، ٥٥.

ينظر: مفاهيم القرآن ، ص: ٤٣.

(٢) المجلة في الأمثال لأبي عبيدة (معمر بن المثنى)، د. حاكم حبيب الكريطي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة

الكوفة، ع(١) السنة الأولى، ٢٠٠١م ، ص: ٦٤.

(٣) ينظر: سلطة الحق ، ص: ٢٨٦.

(٤) نهج البلاغة ، خ(١١) ، ج ١/٣٩-٤٠.

مُتَحَرِّكَةٌ تَتَرَأَى أَمَامَ الْمُتَلَقِي ، قَمَّ لَهَا بَفَنٌ مُجَازِي عَقْلِي بِاعْتِبَارِ مَا يَكُونُ إِذْ أَنْ أَنْصَارَهُ هُوَ لَمْ يُولَدُوا بَعْدَ بَقْرِيْنَةٍ أَنَّهُمْ (فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ) ، وَأَمَّا نَبَّ وَجِدَتْهُمْ إِلَى الزَّمَانِ لِأَنَّهُ مِنْ الْأَسْبَابِ الْمُعْتَدَةِ لِقَوَائِلِ وَجُودِهِمْ^(٥) ، وَدَارَ التَّوْظِيْفُ التَّضْمِينِي لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

. وَمَا رَعَفَ الزَّمَانُ بِمَثَلِ عَرُورٍ وَلَا تَلَدَ النِّسَاءُ لَهُ ضَرْبِيَا^(٦)

يَبْدُو أَنَّ اسْتِعَارَةَ الْمَفْرَدَةِ (رَعَفَ) تَحْمَلُ دَلَالَةَ الْوِلَادَةِ بِقَرِيْنَةٍ (رَعَفَ بِهِمْ) ، وَلَمْ يَقُلْ (رَعَفَهُمْ) وَبِهِ دَلَالَاتٌ عَدِيْدَةٌ ، مِنْهَا كَثْرَةُ هَذَا الْوِلَادَاتِ ، وَتَدْفِقُهَا ، وَالَّذِي عَزَزَ هَذِهِ الدَّلَالَةَ فَعَلَ الرَّعَافُ الْمَتَعَارِفَ عَلَيْهِ بِكَثْرَتِهِ، وَتَرَادُفِهِ فِي حَالِ حُصُولِهِ، كَانَ التَّضْمِينُ بِمَنْزِلَةِ التَّصْوِيرِ وَالتَّشْكِيلِ لِمَعْنَى خَفِيٍّ وَدَقِيْقٍ . وَكَذَلِكَ صَوَّرَ لَنَا النَّفْسَ بَهِيْئَةً فَرَسٍ جَامِحٍ يَجِبُ الْإِمْسَاكُ بِلِجَامِهِ ، وَرَدَعَهُ طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ ، وَالْأَمَانِ فِي وَصِيَّةٍ لَهُ (ع) لِشَرِيْحِ ابْنِ هَانِيءٍ: ((... وَأَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْ لَمْ تَرَدِّعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيْرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيْرٍ مِنَ الضَّرْرِ))^(٧).

إِنْ لَمْ تَرَدِّعْهَا سَمَتْ بِكَ أَهْوَاؤُهَا إِلَى كَثِيْرٍ مِنَ الضَّرْرِ ، وَالدَّالُّ عَلَى ذَلِكَ التَّجْسِيْمُ لِلنَّفْسِ هُوَ الْقَوْلُ (رَدِّعْ نَفْسَكَ) ، وَالتِّي تَحْيِلُ إِلَى دَلَالَاتٍ ، لَعَلِّي مِنْ أُبْرَزِهَا تَحْيِلُ النَّفْسِ بِصُورَةِ فَرَسٍ جَامِحٍ لِأَنَّ دَرْعَهُ مِنْ رَدَعِهِ . مَنَعَهُ بِ قُوَّةٍ . وَالتَّمَكُّنُ مِنْهُ ، وَالْأَلْفِيقُودُنَا إِلَى كَثِيْرٍ مِنَ الضَّرْرِ ، فَالْنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا مَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا رَدَّتْ إِلَى قَلِيْلٍ تَقَنَّعَ ، فَالتَّضْمِينُ وَمَا صَاحِبُهُ مِنْ تَجْسِيْمٍ يَحْيِلُ إِلَى مَعَانٍ خَارِجَةٍ عَنِ النَّهْيِ مِنْ حَيْثُ الْبِنْيَةِ ، وَحَاضِرَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ، وَتَعَوَّدُ بِهِ إِلَى إِشَارَاتِ دَلَالَةٍ تَعَوَّدُ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ مُتَحَرِّكَةٍ ، وَلَمَّا كَانَ سِيَاقِ النَّصِّ وَعَظْمِيًّا فَقَدْ جَاءَ مُتَكَامِلًا فِي تَأْدِيْتِهِ لِلتَّوْظِيْفِ ، وَالْمَعْنَى فِي بِنْيَةِ مُنْجِمَةٍ ، وَتَعَالَقَ الْإِبْدَاعِ عِنْدَ الْإِمَامِ مَعَ مَا ضَمَّنَهُ عَلَى مَسْتَوَى التَّنَاصُ ، وَهَذَا . قَدْ يَبْدُو لَنَا إِعْجَابُ الْإِمَامِ (ع) بِمَا ضَمَّنَهُ ، وَيَدُلُّ عَلَى سَعَةِ مَعْرِفَتِهِ ، وَحِفْظِهِ ، وَكَثْرَةِ مَخْزُونِهِ الشَّعْرِيِّ لثقَافَةِ عَصْرِهِ ، وَبِإِعَادَةِ صِيَاغَتِهِ لَمَّا جَاءَ بِانْزِيَاْحِ جَمِيْلِ لِخُرُوجِ الْمَعْنَى مِنَ السُّكُونِ إِلَى الْحَرَكَةِ ، فَارْتَقَى بِهِ إِلَى أُدْبِيَّةٍ فَنِيَّةٍ عَالِيَةٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ (ع): ((فَاللَّهِ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَأَنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنِيْنٍ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزْفَتْ بِإِفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا ؛ وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَقَتْ بِزُلْزَالِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا ، وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمُ مِنْ حَضْنِهَا فَكَأَنَّ كِيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى ..))^(٨) .

يَلْتَقِي الْمَتَلَقِي بِشَرِيْطِ تَصْوِيْرِي اعْتَمَدَ فَنَّ التَّشْبِيْهِ ، وَالِاسْتِعَارَةَ ، بَعْدَ تَمْهِيْدِ كِنَاثِي مُوَضِحًا قَرِيبَ السَّاعَةِ (وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ) ، وَقَدَّمَ لِذَلِكَ كَلِمَةَ تَحْذِيْرٍ عِبْرَ آيَةِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِي: (فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ) .

(٥) يَنْظُرُ: شَرَحَ ابْنُ مِيْثَمِ الْبَحْرَانِي ، ج ١/١٩١ .

(٦) يَنْظُرُ: الْبَابُ الْأَوَّلُ ، الْفَصْلُ الْأَوَّلُ ، ص: ١٧٢ .

(٧) نَهْجُ الْبِلَاغَةِ ، ك (٥٦) ، ج ٣/١٢٤-١٢٥ .

(٨) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، خ (١٨٥) ، ج ٢/١٥٥ .

يلمح المتلقي اعتمادا للنص على قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أنقالها) (٢) والذي يبرز هذا الزعم وجود بعض المفردات، والبناء والموسيقى، وتشابه الفاصلة .
ومع التجسيم في استعارة لفظ الكلا كل أهوال الساعة الثقيلة ، ووصف الاناخرة لهجومها بتلك الأهوال على الناس (٣) ، واعتبرت موشحاً بوجود ما يلائم " المستعار منه " وهو (أناخت)، وتعرّزت دلالاتها بوجود صيغة الجمع (كلا كلها) ، باعتبار تعدد أهوالها الثقيلة النازلة بهم (٤) ويعود بنا هذا التجسيم إلى قول امرئ القيس، مشبهاً كثرة همومه وقساوتها:

وَدَلِيلُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُؤْلَهُ عَنِّي بِأَنْوَاعِ الْهَوَمِ لَيْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ وَأَرْفَأَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ (٥) .

وحيث استمد الإمام (ع) صورته من الناقه، إدراكاً منه لما تشكله من وجوه ملحوظة في حياة العرب في الجاهلية والإسلام، ولما لها من منزلة خاصة في فاس العرب، فنجد حضورها في الشعر العربي حضوراً كبيراً (٦)، ويفضل هذا التجسيم المرتكز على صورة الناقه وتقلها، يدرك المتلقي مدى عظيمة أفعال أهوال الساعة، فكان وسيلة إيضاح لأمر خفي دقيق .

ثالثاً: نأليته - وي الموسيقى :

يقوم النص أحياناً على إبداعية التشكيل الموسيقى الذى منحه جمالية وتأثيراً يعضد دلالاته ومعناه، فالدور الموسيقى هو أحد عناصر الأسلوب الفنى (١) .
وتوضيح ذلك عند عرض المعاني في صور تستند إلى حشد موسيقى يتناسب والمعنى، ويتواشج معه، فتدل بذلك على اب تكارية توليدية عند المبدع ، والمتلقي يدرك الأثر الدلالي للمفردات من خلال سماعه لها، ومن ثم يدرك معنى النص العام، إذ أن وضع الحرف، أو الكلمة أو الجملة على نحو محدود إنما يكون لمزايا وملاح فنية تأتي في مقنمها الموسيقى .

عند النظر إلى السياق الداخلى (اللغوى) ندرك علاقة الكلمة، أو التركيب من خلال موقعها في النص ، وعلاقتها بما يسبقها، من هنا نجد تغييراً طفيفاً فيما يضمه لمناسبة السياق الموسيقى كما في قوله (ع): ((... فَكُلُّ أَجْلِ كِتَابٍ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٍ، فَا سَمِعُوهُ مِنْ رَبَّانِيكُمْ، وَاحْضَرُوهُ قُلُوبَكُمْ)) (٢)
اعتمد الإمام الفاصلة الموسيقية المسجوعة في نقي موسيقى أذاب فيه ما ضمّه ليصبح جزءاً من النص لا يمكن رفعه، (لكلّ أجل كتاب) و (لكلّ غيبة إياب) جملتان متوازتان مسجوعتان، ار دفهما بجمل

(٢) سورة الزلزلة ١-٢ .

(٣) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢/٢١٥ .

(٤) المكان نفسه .

(٥) ديوان امرئ القيس ، ص: ٤٢ .

(٦) لقد وصفها طرفة بن العبد في معلقته في أكثر من (٢٨) بيت .

ينظر: شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط ٣، بيروت، ١٩٧٩، ص: ١٠٢-١٢٤ .

(١) ينظر: في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ١٩٧٧، ص: ٨٩-٩٨ .

(٢) نهج البلاغة، خ (١٠٤) ، ج ١/٢٠٨ .

مَسْجُوعَةٌ مُتَنَاعِمَةٌ، أَضْفَتْ جَمِيعُهَا بَعْدَ مُوسِيقِيَا مُؤَدِّرًا يَشُدُّ السَّامِعَ وَيُغْرِيه بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى مَزِيدٍ .
وَالْمُدُّ فِي (كِتَابٍ، إِيَابٍ) يُوْحِي بِالسَّعَةِ، وَالْفُسْحَةِ، وَبِالنَّتَالِي يَحْتَاجُ الْمُتَلَقِّي وَهَيَّةً مِنَ الْإِنْتِظَارِ لِمَا يُفْصَحُ
عَنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ الْإِيَابِ، لَمْ يَكُنْ تَضْمِينًا مُبَاشِرًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ - لِقَوْلِ عَيْبِدِ بْنِ
الْأَبْرَصِ: " وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبُ " (٣) ، وَبِذَلِكَ تَغْيِيرُ الْمَعْنَى بِتَغْيِيرِ الْمَبْنَى، حَدِيثُ الشَّاعِرِ عَنْ ذِي الْغَيْبَةِ
الَّذِي سَيُؤُوبُ مَا عَدَا غَائِبِ الْمَوْتِ، وَحَدِيثُ الْإِمَامِ (ع) عَنْ كُلِّ ذِي غَيْبَةٍ، وَأُرَادَ بِهَا غَيْبَةُ الْمَوْتِ، وَحَدِيثُهُ
هَذَا دَعْوَةٌ ضَمْنِيَّةٌ لِلِاسْتِعْدَادِ لِنَتِجَةِ الْأُيُوبِ، إِنَّهَا دَعْوَةٌ لِإِحْضَارِ الْقُلُوبِ قَبْلَ أَنْ يَهْتَفَ دَاعِي الْمَوْتِ.
وَبِذَا يَكُونُ (ع) قَدْ اسْتَرْجَعَ التَّجْرِبَةَ الْقَدِيمَةَ لِمَا ضَمَّنَهُ، وَأَعَادَ تَرْتِيبَهَا فِي حَلَّةٍ جَدِيدَةٍ تَتَلَامَعُ مَعَ الْبِنَاءِ
السِّيَاقِيِّ فِي تَرْكِيبِ بِنَائِيٍّ مُوَحَّدٍ .

وَفِي خُطْبَةٍ قَالَهَا بَعْدَ التَّحْكِيمِ أَثَرَ مَعْرَكَةِ صَفِينِ: ((أَمَّا بَعْدُ فَأَنْ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ
الْمُجْرَبِ تُوْرِثُ الْحَيْرَةَ ، وَتُعَقِبُ النَّدَامَةَ وَقد كُنْتُ أَمُوتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي
لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَاصِرٍ أَمْرٌ فَأَيُّتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجُنَاةِ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ
بِنَصْحِهِ وَضَنَّ الرُّنْدُ بِقَدْحِهِ)) (٤) .

لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَاصِرٍ أَمْرٌ تَضْمِينٌ ظَاهِرٌ (٥) ، وَمَثَلٌ فَاصِلًا مُوسِيقِيًا بَيْنَ الْأَسْجَاعِ السَّابِقَةِ ، وَاللَّاحِقَةِ لَهُ
نَظَرًا لِمَا مَهَّدَ لِذَلِكَ ، وَمَا يَسْتَتَبِعُهُ مِنْ مَعَانٍ اسْتَدَعَتْ مَعَهَا تَغْيِيرًا مُوسِيقِيًا مُصَاحِبًا لِتَغْيِيرِ الْمَعْنَى فِي
سِيَاقِ الْكَلَامِ ، وَالْمَفْرَدَاتِ (الْحَسْرَةُ ، النَّدَامَةُ) ، (أَمْرِي ، رَأْيِي) ، تَشَابَهَتْ أَسْجَاعُهَا وَتَلَّتْ بِأُخْرَى مِثْلَ (جُفَاةُ
، عُصَاةُ) ، (نَصْحِهِ ، قَدْحِهِ) ، وَتَوَسَّطَ بَيْنَ هَذَا التَّكْذَلِ السَّجْعِيِّ تَضْمِينٌ (لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَاصِرٍ أَمْرٌ) ،
فَشَكَّلَ وَاسِطَةً صَوْتِيَّةً بَيْنَ الْمُتَجَانِسَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي انْتَضَمَتْ وَفَقَّ تَشْكِيلَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ مُتَجَانِسَةٍ ، فَالْحَسْرَةُ
وَالنَّدَامَةُ تَحَقُّقًا لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَطِيعُوهُ (ع) وَهُوَ النَّاصِحُ الْمَشْفُوقُ ، وَالْعَالِمُ الْمَجْرَبُ .

وَبَعْدَ أَنْ قَدَّمَ لَهُمْ مَنخُولَ رَأْيِهِ . وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ لِلْفِظِ (النَّخْلُ) لِاسْتِخْلَاصِ أَسَدِّ آرَائِهِ ، وَأُجُودِهَا
لَهُمْ (١) . وَعَصَوَهُ ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ كَمَصِيرِ أَصْحَابِ قَاصِرٍ حِينَ لَمْ يَأْخُذُوا بِنَصْحِهِ .

كَانَ (ع) عَنْ حَالِهِ مَعَ قَوْمِهِ بِحَالِ قَاصِرٍ . مُورِدُ الشَّاهِدِ . لِتَشَابَهِ تَجْرِبَتِهِ (ع) مَعَ تَجْرِبَةِ قَاصِرٍ
بِقِصَّتِهِ الْمَعْرُوفَةِ حِينَ نَصَحَ قَوْمَهُ ، فَلَمْ يَأْخُذُوا بِنَصْحِهِ ، حَتَّى دَفَعُوا ثَمَنَ مَعْصِيَتِهِ حَيَاتِهِمْ (٢) ، وَالَّتِي
أَصْبَحَتْ مَثَلًا فِيمَا بَعْدَ ، وَبِتَضْمِينِ هَذَا الْمَثَلِ حَمَلِ الْأَمَامِ النَّصِّ لُغَةً أُشَارِيَّةً ، رَمْزِيَّةً مُدَّفَّةً .

وَتَعَاقَبَ الصِّفَاتِ لِلْقَوْمِ (الْمُخَالَفِينَ الْجُنَاةِ) ، (وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ) نَدْرَكَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ التَّوَكِيدِ
، وَهَسْحَةً مِنَ الذَّمِّ الصَّرِيحِ لَهُمْ .

(٣) وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ وَغَائِبِ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ . دِيوَانُ عَيْبِدِ بْنِ الْأَبْرَصِ ، ص : ٢٦ .

(٤) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ ، خ (٣٤) ، ج ٨١/١ .

(٥) يَنْظُرُ : شَرْحُ ابْنِ مِيثَمِ الْبَحْرَانِيِّ ، ج ٢٧٣/١ .

(١) يَنْظُرُ : شَرْحُ ابْنِ مِيثَمِ الْبَحْرَانِيِّ ، ج ٢٧٣/١ .

(٢) يَنْظُرُ : الْبَابُ الثَّانِي ، الْفَصْلُ الْأَوَّلُ ، ص : ١٨١ .

وقوله (ع) : (ضَنَّ الرَّئِدُ بِقَدْحِهِ) ، مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَبْخُلُ بِفَوَائِدِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ لَهَا قَابِلًا عَارِفًا بَحَقَّهَا ، أَوْلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ إِفَانَتِهَا ، فَانَ الشَّيْرُ إِذَا انْتَهَمَ ، وَاسْتَعْشَّ ، أَوْ خَطَّئِي فِي رَأْيِهِ ، رَمَا لَا يَنْقَدِحُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ رَأْيٌ صَالِحٌ لِحُكْمِ الْغَضَبِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ مُخَالَفَتِهِ وَعَدَمِ قَبُولِ رَأْيِهِ^(٣) ، فَالْتَضْمِينُ هُنَا لَيْسَ بِكَاشِفٍ لِّلْمَعْنَى فَقَطْ بِقَدْرِ مَا هُوَ كَاشِفٌ لِحَزْنِ الْإِمَامِ ، وَلَوْعَتِهِ ، وَهَذَا مَا يَعْزُزُ اللَّغَةَ الْإِشَارِيَّةَ ، وَالرَّمْزِيَّةَ الْمَكْتَفَىةَ .

ويتناسق موسيقي آخر ورد في جملتين متوازيتين قال (ع) : ((الْمَيْتَةُ وَلَا الدَّيَّةُ ، وَالتَّقَلُّ وَلَا التَّوَسُّلُ))^(١) ، وَأَضْفَى التَّشْدِيدُ فِي الْمَفْرَدَاتِ : (الْمَنْيَّةُ ، نَيْيَّةٌ ، تَقَلُّ ، تَوَسُّلٌ) إِيقَاعًا يَسْهُمُ فِي رَفْدِ ذَلِكَ التَّنَاسُقِ ، فَتَجَّعَ عَنْ ذَلِكَ كَلِمَةً إِيقَاعًا عَذْبًا ، تَشْكَلُ بِتَتَابُعِ مُنْصَلِّ لِلْأَصْوَاتِ الْمُنْجَمَةِ . جُمْلَتَانِ اسْمِيَّتَانِ تُوَحِّيانُ بَدَبَاتِ حَقِيقَتَهُمَا ، وَتَحْمِلَانِ أَمْرَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فَالْمَنْيَّةُ : (الموت) خَيْرٌ مِنَ الدَّيَّةِ (العار) ، أَي: أَخْتَارَ الْمَوْتَ عَلَى الْعَارِ^(٢) ، وَ(الدَّيَّةُ) هِيَ الْحَسِيْسَةُ مِنَ الْأَمْرِ تَرْتَكِبُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَكثِيرٌ مِنَ الْكِرَامِ يَخْتَارُونَ الْمَوْتَ عَلَى ذَلِكَ^(٣) .

وَأَدَّى الْجِنَاسُ دَوْرًا بَارِزًا فِي تَوْلِيْفِ هَذَا التَّجَانِسِ الصَّوْتِي النَّاتِجِ عَنْ تَضْمِينِ قَوْلِ (أَوْسُ بْنُ حَارِثٍ) وَالَّذِي سَارَ مَثَلًا بَيْنَ النَّاسِ^(٤) ، وَبِذَلِكَ ادْخَلَ التَّجْرِبَةُ الْقَدِيمَةُ لِلْمَثَلِ ، وَأَعَادَ تَشْكِيلَهَا فِي سِيَاقِ

(٣) شرح ابن ميثم البحراني ، ج ١/٢٧٤ .

(١) نهج البلاغة ، خ (٣٩٦) ، ج ٣/٢٤٨ .

(٢) ينظر: مجمع الأمثال ، ج ٢/٣٠٣ .

(٣) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢/٦٢٧ .

(٤) ينظر: جمهرة الأمثال ، ج ٢/٢٥٣ ، ومجمع الأمثال ، ج ٢/٣٠٣ .

وَنَسَبَهُ صَاحِبُ الْأَغَانِي إِلَى (هَانِيِ بْنِ أَبِي مَسْعُودٍ) ، أَوْ إِلَى (هَانِيِ بْنِ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِيِّ) ، مُحَرِّضًا يَوْمَ (ذِي

قَارٍ) ، كَمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْجَمْهَرَةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ .

ينظر: الأغاني ، ج ٤/٦٨ .

ينظر: جمهرة الأمثال ، ج ١/٣٧ .

مُلَمَّحٌ لَهَا، إِذْ أَنْ وَضَعَ الحَرْفَ ، أَوِ الكَلِمَةَ ، أَوِ الجُمْلَةَ عَلى نَحْوِ ما ، إِنَّمَا يَكُونُ لِـمَلَمَحٍ فَنِي تَأْتِي فِي
مُقَدِّمَتِهَا المَوْسِيقِي

الفصل الثالث

خصائص التضمين

المبحث الأول: الخصائص الدلالية.

المبحث الثاني: الخصائص الفنية.

مدخل :

تتميز التضمين بخصائص عديدة ، تتوعت في مزاياها وتعددت في مسيئتها ، غير أنها برزت في مسميين بارزين ، وتوزعت بينهما ، وهما ، (الخصائص الدلالية) و(الخصائص الفنية) ، ولكل منهما أقسامه ، وشواهد التي تدل عليه ، وتشير إليه ، قد تشترك - في كثير من الأحيان - في قواسم مشتركة لكنها تتصهر أخيراً في بوقّة التضمين ، سواء أكانت أشعاراً أم أمثالاً ، فتظهر لنا نصّاً ذا دلالة ، وجمالية فنية ترفقه . ولا بدّ من الاعتراف بادئ ذي بدء أن النصّ النهجي قد تطغى فيه خصيصة دلالية ، أو فنية ما عند التضمين لكنها تبقى ليست الوحيدة الفاعلة في ساحته ، وقد برهن النصّ النهجي عن جدارت اسلوبية مميزة⁽¹⁾.

(1) يرى عزيز السيد جاسم أنّ النصّ عند الإمام(ع) وُلد مُتكاملاً في تأنيبه الوظيفية الخاصة به رغم أنّي برهن - في حالات

ثانية - عن جدارت اسلوبية " .

سلطة الحق، ص: ٢٨٦ .

والتضمين يجعل للنص الحاضر له المقدره على منح المتلقي قراءة جديدة في فضاءات دلالية ، وخطايات جمالية تمكنه من سبر غوره ، وان كان الأمر يحتاج إلى شيء من التدقيق وإعمال الفكر .

إلتوزيع الخصائص للتضمين ظل مؤمرا بين دلالي وفني كسابقه في الاقتباس في ضوء منهجية ضاغطة نحو هذا التوزيع ، لذلك سيدور الفصل حول هذين المحورين .

المبحث الأول : الخصائص الدلالية

وتمثلت في جملة من الصائس التي تتعلق بالجانب الدلالي وعطاءاته، وهي:

أولاً : التنوع الأدبي ، لالتنوع ، وأساليب ، فيمو ، أشكاله .

يتنوع العطاء الدلالي للتضمين تبعاً لتنوع أساليبه وأشكاله وسيان في ذلك تضمين الشعر أو النثر ، ويتأتى ذلك كله من توعات كثيرة، لعل من ابرز مصاديقها ما يلي :

نوده : أو دلالة الشعر بتنو ، ع أسبلاته ، ضميرينه .

لقد عمد الإمام(ع) إلى أنواع من التضمين الشعري على وفق مطلبية دلالية مقصودية نراه في ضمّن شطراً من بيت تارة أو بيتاً كاملاً أخرى، ولا بد من وجود دواع استدعت استحضر هذا النوع من التضمين دون سواه، ويتبين هذا في تتبع دلالة كل نوع منها، والوقوف عندها والنظر إليها والمقارنة بينها، وهي :

التميز - فيمو ، الجزئي للشوولات ، ه النبي ، ص .

ليس من المعقول بمكان أن يتم هذا النوع من التضمين لشطرٍ من بيتٍ دون قَصْدٍ مَرْجُوَّةٍ ، كالذي حصل حين ضَمَّنَ ثلاثةَ أشطرٍ من ثلاثة أبياتٍ في كتابٍ له (ع) بعث به جواباً إلى معاوية بن ابي سفيان^(١)، تضميناتٌ تتوَعَّتْ دلالتها بين (التوبيخِ ودفع الشبهة والتَّهْدِيدِ) على التوالي وفق السياق الذي ورد فيه كلٌّ منها .
جاء تضمينه (ع) الشطر الأولَ وظُفَّافاً في موردٍ بيانه أن الأمر لا يتعلق بك - يا معاوية - ((فَتَلِكْ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَهْلًا))^(٢).

وتضمينه (ع) للشطر الثاني (وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمَتَّصِحُّ) في سياقٍ مَهَّدَ لمثلِ هذا الردِّ، ودفع الشبه التي أوردها معاوية في كتابه .
والشطر الثالث (لَبَّثَ فَيَلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلًا) لا يخفى ما فيه من تهديدٍ ووعيدٍ ظاهرين دون الحاجة إلى الرجوع لسياقه الذي ورد فيه .

وعلى العكس من ذلك تماماً حين نرى التضمينَ الشطريَّ مُوصِلاً إلى دلالةٍ بالتضافر مع ما جاوره من السياق، كما في ضمينه شطرٍ لامرئ القيس: (وَدَعِ عَنْكَ نَهْباً صِيحاً فِي حَجْرَاتِهِ) كما مرَّ في موضعٍ سابقٍ^(٣).
يتوضح مما تقدّم أنه (ع) إنما يأتي بمثلِ هذا التضمين في كتبه - في الأغلب - أولاً، وفي مخاطبة عدوّه ثانياً، ومُعرباً عن سخطه في توبيخ، أو تهديد، أو بترمٍ ثالثاً، وفي حديثه مع أعدائه عند التوبيخ والتهديد كأنه (ع) يكتفي بالآلة المُرَكَّزة للشطر، للوصول إلى ما يبتغيه من معانٍ بأوجز صورةٍ، وأقلِّ قدرٍ من الكلمات.

في الأغلب الأعم لم يكن حيناً معنًى يَحِبُّ من أنصاره، أو أتباعه فالزجر والتهديد والوعيد تَقَرُّعُ القلوب والأجساد قبل أن تَقَرُّعُ الأسماع .

٢- ضمناؤه - يُلْهِمُ - عري الكواثر - في دلالته - ص .

ورد التضمينُ المباشرُ الكاملُ للبيت الشعري في النصِّ النَّهْجِي في مواضع تُقَوِّمُ^(١)، وإذا كان تضمينُ الاشطار قد ورد في أغلبه في كتب الإمام (ع) فإن تضمينَ البيت جاء أكثر في خطبه (ع)، وبذلك يختلف الدافع النفسي والدلالي لها، من ذلك ما جاء في خطبته (الشَّقْشَفِيَّة) حيث ضَمَّنَ قولَ الأعشى :

(١) نهج البلاغة، ك(٢٨)، ج٣/٣٧-٣٩.

(٢) ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٥٥-١٦٣.

ويرى التستري في شرحه أن التضمين جاء للاحتجاج أو الدفاع .

ينظر: بهج الصباغة، التستري، ج١٣/٢١٠ .

(٣) ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٨٥.

(١) لم يدخل الاستشهاد الشعري في دائرة التضمين لأسبابٍ تقدّم بيانها، وقد ورت في بعض خطبه، وكتبه (ع) في أماكن متفرقة من النهج.

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمٌ حَيَانَ أَخِي جَابِرٍ (٢)

وقد جاء به مُعَبَّرًا عن شكواه التي أسقطها في تضمينه لقول الشاعر لما وجده مناسباً للمقارنة بين خلافتيه وخلافة من سبقه، واختلاف الحال في كل. وهكذا الأمر حين ضُغِّقَ بيتاً آخر حين تواترت عليه الأخبارُ باستيلاء أصحاب معاوية على اليمن، وهو قول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَاعَمْرُو إِنِّي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ (٣)

لقد أوردته ليدُعبَّرَ به عن حزنه في سياقٍ داعمٍ لمثل هذا التعبير، والتضمين حتى يصل بنا أخيراً إلى التمني، فيستحضر بيتاً آخر هو:

هَذَا كَ لَوْ دَعَوْتَ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ (٤)

يجد المتلقي نفسه إزاء تضميناتٍ لأبياتٍ في الخطب فقط وفي مورد الشكوى، والتمني، والحزن، في كلام مع الأصحاب والأنصار.

وعند المقارنة بين النوعين يبرز التفاوت الدلالي في سياق المقال تبعاً لاختلاف مقتضى الحال، وكلاهما لا يخرج عن محوريه النصوص الدلالية التي استضافتها، إذ لم تكن بمعزلٍ عنها في كلا النوعين. إن النص النهجي عبر التضمينات الشعرية يكشف عن ذوق الإمام (ع) في اختيار الشعر العربي، كما إنها كشفت عن معرفته الدقيقة بمعاني الأشعار، وقبل هذا وذاك كان مفصلاً عن حزنه، ولوعته، وأمله (ع)، أنه تعبير عن إخفاء كل ذلك، وإفصاحاً للأمل، وما زال ذلك كله مستوراً في نصوصه (ع)، فكأنما الإخفاء والإفصاح متلازمان، وكانت الإحالات التضمينية متوقفة تماماً مع المعاني التي أرادها (ع) في كلامه فأعطت الدلالة الطلوبة، والمرجوة.

ثالثاً تراكم التضمين أثره في دلالة النص .

ونقصد بالتراكم التضميني تواجد تضمينات عديدة في نص واحد، وهو من الأساليب الفاعلة في الأثر الدلالي، ويأتي هذا الحشد التضميني في النص بغية شحن الموقف والتأثير في المتلقي، فيغدو صيغة نصية شديدة التكثيف.

ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٦٥ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٣)، ج١/٢٦ .

(٣) نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج١/٦٠ .

(٤) نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج١/٦١ .

وعندها يفتح النص على باحة التأويل المتعدد بتعدد التضمينات ، ويصبح فاعلا بمقدار فاعلية تسخيرها ، أو مقترباتها أو بما تُوحي به من دلالات .

تداخل كلامه (ع) مع تضمينات كثيرة فُعةً واحدةً كما يتضح لنا في إحدى خطبه^(١)، لإحساسه (ع) بالحاجة إلى دفعٍ لالي، لكي يُ وصل المُتلقِي إلى دلالة ما، فيدعه يتفاعل مع الحدث، وجسامته^(٢)، وللتعبير عن شدة بَرَمه، وغضبه مما حدث، فبدأ بالنفي والشرط: (ما هي إلا الكوفة أقْبِضْها وأبسطها، إن لم تكوني إلا أنتِ تهب أعاصيرِكُفَ قَبْحِك اللهُ)، ثم استحضر قول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ^(٣)

لقد عبر به عما هو فيه فجاء التضمين: (إنني على وضْرٍ من ذا الإناءِ قَلِيلٍ) وإيّا في التعبير عن ذلك، والإشارة إليه ، تداخل نصّه مع هذا الحشد التضميني ، ويلحظ فيه تراكم تناصي بحيث سمح لتداخل النصوص والخروج بها إلى دلالة جديدة مقصودة .

بعد استعراضه لما حلّ من عبّ جنود معاوية، وفنك (بسر بن ابي ارطاة) استحضر تضمينا آخر متمّماً، ومعمّراً عما يتمناه بعد تقاعس أنصاره فقال: (أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من نبي فارس بن غنم: هُنَالِكَ، لَوْ دَعَوْتُ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلَ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ^(١))

كل من التضمينات يعطي مساحةً دلاليةً معينة، فتلتحم أخيراً في فضاء النص .

وحيث أراد (ع) أن يبعث بجواب على كتاب بعث به معاوية إليه، وأورد حشداً من التضمينات، (كناقل التمر إلى هجر، داعي مسدده إلى النضال، قد حنّ قدح ليس منها، وتلك شكاة ظاهر عنك هاؤوف ربّ ملوم لا ذنب له ، وقد يستفيد الظنّ ثمة النصّح. بث قليلاً يلحق الهيجا حمل)^(٢)، وهذه كلها تضمينات انتشرت بين سطور الكتاب لكي تُفصح عن رغبته (ع) في دفع ما انهمه به معاوية، وبعد ما تبين المقصد الدلالي لها في مواضع سابقة^(٣)، يتوضح هنا الدافع وراء هذا الاستحضر الحاشد، إذ أدى وظلّ إليها إلى بروز دلالاتٍ متعدّدة متحرّكة استطاع الإمام بها أن يجعل مُلقّيّه أمام إطلاقة نابضة تزخر بالأخيلة، والصّور .

(١) نهج البلاغة، خ (٢٤)، ج ١/٥٩-٦٢ .

(٢) تواترت الأخبار باستيلاء جند معاوية بقيادة (بسر بن أبي ارطاة) على اليمن، وطرد عاملها والعبيث بأمنها

ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٦٦.

(٣) نهج البلاغة، خ (٢٤)، ج ١/٦٠ .

(١) المصدر السابق، ج ١/٦١ .

(٢) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤-٤٠ .

(٣) ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٥٦، والفصل الثاني ، ص ١٧٧ .

من ذلك إشارته إلى قصة (يوم سبأ) وتفرقهم في البلاد بعد تداعي سد مأرب في إشارته الدالة وقعت في تضمين (أيادي سبأ) في قوله لأصحابه: ((وأحسكم على جهاد أهل الغي فما آتني على آخر القول حتى أراكم مقدرين أيادي سبأ))^(١).

و (أيادي سبأ) ذلك ضرب للمتقين اقتربا بلما ي صاحبه من قصة معروفة، فأصبح النص بفعل الإشارية التضمينية ذا طابع اختزالي تكثيفي والتكثيف وان كان إجازا في اللفظ إلا أنه يقود إلى غنى المعنى .
أو حين المَح إلى معنى كبير في الإشارة إلى (صير) وما عرف من أمره مع قومه حين أمرهم فلم يطيعوه، وما حل بهم بعد ذلك، فقال (ع): ((... ونحلتكم مخزون رأيي، لو أكي يطاع لقي صير أمر))^(٢)، في إشارة دالة إلى قصة معروفة قولا محة تدل على معناها .

أو كما في تضمينه للمثل ((آخر الداء الكي))^(٣)، حين حتم به كتابا بعثه جوابا لمن سأله عقاب من أجاب على عثمان عبدا ب و يع .

لقد تلمت الكثافة الدالية في تلك التضمينات التي جعلت النصوص تزخر بالور الدالية التي صنعها التلميح، ولخصتها الإشارة بكلمات دالات لا تحتاج سوى وقفة قصيرة لنرى قصد الإمام (ع) وغايتها .
وهذه الإشارات والتلميحات تمنح النصوص مفاتيح لمعان مركوزة في ذهن المُلقِّي، وتمثل التكثيف الدالي في الأمثال الموظفة للنصح والإرشاد، حتى غدت النصوص كفضاءات متعدّدة المعاني .
والنصوص هنا تقوم على استدعاء قصة أو حادثة تقذف بدلالاتها في النص فيغدو حزمة من المعاني الدائرة في فك المعنى العام للنص .

لم يقتصر التكثيف على المثل دون الشعر في النص النهجي، ومن مصاديق ذلك تضمينه لأشعار عديدة كما مر من نماذج، لا سيما في تلك التي بثها (ع) كإشارات دالة، ولمحات معبرة، عن المعاني الشعرية التي ذاعت وانتشرت كأمثال بين الناس كقوله (ع): ((فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كذب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خربت، وهذه الأمة قد فنكت وشغرت فببت لابن عمك ظهر المجن، ففارقننح المفارقين))^(١).

ترادفت الأحداث وتتابعت سوية - بدلالة حرف العطف الواو - في جمل موصولة، رسمت صورا للزمان الذي كذب والعدو الذي حرب في زمان خربت فيه أمانة الناس، لنصل إلى ألم الإمام (ع) من هذه الخيانة التي حوت ذلك كله، من الكذب والحراية والفنك والقرق^(٢)، والخلو من الخير^(٣)، نحس جند ذبحرقه الحدث في قلب الإمام (ع) .

(١) نهج البلاغة، خ (٩٣)، ج ١/١٨٨ .

(٢) المصدر السابق، خ (٣٤)، ج ١/٨١ .

(٣) المصدر السابق، خ (١٦٤)، ج ٢/٩٩ .

(١) نهج البلاغة، ك (٤١)، ج ٣/٧٢ .

(٢) شغرت الأمة: تفرقت .

ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج ٢/٤٠٩ .

وقوله (ع): (قَبَّتْ لَابِنِ عَمَّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ) مَثَلٌ ضَبَّ لِنَهٍ يَخَالَفُ مَا عُهِدَ فِيهِ^(٤)، وَيَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّاتِهِ دَلَالَةً بِفَعْلِ الْإِحَالَةِ إِلَى مَا يَسْتَبَعُّهُ مِنْ ظِلَالٍ مَعْنَوِيَّةٍ مُخْتَلِةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ الْجَوِّ الْعَامِ لِلنَّصِّ وَالسِّيَاقِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ فَعَبَّرَ عَنِ وَاقِعٍ هَرِيرٍ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، نَسْتَشْعِرُهَا مِنَ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ التَّضْمِينُ .

رَابٍ تَقْيِيرِ دَلَالَةِ التَّضْمِينِ وَوَاقِعِهِ النَّصِّيِّ . ص .

تَعَدُّ الدَّلَالَةُ وَتَغْيِيرُهَا وَظِيْفَةُ هَامَّةٍ مِنْ وَظَائِفِ الْكَلِمَاتِ، بَلْ هِيَ هَدَفٌ رَيْسٌ لِأَيِّ نَشَاطٍ لُغَوِيٍّ^(١) . النَّصُّ عِبَارَةٌ عَنِ " جَمَلٍ مُتَابِعَةٍ "^(٢)، تَتَغَيَّرُ مَعَانِيهِ بِتَغْيِيرِ مَوَاقِعِهَا، وَإِذَا كَانَتْ الْكَلِمَاتُ تَلْتَزِمُ مَعَانِيَهَا الْمَعْجَمِيَّةَ فِي النَّصِّ، فَأَنْ التَّغْيِيرِ فِي مَوَاقِعِهَا فِي بَنِيَّةِ النَّصِّ يَفْتَحُ الْمَجَالَ أَمَامَ اِحْتِمَالَاتٍ دَلَالِيَّةٍ جَدِيدَةٍ - قَدْ - تَفْهَمُ مِنْ خِلَالِ السِّيَاقِ .

وتغْيِيرُ مَوَاقِعِ التَّضْمِينَاتِ فِي سِيَاقِ نَصُوصِ النُّهْجِ قَادِرٌ عَلَى تَتْوِيْعِ الْعَطَاءِ الدَّلَالِيِّ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تَمَثَّلُ خَصِيصَةً مِنْ خَصَائِصِ التَّضْمِينِ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ (ع)، فَنَرَاهُ فِي اِثْنَاءِ النَّصِّ تَارَةً *، وَأُخْرَى فِي نَهَائِيَّتِهِ يَخْتَمُ بِهَا نَصُوصُهُ.

دَلَالَةُ التَّضْمِينِ فِي مَوَاقِعِ اِثْنَاءِ النَّصِّ . ص .

(3) ويرى ابن أبي الحديد في شرحه: " شَغَرَتِ الْأُمَّةُ : لَحَّتْ مِنَ الْخَيْرِ " .

شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦/١٣٣ .

(4) نهج البلاغة، ج ٣/٧٣ .

ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص: ١٧١ .

(1) عناصر الإبداع في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤م، ص: ١٠٧ .

(2) اللغة والسياق، ص: ٢١٨ .

* ليس هنالك تضمينات بدأ بها (ع) خطبه أو كتبه، واقْتَصَرَ عَلَى النُّوعَيْنِ الْآخِرَيْنِ فَقَطْ وَالْقَوْلُ: (فِي اِثْنَاءِ النَّصِّ) نَقْصِدُ بِهِ مَا لَيْسَ فِي بَدَائِيَّتِهِ لَيْسَ فِي نَهَائِيَّتِهِ، وَقَدْ يَقْتَرِبُ مِنْ وَسْطِ النَّصِّ أَوْ يَبْتَعِدُ عَنْهُ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً .

كثُر هذا النوع من التضمين في خطب الإمام، أو كتبه ليكون جزءاً لا يتجزأ من سرد النصّ وبنيتِه، إذ يبقى النصُّ غيرُ مكتمل البناء والمعنى عند رفعه من النص .

لقد استطاع (ع) يُّوجِدُ علاقةً وثيقةً بين ما ضمَّنه والنصوص التي استضافت تلك التضمينات حين يتداخلن عبر التضمين، فتتحرك المعاني المضمَّنة كإشاراتٍ كاهِدةٍ عن المعنى العام للنص بما تحمله من معانٍ ساندٍ له، عندئذٍ يصبح النصُّ نسيجاً متداخلاً تدور المعاني فيه حول محورٍ دلاليٍّ مقصود .

من الصعوبة بمكان فهم المواد من ذلك كله دون الاستعانة باللوازم التي تساعدنا في تكوين فكرةٍ عامَّةٍ عند تداخل النصوص وامتزاجها^(٣)، أو دون الاستعانة بالسياق لأنَّ " السياق وحد هو الذي يساعدنا على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانتقالية"^(٤)، وسيان في ذلك بين تضمين الشعر، أو المثل، فكلاهما يأتي منمَّماً لمعنى السياق النصِّي .

عند النظر في تضمين الاضطار الثلاثة^(٥) في إحدى خطبه نجد لها أتت ضمن سياقٍ سرديٍّ دال، فالشطر الأول جاء بعد قوله: ((وزعمت إني لكل الخفاء حسدت، ولئى كلاً هم بغيت فأن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك علها وقلت: إني كنت أفاكماً يُّقَادُ الجملُ المخشوش حتىُّ بلأبع))^(١).

والثاني في سياقٍ قوله: (وما كنت لأعتذر من أئى كنت أنقم عليه أحداً، فأن كان الذنب إليه إرشادي وهدائي لا فؤرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت)^(٢).

والثالث ورد في السياق: ((وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكت جد است عبار، قى ألف بيت بني عبد الملأب عن الأعداء ناكين، وبالسيف مخوفين لا بث فيلاً يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد))^(٣).

الشطر الأول ارتبط! بما قبله بحرف العطف، وكأته (ع) قد وحد بينه وما سبقه بهذا الحرف الذي جاء من أصل الشطر ومبناه، (ليس الجناية عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك علها) ثم وصله بما بعده بحرف عطف آخر وهو الواو: (وقلت)، فيدرك المتلقي الاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه بالزمان دون وجود فاصلة زمنية بينهما، وكذلك الثاني حين تمَّ به كلامه (ع): (رب ملوم لا ذنب له)، (وقد يستفيد الظنة

(3) والمقصود بذلك لازمة السياق، أو المقام، أو المقال، أو غيرها من اللوازم .

(4) دور الكلمة من اللغة، ص: ٦٤ .

(5) ينظر: الباب الثاني، الفصل الثالث، المبحث الأول، ص: ١٦٣-١٦٤ .

(1) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٧ .

(2) المصدر السابق، ج ٣/٣٩ .

(3) المكان نفسه.

الْمَتَّصِح) ، حيث وصل بحرف العطف (الواو) ، أما الثالث فقد ارتبط بما قبله ومتمماً لمعناه، (متى وجدت بني عبد
الطَّل لب عن الأعداء ناكِلين وبالسَّيفِ مُحَوِّين لَبَّثَ قَلِيلاً

ونجح(ع)أيما نجاح في ضمَّ ما ضمَّنه من شطرٍ شعريٍّ آخر وجعله فاعلاً في إظهار المعنى وإتمامه،
ومسأهاً في استكمال بنية النص السردية ، حين تعلق ما بعده بما بقاه بحرف عطف هو من بنية الشطر،
حتى بدا النصُّ نسيجاً واحداً ؛ في قوله(ع): ((فَأَتَاهَا كَانَتْ أَثْرَةً شَحَّتْ لَيْهَا نُ فَوْسُ قَوْمِ ، وَسَخَتْ نَهَا نُ فَوْسُ
آخِرِينَ ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَدَّ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : وَدَعَّ عَنْكَ نَهَباً صَبِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ ، وَهَمَّ الْخَطْبُ فِي ابْنِ أَبِي
سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ لِكَاثِهِ ، وَلَا غَرَوُ وَاللَّهِ فَيَالَهُ خُطْبَاً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبُ وَيُكْثِرُ الْأَوْدُ ، حَاوَلَ الْقَوْمُ
إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ وَسَدَّ وَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ)) (٤).

والملاحظ في تضمينه للأشطار إنها في أغلبها جاءت لتشتزك في السياق السردى لكلامه(ع)
وتجلى الأمر بصورة أوضح في التضمين غير المباشر بنوحيه القريب والبعيد في كثير من المواضع (٥).
ولتضمين المثل دور في رسم المعاني وإتمامها في سياق النص ودور إبداعي في تشكيله حين يستحضره
الإمام(ع)ن حافظته وخزينته الثقافي،فهو قوي الحضور في ذاكرته(ع) .

وعند العودة إلى السياق نجده يشي بمثل هذه الخصيصة، فالسياق هو "الجمع الذي يدُّ حال إليه المتلقي
كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظاً أو قابلاً للشرح اللفظي" (١).

ومن مصاديق ذلك تضمينه للمثل (كان يطاع لِقَ صِيرَ أَمْرٍ) في قوله(ع): ((وَقَدْ كُنْتُ أَمْرَتَكُمْ فِي هَذِهِ
الْحُكْمَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأَيْلُو كَانِ يَطَاعَ لِقَ صِيرَ أَمْرٍ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْخَالِ فِي الْجَنَاءِ)) (٢).
نجد بين الجملتين (نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأَيْلُو) (كان يطاع لِقَ صِيرَ أَمْرٍ) كمال اتصال، باعتبار أن الثانية
جاءت لبيان الأولى فترك الوصل بينهما .

ومن قوله(ع) لأصحابه في بعض أيام صفين: ((... فَأَنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِ قَدِّمِ اللَّوْثِبَةِ يَدَاً، وَأَخَّرَ
لِلنَّكُوصِ رِجَالًا، فَصَمًّا صَمَدًا حَتَّى يَجْلِي لَكُمْ الْحَقَّ)) (٣).

أعطى المثل صورةً لذلك الشيطان المتردد، فحاله أشبه ببنو يدٍ قَدِّمِ يَدَاً لِلنَّوْءِ وَيُؤَخَّرُ رِجَالًا لِلنَّكُوصِ، فلو رفع
التضمين لم يتوضَّح كمن الشيطان وصورته التي توهن العزم في نفوس أصحابه(ع) في صفين .
أو حين جعل المثل (رمى بأفوق ناصِل) في بنية قوله(ع): (المغرورُ والله من غررتُموه، ومن فاز بكم والله
فقد فاز بالسهم الأخبب، ومن رمى بكم بأفوق ناصِل) (٤).

(٤) نهج البلاغة، خ(١٥٧)، ج٢/٧٩-٨١ .

(٥) ينظر: أنواع التضمين في نهج البلاغة، الباب الأول، الفصل الأول، ص: ١٦٨-١٧٣ .

(١) الخطيئة والتكفير، ص: ٣ .

(٢) نهج البلاغة، خ(٣٤)، ج١/٨١ .

(٣) نهج البلاغة، خ(٦٣)، ج١/١١١ .

(٤) المصدر السابق، خ(٢٨)، ج١/٧٠ .

وكذلك في قوله مُضْمَنًا حَسَدًا مِنْ الْأَمْثَلَةِ لَكُونَ بِمِثَابَةِ بَنَاتِ أُسَاسِيَّةٍ فِي بِنَاءِ كِتَابِ لَهُ (ع) بَعَثَهُ إِلَى
مَعَاوِيَةَ ، فَضَمَّنَ الْأَمْثَالَ: ((كُنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْر))^(٥)، ((دَاعِي مَسَدَّهُ إِلَى النُّضَال))^(٦)، ((لَقَدْ حَنَّ قَدَح
لَيْسَ مِنْهَا))^(٧)، وجعلها في جملة كلامه.

وبعد بيان ما تقدّم لا بدّ من القول أنّ الشّعر والمثّل بوصفهما جنسين أدبيّين عند تضمينهما في نصّ ما
يبقيان مرتبطين بسياق ذلك النص، مع الإحالة إلى سياقاتٍ خارجيّةٍ مقصودة .

دلالة التضمين الواقعي - هاية - نص .

لقد كانت التضمينات السابقة - بين ثنايا النص - جزءاً من البناء الدلالي فيه، وكذلك الأمر حين يتغير
موقعها فتصبح في أواخر النصوص .

من ذلك قوله (ع) في خطبة له لمدوّع في سمعه (ع) من أخبار سيّئة ، ودخول جند معاوية اليمن وطرده
عالميه عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران ، وتناقل أنصاره عن ردهم ختم مخاطباً أصحابه ((أما والله لو ددت
أنّ لي بكُم ألف فارس من نبي ف راس بن غنم
هناك لو دعوت، أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم))^(١)

وكأنه (ع) هذا التضمين لخصّص كلاًه كلاًه في مذنية عبّر عنها بقول الشاعر، بما يعرف بالإسقاط النفسي
حيث وجده معوّاً أصدق تعبير عمّا يختلج قلبه، بغضّ الظّر عن خصوصية موقف كلّ منهما .
وقد يوصل التلقّي إلى نتيجة ريد إيصاله إليها، كما في خطبته التي دعا فيها - بعد حمد الله وتزويجه عن
الصفات - إلى الاقتداء بالرسول والسّير في هديهم، والاستشهاد بحال المصطفى (ص وآله) في الدنيا، ونبذ
لزخرفها، فهو (ص وآله): (لم يضع حجراً على حجر تخّى مضى لسبيل، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم مئة الله

(5) المصدر السابق، ك(٢٨)، ج٣/٣٤ .

(6) المكان نفسه.

(7) المكان نفسه.

(1) نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج١/٦١ .

عَدْنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَبِّعُهُمْ قَادِدًا نَطَأَ عَقْبَهُ، وَاللَّهْلَقْد رَقَّعْتُ مِرْعَاتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مَنْ رَاقِعَهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا نَبَيْتُ ذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اعْزُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى (٢).

نَطَأَ عَقْبَهُ: أَي تَبَّعَ خَطْوَهُ وَنَسِيرَ بَهْدِيهِ، وَالْعَبْ يَفْتَحُ كَسْرٌ هُوَ مُؤَوِّدٌ الْقَدَمَ بِلُغَةٍ فِي الْإِتْبَاعِ وَالسَّلُوكِ عَلَى الطَّرِيقَةِ، نَقَفُو أَثَرَهُ خَطْوَةَ خَطْوَةٍ، حَتَّى كَأَنَّنا نَطَأُ مُؤَوِّدَ قَدَمِهِ (٣).

وَاخْتَرَتَ تَمَّ إِحْدَى خَطْبِهِ بِالتَّضْمِينِ: ((عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى)) (٤)، فَلَخَّصَتْ الْخُطْبَةُ بِهَذَا الثَّلَاثِ الَّذِي عَنَى: إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لُدَّه فَيَسِيكُونَ حَالَكُمْ كَمَنْ اتَّعَبَ نَفْسَهُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا، وَعِنْدَ ذَلِكَ سَيَلَقِي ثَمْرَةَ جَهْدِهِ بَعْدَ حِينٍ .

وَمِثْلُهُ حِينَ خَتَمَ كَلَامَهُ بِالْمَثَلِ " آخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ " فِي جَوَابِهِ مِنْ سَأَلِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي عَاقِبَةِ مَنْ أَجْلَبَ عَلَى عَثْمَانَ، فَقَالَ (ع): ((... إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ فَرَقَّةً رَتْنَى مَا تَوَّونَ، وَفَرَقَةً تَرَى مَا لَا تَوَّونَ، وَفَرَقَةً لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَلِكَ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ نَفْسَهُمْ عَنِ الْقُلُوبِ مَوَاقِعَهَا، وَتَوَخَّذْ الْحَقُوقُ مَسْمَحَةً فَأَهْدُوا عَنِّي، وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فِعْلَةً تَضْعِضُ قُوَّةً وَتَسْقِطُ مَهَّةً، وَتَوَرِّثُ وَهْنًا وَلِئَةً، وَسَأَمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذَا لَمْ أُجِبْ تَأَفَّ آخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ)) (١).

بَعْدَ بَيَانِ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ أَوْضَحَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيُؤَوَّلُ إِلَى مَا أَرَادُوا عِنْدَمَا يَأْتِي أَمْرٌ ذَلِكُمْ، وَسَيَمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنْ ذَلِكَ فَأَنَّ آخِرَ الدَّوَاءِ الْكَيِّ، وَهُوَ قَوْلٌ يَحْمَلُ جَوَابًا عَمَّا سَأَلُوهُ، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ سِوَى ذَلِكَ لَفَهِمَ الْجَوَابُ مِنْهُ نَاجِدًا دَلَالَةَ التَّلْخِيصِ وَالِاخْتِرَالِ فِيمَا ضَمَّنَهُ فِي أَوَاخِرِ النُّصُوصِ .

(2) المصدر السابق، خ(١٥٥)، ج٢/٧٦.

(3) ينظر: شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج٢/٧٦.

(4) المصدر السابق، خ(١٥٥)، ج٢/٧٦.

(1) المصدر السابق، خ(١٦٣)، ج٢/٩٨-٩٩.

المبحث الثاني - الذي: خصائص الفنية

إنَّ الجانبَ الفني هو الذي يزيد من روحية النص ، ويمدّه بالأخيلة والإلهام، بل هو الحد الفاصل بين اللغة المعيارية واللغة الأدبية .

والنص النهجي - باعتباره نصًّا أدبيًّا متعالياً - تميّز بخصائص فنيّة عديدة، وقد انعكس هذا الأمر على ما ضمّنه من شعرٍ أو مَثَل، إذ اصطبغا - عبر آليّة التضمين - بهذه الخصائص، تخطّت به حدود التشبيه والاستعارة والكناية وأدخّلتها في فضاءاتٍ من المُستفَات الفَنِّيّة المُختلفة كالمستوى الصوتي والمستوى البلاغي .

وفي ضوء ذلك نجد الخصائص الفنية هذه توجّهت بين تلك المستويات، وانضوت تحت أقسامها .

أو المستوى الص - وتري .

والتوظيف الصوتي في التضمين له دور أساس في رسم بعض من الخصائص المميزة له، وتنتج من اختيار مفردات دون سواها في تراكيب منسجمة مع بعضها، وفي سياق ملائم لها، وهذا ما سوف يُسلط الضوء عليه في هذا الجانب .

التلاؤم الص يوتين الت - ضم للنص الد - ناطه .

إن الإتيان بتضمين ما لم يكن بمعزل عن بناء النص الحاضر له، في دلالاته، أو موسيقاه، فالشعر أو المَثَحِين يَسْتَحْطِنان لا يُوْتى بهما مجردين، أو منزوعين عن سياق النص .
يتحقق التلاؤم الصوتي من عدم وجود تنافر بين حروف مفردات التضمين والسياق الوارد فيه، ويفضله يغدو التضمين جزءاً من البناء الموسيقي للنص لولا يُمْكِن التفريق بينهما لولا هذه الفروقات الجارية بين الأجناس الأدبية المجتمعة في النص، وتمثلت هذه الخصيصة الفنية في موردين هما:

ت ا يطوا - تضمين التلاؤم مع - يقس الن - ص الطرن .

من ذلك قوله (ع): ((اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ طَلْتَهُمْ وَشَدَّ مَتَهُمْ وَسَمَوْنِي، فَأَبْلَنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَوْءًا مَنِّي، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمِثُّ مِثْ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فَرَّاسِ بْنِ غَنَمٍ

هَذَا كَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ ((^(١))

إذ يجد المتلقي تَوَاجِدًا مُتَمَيِّزًا لحرف الميم، في المفردات: (مَلَّتْهُمْ، سَمَّتْهُمْ، سَمُّونِي، بِهِمْ، مِنْهُمْ، أَدِلَّهُمْ، مَنِّي، مَثٌ، قُ لَوْهَيْدٌ، مَاتٌ، الْمَلْحُ، الْمَاءُ، أَمَا، بِكُمْ، مَنِّي)، وعند التَّمَعُّنِ فيما ضَمَّنَهُ (ع) مِنْ شِعْرٍ نَجْدَهُ يَتَا طَافِحًا بِحَرْفِ الْمِيمِ هُوَ الْآخِرُ، وَقَتَّلَ فِي الْمَفْرَدَاتِ: (مِنْهُمْ، مِثْلُ، أَرْمِيَةِ، حَمِيمِ)، فأصبح بفعلِ هذا التساوق وكأنه قطعةٌ مِنَ النَّصِّ، ولا فرق بينهما، سوى الوزن والقافية .

وبهذا التلاؤم بين مفردات التضمين والنص يَحَقِّقُ إِيقَاعٌ مُوسِيقِيٌّ لِأَنَّ " الانسجام الصوتي الداخلي الذي يَنبَعُ مِنَ التَّوَافِقِ الْمَوْسِيقِيِّ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ وَدَلَالَاتِهَا أَوْ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ بِبَعْضِهَا هُوَ الْمَوْصِلُ إِلَى الْإِيقَاعِ الْمَوْسِيقِيِّ " (٢).

ومثل هذا في قوله (ع) في كتاب له بعث به جواباً إلى معاوية: ((وَزَعَمْتَ إِنِّي لَكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّ هِمٍّ بَغَيْتٌ! فَأَنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْغُرُوبُ عَلَيْكَ، وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ (عُلُوًّا)) (٣).
حيث وافق الشطر المضمَّن لقطع الذي استضافه في حضور حرف الكاف الظاهر في مفردات النص : (كُلُّ، كُلِّهِمْ، يَكُنْ ذَلِكَ، كَلَّكَ، عَلَيْكَ، يَكُونُ، إِلَيْكَ).

يَسْتَشْفِ الْمُتَلَقِّي لِلنَّصِّ هُنَا تَلَاؤْمًا صَوْتِيًّا قَائِمًا عَلَى اخْتِيَارِ مَفْرَدَاتِ سَارَتِ وَالنَّصِّ وَفَقِ نَسَقِ مُوسِيقِيٍّ يَرِفِدُ الْمَعْنَى بِدَمْحَةٍ فَنِيَّةٍ لَا تَقَلُّ تَأْثِيرًا عَنِ الدَّلَالَةِ فِيهِ .

ومن كتاب له (ع) لأبي موسى الأشعري ، عامله على الكوفة ، وقد لَبَّغَهُ عَنْهُ ثَبِيطَ النَّاسِ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ لَمَّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ: ((... أَمَا جَدُّ فَقَدْ دَبَّغَنِي ظُكُّ قَوْلٍ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ يَسُولِي فَأَرْفَعُ يَدَكَ وَأَشَدُّ مِثْرَكَ ، وَأُخْرِجُ مِنْ جُحْرِكَ ، وَأَنْدُبُ مِنْ مَعَكَ، فَأَنْ حَقَّقْتِ فَأَنْفُذِي ، وَإِنْ تَقَلَّتْ فَأَبْعُدِي، وَإِيمِ الْبَلَدِ وَتَيِّبِي مِنْ حَيْثُ أَنْتِ ، وَلَا تَتْرُكِي حَتَّى يَخْطُ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ وَحَتَّى تُعْجَلَ فِي قَعْدِكَ ، وَتَحْذَرِ مِنْ أَمَامِكَ، كَحَذْرِكَ مِنْ لَهْفِكَ...)) (١).

وقع التضمين في الشَّلِّ (٢) (لَا يَدْرِي أَيُّخْتَرُ أَمْ يَذِيبُ) بعد صياغته بهما يوافق النص الذي شكَّل الكاف نهايةً سَجَعِيَّةً لكثير من عباراته وفرداته (عَنْكَ، لَكَ، عَلَيْكَ، يَلَاكَ، مِثْرَكَ، جُحْرَكَ، مَعَكَ، تَتْرُكِي، قَعْدَتِكَ، أَمَامَكَ، حَذْرَكَ، لَهْفَكَ) .

(١) نهج البلاغة ، خ (٢٤)، ج ١/٦١ .

(٢) قضايا الشعر في النقد العربي، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار صادر ، بيروت ، ص : ٣٦ .

(٣) نهج البلاغة ، ك (٢٨)، ج ٣/٣٧ .

(١) المصدر السابق ، ك (٦٣) ج ٣/١٣٣ .

(٢) ينظر : مجمع الأمثال ، ج ٢/٢٨١ .

وينظر: جمهرة الأمثال ، ج ١/١١٠ .

فأوردته(ع) بصيغة لفظية تناسب موسيقى النص فقال مُعِدًا صِيَاغَتَهُ: (ولا تترك حَيَّ يَخَطُّ نِدْكَ بِخَاذِرِكَ ، وذَائِحُكَ بِجَامِدِكَ) ، ومعنى هذا المثل: " لتفسدنَّ حالَكَ ولتخطنَّ ، ولتضربنَّ ما هُوَ الآنُ منتظماً من أمرِكَ " (٣) ، أو كما يرى ابن ميثم البحراني في شرحِهِ هُنَّ مَثَلَانِ " كُنِّي بِهِمَا عَن خَلِيطِ أَحْوَالِهِ الصَّافِيَةِ بِالتَّكْدِيرِ ، كَعَرْتِهِ بِلِدَّتِهِ ، وَسُرُورِهِ بِغَمِّهِ ، وَسَهُولَةِ أَمْرِهِ بِصَعُوبَتِهِ... (٤) .

والإتيان به - أو بهما - بهذه الهيئة إنما هو حرصٌ منه(ع) على ملاءمة الألفاظ والجري به في ميدان موسيقى النص، إذ لما كان الكتاب موجهاً بصيغة الخطاب المباشر عبر الضمير المتصل (الكاف)، تراها ستحضر هذا المثل وفق هذه الخطابية المباشرة، والمؤثرة.

تأثر النص الأدبي بموسيقى التضمين .

ويجري إسهام ما ضمَّن في موسيقى النص حين يكون جزءاً من بنائه الموسيقي ، إذ يتَّمل ذلك في معلَّمين واضحين ؛ فتارة يشترك في بناء هندسة موسيقية متوازنة ، وأخرى يشترك في تشكيل موسيقى النص كالجناس مثلاً .

من العلام الأولى قوله(ع): ((أَيْنَ تَذَهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ وَتَنْتَبِهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ ؟ وَمَنْ أَيْنَ تَوْتُونَ وَأَيُّ قَوْمٍ كُونَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ ، فَأَسْتَمِعُوهُ مِنْ رَأْيِكُمْ وَأَحْضُرُوهُ قُلُوبِكُمْ وَاسْتَيْقِضُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ ، وَلِيَصْدُقَ رَأْدُ أَهْلِهِ ، وَلِيَجْتَمَعَ شَمْلُهُ وَلِيُحْضِرَ ذَهْنَهُ ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزُوقَ فِيهِ قَرْفَ الصَّمْغَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلَ مَأْخُذَهُ وَرَكِبَ الْجَهْلَ مَرَاكِبَهُ)) (١) .

وقع التضمين في قوله(ع): ((لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ)) و ((لِيَصْدُقَ رَأْدُ أَهْلِهِ)) ، وعند إمعان النظر في بنية النص نجدهُ موزعاً بين جمل مسجوعة متوازنة، فالثلاث الأولى اشتركت بسجع واحد: (مذاهب، غياهب، كواذب)، ثم بهجتين مسجوعتين انتهتا بالمفردتين: (توتون، توفكون)، تتبعهما جملتان مسجوعتان متوازنتان: ((لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)) و ((لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ)) ، ثم ثلاثة آخر تنتهي بالمفردات: (أهله، شمله، ذهنه)، وهكذا يسير النص على مثل هذه الوتيرة .

وبذا شكَّلت التضمينات جزءاً لا يتجزأ من بناء موسيقى النص، من خلال ذلك الاتزان، والتناسب ليمثل مظهرًا إيقاعياً ينسجم و سياق النص الصوتي .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ، ١٧ / ١٩٠ .

(٤) شرح ابن ميثم البحراني ، ج ٢ / ٤٧٥ .

(١) نهج البلاغة ، خ (١٠٤) ، ج ١ / ٢٠٨ .

وقد اخذ الاستفهام الاستكاري والتقديم - لكلّ أجل كتاب ولكلّ غيبة إياب - والتوكيدات المتنوعة دورها في توحيد النص وتلوين دلالاته .

وتكرر إسهام مثل هذا التضمين في رسم موسيقى النصّ في قوله عند وصفه آل البيت (عليهم السلام): ((فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن ظقوا صدقوا ، وإن صتوا لم يسبقوا ، فليصدق رائداه ، وليحضر عقله ، وليكن من أبناء الآخرة فإنه فيها قدم ، واليهما يتقرب ..))^(١) ، مثل التضمين هنا ملمحاً موسيقياً جميلاً توحد مع معنى النص وألفاظه .

وتمثل المعلم الثاني في تلك التضمينات التي شكّلت واسطةً بين مجموعاتٍ سجعية هذّونة ، لتكون بمثابة استراحات ، أو منطّقات بين تلك المجموعات ، كقوله (ع) في كتاب له بعث به إلى ابن عمّه عبد الله بن عباس هاتباً: ((... فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كذب ، والعدوّ قد حرب ، وأمانة الناس قد خزيت ، وهذه الأمة قد فنكت وشغرت ، قد بت لابن عمك ظهر المجنّ ، ففاقتّه مع المفارقين ، وخلّته مع المخاذلين وقتّه مع الخدّين ، فلا ابن عمك آسيت ، ولا الأمانة أدّيت...))^(٢) .

جاء التضمين لمعنى قول معن بن أوس :

قَبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِّ فَمِ أَدَمِ عَلَى ذَاكَ الْإِرَيْثِمَا أَتَحَوَّلُ^(١)

ومثلي واسطةً بين الجمّل المسجوعة: (كذب، حرب)، (خزيت، شغرت) والأخرى بعد التضمين هي: (مفارقين، خالنين، خائنين)، (آسيت، أدّيت)، وكان التضمين نقلةً موسيقيةً من نقلاتٍ مشابهاتٍ لتعطي تويحاً لها، وتلويناً مع ما بها من توازنٍ وانسجام .

وكذلك قوله (ع) لأصحابه بعد التحكيم مذكراً وموئخاً: ((... أما بعد فإن عصية الناصح النقيق العالم المجرّب تورث الحيرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم هذه الحكومة أمري، ونخلتكم مخزون ربي لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم علي إباء الخالفين الجناة والمنايين العُصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، ووضنّ الزند قَدْحَهُ))^(٢) .

اذ جاء التضمين لو كان يطاع لقصير أمر) كواسطة العقد بين الأسجاع: (حيرة، ندامة)، (أمرى وأبي) و (النجة، العُصاة)، (نصحه قَدْحَهُ) التي تحوّلت انسجاماً صوتياً في النصّ .

تغيير هـ ، وس يلقى اضمته .. لتظير ألع انبي .

⁽²⁾ المصدر السابق ، خ (١٥٠) ، ج ٢ / ٥٨ .

⁽³⁾ المصدر السابق ، ك (٤١) ، ج ٣ / ٧٢ - ٧٣ .

⁽¹⁾ المستقصى في أمثال العرب ، ج ٢ / ١٩٨ .

⁽²⁾ نهج البلاغة ، خ (٢٤) ، ج ١ / ٨١ .

تتغير التضمينات بتغير موضوع النص المُصنّف، فتتبدأ ألفاظه حيثما كان النصُّ في معرض الرّجاء والتهديد والوعيد، وتتساق هادئة عند النَّصح والموعظة والتذكير، ترتفع بقوته وتنخفض هامسةً بفتوره، أو قد تكون قوّة ثمّ يرتد إلى هدوء ثم يعود بها إلى سيرتها الأولى حين يتغير النصُّ بمواضعه بين صيغة وأخرى .

وتلك واحدة من الخصائص الفنية للتضمين، والمتلقي هنا يتمتع بتنوع موسيقى النصِّ، مثلما يتمتع بتنوع معانيه، وينتج عن ذلك أيضاً تواشج بين طبيعة التعبير الأدبي ونظامه الصوتي فتكمل بذلك أدبية النص .

في جواب شديد الوقع بعث به إلى معاوية يرد فيه على ما اتهمه به من حسد للخلفاء، وتحامل عليهم قال: ((... وزعمت لي ل كلّ الخفاء حسدت، وعلى لُدّهم بغيت فأن يكن كلّك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك علماً)) (٣).

استحضر تضميناً لشطرٍ من بيتي شاكل حنة الرّويّ سايره فيها، ويزداد التصيد قوّة فيما استدعاه من تضمينٍ لاحق حين وصل إلى التهديد له في ذلك الردّ فقال (ع): ((وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السيف، فلقد أضحك تبعد استعبار متى ألفت بني عبد الطّ لب عن الأعداء ناكين ، وبالسيف مخوفين لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل)) (٤).

بازدياد الحروف الانفجارية الشديدة المعربة عن الغضب وعدم الرضا ، ازداد مثلها فيما ضمّنه (ع) حيث (الباء ، والحاء ، والقاف ، والجيم ، والتاء) التي تُوحى بالشدة والقوّة ، لأنه في مقام الردّ والاستتكار والوعيد .

ولما كان النصُّ - في أغلبه - تكوّن من جملة قصيرة جاء التضمين لشطر البيت مُلائماً مع السياق، وجاء مُعبّراً عن حالة شعورية قويّة، وهذا التراكم الصوتي القلائم يمدّل انعكاساً للسياق الوارد فيه، وأسهمت نبراتها في كشف صورة المعنى للمتلقي .

إيقاع النص يساوق المعنى ويُسايه، فهو مثله متلاحق سريع ، كلُّ ما فيه تحرك ، والإيقاع اللفظي يكشف عن هذه الصيحة القوية وجاء ما ضمّنه داعماً له في الشدّة والقوّة .

فالشطر في حروفه وإيقاعه ونبرته حازم شديد وكأنه - بوزنه الرجزي - قيل في ساحة حرب وقتال، وقد زاد في سرعة النصِّ وصخبه فتثير في نفس المتلقي هزة ورهبة، وتوجس حتى نكاد نقطّع نعرًا وخوفاً بهذه الموسيقى القارعة للقلب قبل السمع .

تلاءم النصُّ والتضمين في تصوير مشهدٍ مروّع يأخذ في نفس المُتلقّي مأخذه، ويتوحد إيقاع النصِّ ومعناه، فأضحيا قطعةً واحدة، وهكذا الأمر في تضمين معنى قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاءمة طودكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا (١)

(٣) نهج البلاغة ، ك(٢٨)، ج٣/٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج٣/٣٩ .

(١) ديوان الأعشى ، ص: ١٩٣ .

في كتاب له (ع) بعثه إلى عامله على البصرة لما بلغه أنه دعي إلى وليمة ق ومن أهلها فمضى إليها فدعاها للاقتداء به بنبرة من الرجز والعتاب الشديد: (... ولكن هيهات أن يغلبني هوائي، ويقودني جسعي إلى تخير الأطمعة ولا عجل بالحجاز أو اليمامة، ملا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً ووهي ب طون غرثي وأكباد حرى ...) (١)، (فالباء، والتاء، والطاء، والراء) تفصح عن مقدار غضبه وعدم رضاه عما سمعه عن تلك الوليمة .

المفردات (غرثي، حرى) تتسجم مع مفردات النص (هيهات، هوائي) وغيرها من المفردات، من حيث انتهائهما بأصوات الهاء والطاء وبله ذات النغمة العالية، والدالة على وفرة الموسيقى ورخاقتها والتي ترتبط بالدعاء والخضوع (٢).

وبجواً لفته الحزن والألم قدم لكلامه بقول الشاعر :

لعمري أبيك الخير يا عمرو إنني غمي وضر من ذا الإناء قليل

ليأتي كلامه بعد ذلك على وتيرة من الحزن والألم فيقول: (لبئس سراقداً أطمع اليمين ولبي له لأظن أن هؤلاء القوم سيدلون منكم باجت ما عهم على باطلهم، وقد رزقكم عن هكم ...) (١).

ويتراءى التلاؤم هنا فيما ضمن والنص هو ذلك الطباق في (اجتماعهم، تفرقهم)، (باطمهم، حقم) الذي يبدو منسجماً مع الإيقاع في البيت المضمن فالإيقاع يمد سمة من سمات اللغة العربية (٢)، وإذا كان اشبه روزاً في الشعر، فإنه يحقق بفعل السجع والنس والطاء باق والموازنة وسواها من الوسائل الموسيقية (٣)، فالتمائل بين مفردات التركيب إحدى السمات الأسلوبية للإيقاع الصوتي (٤).

(٢) نهج البلاغة، ك(٤٥)، ج٣/٨٠ .

(٣) ينظر: الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، د. عبد الواحد المنصوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٩م، ص: ١٥٢ .

(١) نهج البلاغة، خ(٢٤)، ج١/٦٠ .

(٢) ينظر: فقه اللغة العربية، ص: ٣٥ .

(٣) ينظر: الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي (ع)، د. فليح كريم خضير، مجلة الطليعة الأدبية، ع٣، بغداد، ص: ١٠١ .

(٤) ينظر: الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني، د. عواطف كنوش، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٩م، ص: ٩٠ .

ث . اذِ الْيَلْتَوِي الْب . لَافِي .

عند دخول الشعر أو الفل في ساحة النص النهجي بالتضمين يجلبان معهما خصائصهما فيصطبغ بهما، فيعكسان مالا هما من صور اعتمدت الانزياح والمُتَحَقِّق بالتجسيم ، والنشخيصوما يرافقه ما من صور يانئتمتلون بتلون فنون البيان من استعارة ، وكناية ، وتشبيه .
وهما بما يحملانه من انزياح وإيجاز وأصابة مباشرة للمعنى ملأ يسهمان في رقد صور النص، أو يجعلانه عاكساً لألوان الطيف البياني لهما.
إنهما يشتركان في خصال ثلاث، هي: إيجاز المعنى، وإصابة المعنى وحسن التشبيه⁽¹⁾، وهذا ملم يوصل إلى بيان الصورة التي تعد من أبرز عناصر الجمال في العمل الأدبي .
وإذا كان الشعر حاملاً لفنون بلاغية عديدة، فإن البلاغيين حصرُوا الأمثال في المجازات التمثيلية على وجه الخصوص⁽²⁾.

(1) وإن عُدَّت هذه الخصال ملمياً مثل العمق البلاغي للمثل، والتي أضاف لها إبراهيم لنظاً م ت (٢٢٣هـ) جودة الكناية .

ينظر: المزهري، السيوطي، ج ١/٤٦١ .

مجمع الأمثال ، ج ١/٦ .

الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص: ٥٤ - ٥٥ .

وحين خَدَلَ الشعر وَالثَّلَّ خطبَ الإمام (ع) سائِلَهُ ومواعظِهِ أسَهَمَت في استكمالِ رسمِ صورِ قيادِيَّةٍ وما استتبعها من تجسيمٍ أو تشخيصٍ، وهذا ما تَوَزَّعت مَحاورُ هذا الجانبِ بَيْنَ ثناياه .

التأثير في النفس بالتجسيم والتشخيص .

من المعلوم أَنَّ البحثَ البلاغي عند التعامل مع النص الأدبي يَتَقصَّى الصُّورَ البيانيةَ والقيَمَ الجماليةَ التي تَأفقها، ولم يكن التضمين ببعيدٍ من هذا الدور الذي تَطَهَّر في فني التَّجسيمِ وللتَّخْيِصِ اللذين يُعدَّان من أبرزِ الخصائصِ الفنيةِ البلاغيةِ .

لقد جَسَمَ الزمانَ وأظهره بهيئةً آدميَّةٍ المح بها الاستخدام الاستعاري بقريضةٍ إحدى خصائصها (يرعف)، التي ظُهرَ أطرافُها، وتَشَي بها والسَّين تحمل دلالَةً مُستقبليَّةً تحمل التفاضلَ والأملَ، فقال (ع): ((...ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوامَ في أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساءِ، سيرعف بهم الزمانُ، ويقوى بهم الإيمانُ))^(٣).

والصورُ هنا تُوحى للسامع بالكثير من المعاني، لاعتمادها الفنَّ الاستعاري القادر على التَّجسيمِ لكلِّ ما هو معنوي، والانتقال من المعاني الحرفيَّة اللغوية للمفردات إلى المعاني المجازية .

وبفضل هذا التجسيم حدث الانزياح وهو أفضل حالات التصوير الفني في الإبداع^(١)، ومن خلاله تنتقل المفردات من معانيها الحقيقية إلى معانيها المجازية الجديدة لتعطي معنىً جديداً ودلالةً جديدةً لصور ذهنية تُترك من خلال التصور المادي للحواس .

وكذلك لما جَسَمَ النفسَ الإنسانيَّة وأخرجها من عالمِ المعنويات إلى عالمِ الوجود المادي بفعل الانزياح المُتَحَقِّقِ بالفعل (أردع) في صورته النصيَّة (ردع)، وكانَّ النفسَ فرسَ جامِحٍ يحتاج إلى ردِّ عتِي لا يُورد صاحبه موارد الهلْكة فقال موصياً (شريح بن هاني) لَمَّا جَعَلَهُ على مُقَدِّمته إلى الشام: ((.. وأعلم أنَّك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ مما تحبُّ مخافةً مكرهٍ سَمَّتِ بالهواءِ إلى كثيرٍ من الضَّرِّ))^(٢).

وحين تصور المعاني بهيئة الأشخص تكون أثبت في الأذهان لِمقدرة المُتلقِي الاستعانة بحواسِّه في تصوُّرها .

ومن المُتَعافِ عليه عند البلاغيين والنقاد ارتباط فني التَّجسيمِ والتشخيصِ بِفنِّ الاستعارة، وقد نجد شيئاً من ذلك في الكناية، كما في قوله (ع) عاتِباً ابنَ عمِّه (عبد الله بن عباس): ((قَلْبَتَ لابنِ عمِّكَ ظَهَرَ المِجَنِّ، ففأقَدَّه معَ المُفارقين))^(٣).

(٢) ينظر: الأمثال في القرآن، ص: ١٢٧ .

(٣) نهج البلاغة، خ(١١)، ج١/٤٠ .

(١) ينظر: الصورة الفنية في كلام الإمام علي، ص: ١٦٥ .

(٢) نهج البلاغة، ك(٥٦)، ج٣/١٢٥ .

(٣) نهج البلاغة، ك(٤١)، ج٣/٧٣ .

إنَّ المُتَلَقِّي لِيَكَادِ يَرَى صُورَةَ تَكشِفُ عَن عَمقِ الدَّلَالَةِ فِي النِّصِّ فَيَصِلُ - دُونَ مَعَانَاةٍ - إِلَى المَعْنَى الحَقِيقِي الكَامِنِ بَيْنِ مَفْرَدَاتِ النِّصِّ، وَاسْتَطَاعَ (ع) أَنْ يَجْلِّهَا مَتَدِّدًا وَتَتَوَسَّعَ لَتُعَبَّرَ عَنِ المَعْنَى العَامِ لِلنِّصِّ، لَقَدْ جَعَلَهَا - مِنْ خِلَالِ الكِنَايَةِ - غَوَانًا لِكِتَابِهِ (ع) وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مُقَدِّمَةِ النِّصِّ .
وَفِي قَوْلِهِ: (رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ) يَرِيسِمُ لَنَا صُورَةَ مُجَسِّمَةً لِدَلَالَةِ القَوْلِ النَّاظِفِ وَكَأَنَّهُ سَهْمٌ أَوْ شَعَاعٌ يَخْتَرِقُ أَلْجَسَاوِلَهُ القِرَّةَ عَلَى الإِيذَاءِ وَالإِيْلَامِ فَيَأْتِي التَّصْوِيرُ رَافِدًا لِإِظْهَارِ المَعْنَى بِأَوْضَحِ صُورَةٍ .

حل الشعر ونثره - شرح آية التمهيد - ضميرين .

حلُّ الشَّعْرِ وَنَثْرُهُ مُصْطَلِحٌ بِلَاغِيٌّ كَثُرَ تَدَاوُلُهُ فِي المَصْتَفَاتِ البِلَاغِيَّةِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَةِ (١)، وَمِنْ خِصَائِصِ التَّضْمِينِ عِنْدَ الإِمَامِ (ع) تَطْوِيعُ مَا ضَمَّنَهُ مِنْ شَعْرِ فِي خُطْبِهِ وَكُتُبِهِ، وَمَوَاعِظُهُ، وَالسَّيْرِ بِهَا فِي تِيَارِ النِّصُوصِ لِتَكُونَ عَوْنًا لِلوَصُولِ بِهَا إِلَى غَايَةِ مَرْجُوَّةٍ .

(١) ينظر: الصناعتين ، ص : ٢١٦ .

وينظر: المثل السائر، ج١/٧٨ .

وينظر: المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (حل) و (حل الأشعار) ج٢/٥٧ - ٤٦٢ .

وينظر: مصطلحات بلاغية، د. بدوي طبانة، مادة (حل) .

وحلُّ الشَّعْرِ: نَفْرُوقِيضُهُ العَقْدُ، وَهُوَ نَظْمُ الشَّعْرِ، وَقَدْ بَحَثَ (ابن منقذ) هَذَيْنِ المَصْطَلِحِينَ فِي بَابٍ وَاحِدٍ مِنْ كِتَابِهِ (البديع في نقد الشعر)، وَعَوَّهَمَا بِقَوْلِهِ: " إِنَّ الحَلَّ وَالعَقْدَ هُوَ مَا يَنْفَالِحُ فِيهِ الشَّعْرَاءُ ، وَالكُتَابُ، وَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ لَفْظًا مَنثورًا فَيَنْظِمُهُ أَوْ شَعْرًا فَيَنْثُرُهُ وَيُطَارِحُهُ العُلَمَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ " وَتَابِعَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ الأَثِيرِ وَأَبُو هَلَالِ العَسْكَرِيِّ، وَابْنُ أَبِي الإِصْبَعِ المِصْرِيِّ ، وَالقَزْوَينِي ، وَتَبِعَهُ شِرَاحُ التَّلْخِيصِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُو هَلَالِ العَسْكَرِيِّ قَسَمَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ ، وَأَشْتَرَطَ القَزْوَينِي فِي ذَلِكَ شَرْطَيْنِ .

للتفصيل في ذلك ينظر: البديع في نقد الشعر، ص: ٢٥٩ ، المثل السائر، ج١/٧٧ ، الصناعتين، ص: ٢١٦، تحرير التعبير، ص: ٤٣٩، الإيضاح، ص: ٤٢٥، التلخيص، ص: ٤٢٦، معجم المصطلحات البلاغية، ج٢/٥٧-٤٦٢، وقد عدده القزويني (حل الشعر) من فنون الاقتباس .

ينظر: الإيضاح، ج١/٣٨٦ .

ويستدعي ذلك تغوّاً في تركيب البنية الشعرية بعيداً عن النظم والقوافي، والإتيان بها بما يُناسب السياق الذي وردت فيه، ليكون استدعاءً مرناً أخذاً به إلى التماسك في نسيج الألفاظ، وتعلق بعضها ببعض ومناسبة السابق للاحق في البنية والمعنى .

ويعدّ هذا اللون من التضمين - في كثيرٍ منه - تضميناً اشارياً حيل المتلقي إلى مناراتٍ دلاليةٍ مكثفة، لا سيما حين يكون تضميناً ما شاع من أشعارٍ بين الناس آنذاك .
إنّ دواعي المقال، ومقتضى الحالها ما الدافع إلى ذلك كلاًه والحاث إليه، ليكشف من خلال إعادة صياغتها بما يتلاءم وسياق النص النهجي ويجعلها تقاعماً مع ما جاورها من مفرداتٍ، وجملٍ، وتراكيبٍ توصل المتلقي إلى المعنى المقصود .

واستطاع الإمام(ع) - بما يمتلك من مقدرة فنيّة - نثر كثيرٍ من الأشعار عند تضمينها في كلامه، وكتبه حتّى عدت به بؤنى سياقها، وبذلك يكون غير خارج عمّا اشترطه البلاغيون في نثر النظم .
وتوزعت مصاديق هذه الخصيصة بين النصوص النهجية ولم تتحصر في لونٍ واحدٍ من نصوصه دون سواها .

من ذلك قوله(ع): ((سِيرَعَفَ بِهِمُ الزَّمَانُ))^(١)، وقوله(ع): ((مَا بِالْكُمْ مَا دَوْلُكُمْ؟ مَا خَطْبُكُمْ! الْقَوْمُ رَجَالٌ مِتْلَكُمْ))^(٢)، وقوله(ع): ((وَصَلَوْا السِّيُوفَ بِالْخُطَى))^(٣)، وقوله(ع): ((فَكُلُّ أَجَلٍ كَابٍ، وَلَا كُلُّ غَيْبَةٍ أَيَابٍ))^(٤)، وقوله(ع): ((وَأَنَّ الْفَارَّ لَغَيْرِ مَزِيدٍ مِنْ عُمَرِ))^(٥)، وكلها مما جاء في خطبه .

ومن مصاديق ذلك كله في كتبه(ع) نجد قوله(ع): ((فَكَتَنَتْ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ النَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ))^(٦)، وكذلك ما جاء في كتاب آخر: ((قَلْبَتْ لِابْنِ عَمَّكَ ظَهْرَ الْمَجْنُونِ))^(٧)، وقوله(ع): ((أَوْ أَبَيْتُ بِيطَانِ لَوْحُولِي بِطُونِ غَرثِي، وَأَكْبَادُ

(١) نهج البلاغة، خ(١١)، ٤٠/١، هو من قول الشاعر: **و مَاعَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِ عَمْرٍو وَلَا تَدَّ لِلنَّاءِ لَهُ ضَرْبِيَا**

(٢) نهج البلاغة، خ(٢٨)، ج١/٧١ . هو من قول الشاعر: **الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرُّسُلَا يَنْشُرُونَ إِنْ قَتَلُوا**
شرح ديوان الحماسة، التبريزي، ج١/١٤٦.

(٣) نهج البلاغة، خ(٦٣)، ج١/١١١، هو من قول الشاعر: **وَإِنْ قَصَرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصَلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ**
حماسة أبي تمام، شرح التبريزي، ج١/٤٨٨ .

(٤) نهج البلاغة، خ(١٠٤)، ج١/٢٠٨، هو من قول الشاعر: **وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبٌ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبٌ**
ديوان عبيد بن الأبرص، ص: ١٣ .

(٥) نهج البلاغة، خ(١٢٠)، ج٢/٦، هو من قول الشاعر: **قَدْ نَعِمَ الْمَسْتَخْرُونَ فِي الْوَهْلِ**

إِذَا السِّيُوفُ عُرِّيَتْ مِنَ الدُّلِّ

إِنَّ الْفَرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ

لم ينسبه صاحب الحماسة إلى أحد.

ينظر: حماسة أبي تمام، شرح التبريزي، ج١/٤٦٦.

حرى))^(٨)، وقوله (ع): ((وأعلم أنك إن لم تَرِدْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِ سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرْرِ))^(٩).

ومن مصاديق ذلك في حكمه ومواعظه قوله (ع): ((لا تظنن بكمة خرجت من أحد سوء وأنت نجل لها في الخير محتمل))^(١)، وقوله (ع): ((لا تجعلن رب لسانك على من أنطقك ولا بلاغة قولك على من سددك))^(٢)، وقوله (ع): ((من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته))^(٣).

وفي ما مر من أمثلة نجد أن كثيراً من هذا التضمين ورد في مقام النصيح والإرشاد ووافق أغلبها السياق الذي وردت فيه، وإنها لم تقتصر على نوع واحد من نصوص النهج .

نحو- ر الإنباء البلاغي في اللغة - فنبين الذر والإنشاء .

الخبر والإنشاء مظهران من مظاهر التوزيع البلاغي، ولكل منهما أقسامه وأغراضه التي يخرج إليها حقيقة ومجازاً^(٤).

وقد تورعت التضمينات بينهما بما يتطلبه السياق، قد يقوم الإمام (ع) بتحويل أحدهما إلى الآخر تبعاً للمقصدية الدلالية، وعند الوقوف عند التضمينات الشعرية يتضح الميل إلى النوع الأول وإن كان هناك حضور للنوع الثاني إلا أنه أقل بكثير من سابقه .

(٦) نهج البلاغة، ك (٢٨)، ج ٣/٣٤، هو من قول الشاعر: فَأَنْتَ وَاسْتَبْضَاعُكَ الشَّعْرَ نَحُونَا كَمَسْتَبْضَعٍ تَمَرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ حَمَاسَةَ أَبِي تَمَامٍ، شرح التبريزي، ج ٢/٨٥٦.

(٧) نهج البلاغة، ك (٤١)، ج ٣/٧٢، هو من قول الشاعر: قَلْبُهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ فَلَمْ أَدْمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا اتَّحَوَّلَ الْمَسْتَقْصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ، ج ٢/١٩٨ .

(٨) نهج البلاغة، ك (٤١)، ج ٣/٨٠، هو من قول الشاعر: تَبَيَّنُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتِكُمْ غَرثَى يَدِ تَن خَادِ صَا دِيَوَانَ الْأَعْشَى، ص: ١٩٣ .

(٩) نهج البلاغة، ك (٥٦)، ج ٣/١٢٥. قال الشاعر: وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّ بِتَهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَنَعُ دِيَوَانَ الْهَذَلِيِّينَ ، القسم الأول، ص: ٣ .

(١) نهج البلاغة، خ (٣٦٠)، ج ٣/٢٣٨، هو من قول الشاعر: مَا بَدَّتْ مِنْ صَاحِبِ دَاكِ رَاةٍ فَكُنْ أَنْتَ مُخْتَارًا لِرَاةِ عَدْرَا دِيَوَانَ الْحَمَاسَةِ، ج ٢/١٦ .

(٢) نهج البلاغة، خ (٤١١)، ج ٣/٢٥١، هو من قول الشاعر: وَكَمْ عَظَمَتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي مُحَاضِرَةَ الْأَدْبَاءِ، ج ١/٤٦ .

(٣) نهج البلاغة، خ (٤٤٩)، ج ٣/٢٦٠، هو من قول الشاعر: فَأَنْتَ إِذَا أُعْطِيَ بَطْنُكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا دِيَوَانَ حَاتِمِ الطَّائِي، ص: ١٧ .

(٤) باعتبار أن الكلام من وجهة نظر بلاغية، أما خبر أو إنشاء .

ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مادة (إنشاء)، ومادة (خبر) ج ١/٣٣٢-٣٣٤، ج ٢/٤٦٤-٤٧٢ .

في تضمين الاشطار الثلاثة يتضح الأسلوب الخبري في اثنين منهما، وفي الثالث فقط ورد الأسلوب الإنشائي، إذ جاءت الأخبار في الأشرط: ((وقد سَيَتَفِيدُ الظَّئِنَةَ الْمُتَمَتِّحُ))^(٥)، وهو خبرٌ خرج إلى غرضٍ أصلي وهو (فائدة الخبر)، أُنزل فيه المخاطب - وهو معاوية - منزلة الجاهل بالخبر، فأفاده بالحكم الذي تضمَّنه الكلام وفي الشطر الثاني: ((وتلك شكاة ظاهر عنك علواً))^(٦)، وهو خبرٌ خرج إلى غرضٍ مجازيٍّ وهو التوبيخ

واقصر الأسلوب الإنشائي على الشطر الثالث وهو: ((لَبَّثَ قَبِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلًا))^(٧)، وهو إنشاءٌ خرج إلى غرضٍ مجازيٍّ وهو الوعيد .

وعند التمعن في تضمين الأبيات الأربعة الكاملة، يظهر توزعها بالتساوي بين الخبر والإنشاء، فالخبر في البيتين: ((شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كَوْرَهَا))^(١)، والأخر: ((نَالِكٌ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ))^(٢)، وهما خبران خرجا إلى غرضين مجازيين هما؛ (التحسر) في الأول، و(التشكي) في الثاني، والموصل إلى هذين المعنيين سياق الكلام الذي وردا فيه .

وتمثل الأسلوب الإنشائي في البيتين الآخرين وهما: ((عَمْرُ أَبِيكَ يَا عَمْرُو إِنِّي))^(٣)، و((وَدَعَ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي عَرَصَاتِهِ))^(٤)، فالأول لوجود صيغة القسم (عمرُ أبيك)، والثاني لوجود فعل الأمر (دع) والأول مع انه أسلوب إنشائي إلا أنه خرج إلى غرضٍ مجازيٍّ وهو الخبر، والأخر خرج للتشكي .

وفي التضمينات غير المباشرة - القريبة والبعيدة - للأشعار والأمثال يظهر الأسلوب الخبري طافحاً في النصوص، كما في قوله (ع): ((كَنَا قَلَّ الثَّمَرِ إِلَى هَجْرٍ))^(٥)، و((أَوْ دَاعِي مُسَدِّدَهُ إِلَى النَّضَالِ))^(٦)، و((رُبَّقَ وَلِ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ))^(٧)، و((كَلَّ غَيْبَةً يَابَ وَلَكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ))^(٨) .

وحتى الإنشاء قد يخرج به (ع) إلى الخبر، كما في قوله (ع): ((سَيَرَعَفُ بِهِمَ الزَّمَانَ))^(٩)، وهو من قول الشاعر : ((وَمَا رَعَفَ الزَّمَانَ بِمَثَلِ عَمْرُو) إنشاء غير طلبي تحقق بفعل النفي (ما)، وقد خرج إلى الأخبار لكن الإمام (ع) جاء به خيراً صَوْفاً يدل على التفاؤل والأمل المتحقق بفعل (حرف السين) الدال على الأستقبال .

(5) نهج البلاغة ، ك (٢٨)، ج ٣/٣٩ .

(6) المصدر السابق ، ك (٢٨)، ج ٣/٣٧ .

(7) المصدر السابق ، ك (٢٨)، ج ٣/٣٩ .

(1) المصدر السابق ، خ (٣) ج ١/٢٦ .

(2) المصدر السابق ، خ (٢٤) ج ١/٦١ .

(3) نهج البلاغة، خ (٢٤) ج ١/٦٠ .

(4) المصدر السابق ، خ (١٥٧)، ج ٢/٧٩ .

(5) المصدر السابق ، ك (٢٨) ج ٣/٣٤ .

(6) المكان نفسه .

(7) المصدر نفسه ، خ (٣٩٤) ج ٣/٢٤٨ .

(8) المصدر السابق ، خ (١٠٤) ج ١/٢٠٨ .

هذا مع وجود الإنشاء في مواضع أخرى وان كانت أقل، كما في قوله (ع): (لا تظنن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً) ^(١٠)، وهو في الأصل من أسلوب خبري مرَّ نَهْكَ ^(١١)، ومثله قوله: ((دوا للموت)) ^(١٢)، وهو من أصل خبري أيضاً .

ولربما يأتي كثرة الأسلوب الخبري في كلامه (ع) من طبيعته الكلام الذي هو في معظمه بيان، وكشف عن أمور كثيرة استدعت الشرح والوعظ .

وحين لخص (الحوفي) الصفات التعبيرية للإمام (ع) ذهب إلى أن الصيغ الإنشائية هي الأكثر في كلامه فقال: "كثرة الصيغ الإنشائية وهي الأمر والنهي والاستفهام والترجي والتمني والنداء والسم والتعجب وهي أقوى من الصيغ الخبرية تحديداً لنشاط السامعين، وأشدّ تبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم، وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب، وأفكاؤولابُدَّ من أساليب متغايرة تفصح عنها" ^(١).

نعم يصح رأيه في عموم كلام الإمام (ع) غير أنه - قد - لا يكون كذلك في موارد التضمين كما هو ظاهر .

(٩) المصدر السابق ، خ (١١) ج ١/ ٣٩ .

(١٠) المصدر السابق ، خ (٣٦٠) ج ٣/ ٢٣٨ .

(١١) ينظر: الصفحات السابقة.

(١٢) نهج البلاغة ، خ (١٣٢)، ج ٣/ ١٨٣ .

(١) ينظر: بلاغة الإمام علي ، دار المعارف، ١٩٨٧، ط ٢، ص : ١٩ .

المصادر والمراجع :

- * القرآن الكريم .
- * الاتجاه العقلي في التفسير عند المعتزلة، د. ناصر حامد أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- * الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ت(٩١١) هـ، مطبعة مصطفى الحلبي ، ط ٣، مصر، ١٩٥١م.
- * أحكام القرآن، أبو بكر احمد بن علي الجصاص ت(٣٧٠) هـ، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ .
- * أدونيس منتحلا ، كاظم جهاد ، ط ٢ ، مطبعة مد بولي ، ١٩٩٣م.
- * أساس البلاغة، عمر بن احمد الزمخشري ت(٥٣٨) هـ، تحقيق عبد أرحيم محمود ، منشورات دار المعرفة للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- * أساليب البيان في القرآن، سيد جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر، ط ٢ ، قم ، ١٤١٣ هـ .
- * الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- * الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة لبنان ، ١٩٨٥م .
- * أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان تودوروف وآخرون، ترجمة أحمد المديني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- * الأضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٤م.
- * أعلام نهج البلاغة، المحقق علي بن ناصر خسرو ، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ١٣٦٦ هـ.ش.
- * الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦) هـ، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت ، ط ٢، (د.ت).
- * الاقتباس من القرآن الكريم ، أبو منصور ألتعالبي ت(٤٢٩) هـ ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥م .
- * الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق ، منشورات ذوي القربى، ط ٢، قم ، ١٤٢٤ هـ.
- * الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، الشيخ محمد الغروي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٠٧ هـ.
- * انفتاح النص الروائي ، سعد بن يقطين ، المركز ألتقافي العربي ، ألدان ألبيضاء ، ١٩٩٥م .
- * الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القرز ويني ت(٧٣٩) هـ ، تحقيق د. علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩١م.
- * بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ت(١١١١) هـ ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢، بيروت ، ١٩٨٣م.
- * بحوث لغوية ، د. احمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧م.

- *البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م.
- *البداية والنهاية ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ .
- *البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت(٧٩٤) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- *بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، الشيخ محمد تقي التستري ، دار أمير كبير، بيروت، ١٩٧٨م.
- *بلاغة الإمام علي ، احمد الحوفي ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٧ م .
- *بلاغة الكلمة والجملة والجمال، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ م .
- *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .
- *البلاغة والأسلوبية ، يوسف أبو العدوس ، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٩م .
- *بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري ، منشورات دار تويقال ، المغرب ، ١٩٨٦ م .
- *البيان والتبيين، أبو عثمان بحر الجاحظ ت(٢٥٥) هـ تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة المدى ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- *تاج العروس في جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت(١٢٠٥)هـ، تحقيق عبد الكريم الغرناوي ، (د.ت).
- *التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠)هـ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٩ هـ .
- *تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٥م.
- *تداخل النصوص في الرواية العربية ، عبد الرحمن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م.
- *التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م .
- *التطبيق الصوتي ، د. عبدة الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د.ت).
- *التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د.محمود البستاني ، مؤسسة الأستانة الرضوية، قم ، ١٤٢٢ هـ .
- *تفسير جامع الجوامع ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٨ هـ .
- *التفسير البياني ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر، ط٨ ، (د.ت).
- *تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ت(٨٧٥)هـ، تحقيق د.عبد الفتاح أبو سلمة ، وزملاؤ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٨١٤هـ.
- *تفسير الجلالين ، جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

- *تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٧٤هـ)، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .
- *التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني، شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي ، دار ومكتبة الهلال، ط٢، بيروت ، ١٩٩٣م.
- *التناص مع الشعر الغري، د. عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة الأقاليم، ع(١٢، ١١، ١٠) ، بغداد ، ١٩٩٤م .
- *توضيح نهج البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار تراث الشيعة ، (د.ت) .
- *التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الروؤف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ١٤١٠هـ .
- *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
- *جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ)، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ .
- *الجامع الصغير ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت(٩١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت، (د.ت).
- *الجامع لاحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ت(٦٧١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ .
- *جمالية الخبر والإنشاء ، د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٥م.
- *جمالية المفردة القرآنية ، د. احمد يا سوف ، دار الكتبي ، ط٢، سورية ، ١٩٩٩م .
- *جمهرة الأمثال ، أبو الهلال العسكري ت(٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطماش ، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م .
- *حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي ت(٧٥٢هـ) ، تحقيق كرم عثمان موسى ، دار الرشيد بغداد ، ١٩٨٠م .
- *خزانة الأدب، تقي الدين الحموي ت(٨٣٧هـ) ، تحقيق عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
- *الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ت(٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٢م.
- *الخطيئة والتكفير، د. عبد الله الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م.
- *الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، مطبعة الفتح، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٣٥٦
- *دراسات في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨١م .
- *دراسات فنية في صور القرآن ، د.محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، ١٤٢١هـ .
- *دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د.ت).

- *دير الملاك(دراسة نقدية للظواهر الفنية للشعر العراقي المعاصر)، د.محسن اطيماش ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.
- *الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، د.حامد كاظم عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠٠٤م.
- *دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت(٤٧١) هـ ، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- *روائع البيان في خطاب الامام ، د. رمضان عبد الهادي ، دار احياء التراث العربي ، ط٢، بيروت ، ٢٠٠٢م .
- *زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ت(٥٩٧) هـ ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- *ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٩م.
- *ديوان الأعشى الأكبر(ميمون بن قيس)، تحقيق عبد الرحمن ألمصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- *ديوان امرئ القيس ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) .
- *ديوان حاتم الطائي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨١م .
- *ديوان زهير بن ابي سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
- *ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق د. سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت ، ١٩٩٧م .
- *ديوان عبيد بن الابرص ، دار صادر، بيروت ، (د.ت) .
- *ديوان لييد بن ربيعة ، شرح الطوسي ، تحقيق د. حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت ، ١٩٩٦م .
- *ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب صادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- *دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة، د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ط١٠، القاهرة، ١٩٨٦م.
- *سؤالات نافع بن الأزرق ت(٦٥) هـ ، إلى عبد الله بن عباس ت(٦٨) هـ ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م .
- *السراقات الأدبية ، د. بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣.١٩٧٤م .
- *سلطة الحق ، السيد عزيز جاسم ، مكتبة الانتشار العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- *السلم وقضايا الحرب في نهج البلاغة ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨١م .
- *سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ت(٢٧٥) هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت ، (د.ت).
- *سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت(٢٧٩) هـ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار

الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

*السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣) هـ ، تحقيق د. عبد الغفار سليمان ، و سيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ م .

*سنن الدارمي ، عبد الله بهرام الدارمي ت(٢٥٥) هـ ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، (د.ت).

*السيمائية وفلسفة اللغة ، امبرتو ايكو ، ترجمة د. احمد الصمعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .

*سنن النسائي ، احمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣) هـ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٣٠ م .

*شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، أبو زكريا يحيى بن محمد التبريزي ت(٥٠٢) هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .

*شرح القصائد العشر ، الخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

*شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(رؤية اعتزالية عن الإمام علي)، جواد كاظم منشد، منشورات نوي القرى ، قم ، ١٣٧٤ هـ .

*شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الساقية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠١ م .

*شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي البحراني ت(٦٧٩) هـ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

*شرح نهج البلاغة ، السيد عباس علي الموسوي، دار الرسول، والمحجة البيضاء، بيروت، ١٤١٨ هـ
*الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية ، ابن فارس ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق ، مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

*صبح الأعشى في صناعة الانثى ، احمد بن علي القلقشندي ت(٨٢١) هـ ، تحقيق يوسف علي طويل ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧ م .

*صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت(٢٥٦) هـ ، دار الفكر، بيروت ، عن طبعة بالأوفست صادرة عن دار الطباعة العامة ، استانبول ، ١٩٨١ م .

*صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ت(٢٦١) هـ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت).

*الصناعتين ، أبو هلال العسكري ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي البجاوي ، مطابع عيسى البابي ، مصر، (د.ت).

*الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة ، ١٩٧٤ م .

*طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ت(٢٣١) هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، (د.ت).

*ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥ م .

- * علم الدلالة ، احمد مختار، مكتبة العروبة ، الكويت ، ١٩٨٢م .
- * علم الدلالة ، ستيفن ، ترجمة انطوان ابو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- * علم النص ، جوليا كرسستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٩١م .
- * علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، سعيد حسن بحيري ، الشركة المصرية العالمية للنصر ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- * العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ت(٤٥٦) هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، ط٤، بيروت ، ١٩٧٢م .
- * عناصر الإبداع الفني في شعر احمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، مطبعة ستارة ، طهران، ٢٠٠٤هـ .
- * غريب الحديث ، عبد الله بن سلام بن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦) هـ ، تحقيق د. عبد الله الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .
- * غريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي ت(٢٢٤) هـ ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ .
- * فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠) هـ ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .
- * فن الاستعارة ، د. احمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، ١٩٧٩م .
- * الفن ومذاهبه في الشعر، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت) .
- * في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة احمد المديني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- * في البلاغة العربية ، د. رجاء عيد ، دار غريب للطباعة ، مصر، ط٢، (د.ت) .
- * في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، د. كمال أبو ديب ، ط٢، دار العلم للملايين ، ١٩٨١م .
- * في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٧٧م .
- * في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف ، ط٣٥ ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- * القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت(٨١٧) هـ ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣
- * قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥م .
- * قضايا في النقد الأدبي ، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
- * الكافي ، الشيخ الكليني ت(٣٢٩) هـ ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مطبعة الحيدري ، ط٣ ، طهران ، ١٣٨٨هـ .
- * الكامل في الأدب ، المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- * الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه ت(١٨٠) هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- * كنز العمال ، المتقي الهندي ت(٩٧٥) هـ ، تحقيق بكرى حياني ، وصفوت السقا ، مؤسسة الرسالة،

بيروت ، (د.ت).

*لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة فؤاد صفاء والحسي شيحان ، دارتوبقال للنشر ، المغرب، ١٩٨٨م
*لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت(٧١١)هـ، دار صادر ، لبنان ،
(د.ت).

*اللغة العليا ، جان كوهن ، ترجمة احمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

*اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة عباس صادق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،
١٩٨٧م.

*اللمع في العربية ، أبو الفتح بن جني ت () هـ ، تحقيق احمد الحوفي ، وبدوي طبانة ،
منشورات الرفاعي ، ط٢ ، الرياض ، ١٩٨٣.

*ما هو النقد ، بول هير فادي ، ترجمة سلامة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ م .

*المبدأ الحوارية ، تزفتيات تودوروف، ترجمة فخري صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير ت(٦٢٢)هـ، تحقيق د. احمد الحوفي،
و د.بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي ، ط٢ الرياض ، ١٩٨٣م.

*محاضرات في الصوت والمعنى ، رومان جاكوبسن ، ترجمة حسن ناظم وزميله ، المركز الثقافي
العربي ، بيروت ، (د.ت).

*محاولة في تعريف الشعر الحديث ، أدونيس ، مجلة شعر ، ع(١) ، ١٩٥٩ م .

*مجمع الأمثال ، أبو الفضل احمد بن محمد الميداني، النيسابوري ت(٥١٨) هـ ، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد ، دار المعرة ، بيروت ، ط٢ ، (د.ت).

*مجمع البيان في تفسير القرآن ، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٦٠)هـ ، تحقيق لجنة من
العلماء والمحققين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين الهيثمي ت(٨٠٧)هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
١٩٨٨*المختلف والمؤتلف ، الامدي ، مكتبة القدسي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

*المدخل إلى علم الدلالة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

*مدخل الى جامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، دار توبقال ، الدار البيضاء ،
المغرب، ١٩٨٦م.

*المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى و زملاؤه ، مؤسسة دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٩ م .

*المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد جاد المولى واخرون،
دار الجيل ، ودار الفكر ، بيروت ، (د.ت).

*مستدرک الحاكم ، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري ت(٤٠٥)هـ ، تحقيق د. يوسف المرعشلي،
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

*مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، المحقق النوري الطبرسي(١٣٢٠)هـ، مؤسسة آل البيت(ع)

لأحياء التراث ، ١٤٠٨ هـ .

*مسند ابن الجعد ، علي ابن الجعد الجوهري ، تحقيق أبي القاسم بن محمد ، وعامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).

*مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ت(٢٤١) هـ ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).

*مسند الشهاب ، محمد ابن سلامة القضاعي ت(٤٥٤) هـ ، تحقيق عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٨٥ .

*المصطلح النقدي ، د. عبد السلام المسدي ، مطبعة كويتب ، تونس ، ١٩٩٤ م .

*مطالب السؤل في مناقب ال الرسول،كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي ت(٦٥٢) هـ، النجف الاشرف،(د.ت).

*معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن احمد العباسي ت(٩٦٣) هـ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٤٧ م .

*المعجم الكبير، سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني ت(٣٦٠) هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت).

*المعجم الأوسط ،سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني ت(٣٦٠) هـ ، تحقيق إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، (د.ت).

*معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٣ .

*معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار الجيل ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، ، منشورات ذوي القربى، ط٣ ، قم ، ٢٠٠٤م.

*المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة،محمد دشتي ، وكاظم محمدي ، مؤسسة انتشارات مشهور، قم لمشرفة ، (د.ت).

*مغني اللبيب عن كتب الاعاريب،ابن هشام الأنصاري ت(٦٧١) هـ ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفكر، ط٦، بيروت ، ١٩٨٥ م .

*مفاهيم القرآن(دراسة الأمثال والأقسام في القرآن الكريم)الشيخ محمد جعفر السبحاني ، مطبعة اعتماد قم ، ١٤٢٥ هـ .

*مفتاح العلوم ، أبو يعقوب بن أبي بكر بن علي السكاكي ت(٦٢٦) هـ ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

*مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ت(٤٢٥) هـ ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم، ط٣، دمشق، ١٩٨٣م.

*من الأدب والبيان ، د. محمد بركات ، حمدي ابو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٨٤م

- *مناقب علي ابن ابي طالب ، علي بن محمد الشافعي ابن المغازلي ت(٤٨٣) هـ ، تحقيق محمد باقر البهبوري ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٤ هـ .
- *من بلاغة القرآن ، د. احمد احمد بدوي ، دار النهضة ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- *من كنوز القرآن ، محمد السيد الداوودي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣ م .
- *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ، مكتبة آية الله المرعشي العامة ، قم ، ١٤٠٦ هـ .
- *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، المكتبة الإسلامية ، ط٤ ، طهران ، ١٤٠٥ هـ .
- *الميزان في تفسير القرآن ، العلامة ، السيد محمد الحسين الطباطبائي ت(١٤٠٢) هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د.ت) .
- *فتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، احمد بن محمد المعري ت(١٠٤١) هـ ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- *نفحات الولاية ، ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة سليمان زادة ، قم ، ١٩٩٥ م .
- *النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) ، محمد عزام ، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .
- *نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الباقي الخالدي ، مركز الشهاب ، الجزائر ، (د.ت) .
- *نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ابراهيم ريكان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- *نهاية الإرب في معرفة الأدب ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب القاهرة ، ١٩٢٩ م .
- *نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ت(٦٠٦) هـ ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر ، عمان ، ١٩٨٥ م .
- *النهاية في غريب الأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ، المكتبة العلمية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- *نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، (د.ت) .
- *النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ت(٦٠٦) هـ ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان ، ط٤ ، قم ، ١٣٦٤ هـ .
- *نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص ، ايليا حاوي ، دار الكتاب اللبناني ، ط٣ ، لبنان ، ١٩٦٩ م .
- *وسائل الشيعة، الحر العاملي ت(١١٠٤) هـ ، مؤسسة آل البيت (ع) للاحياء التراث ، ط٢ ، قم ، ١٤١٤ هـ
- *ينابيع المودة لذوي القربى ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي ت(١٢٩٤) هـ ، تحقيق سيد علي

جمال اشرف الحسيني ، مطبعة أسوة ، طهران ، (د.ت) .

البحوث والمقالات :

*آيات الابتلاء، د. حامد عبد الهادي حسن ، مجلة دراسات إسلامية ، ع(١١)، بغداد ، ١٤٢٣ هـ .

*الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي(ع)، د.فليح كريم خضير،مجلة الطليعة الأدبية ع(٣)،بغداد.

*أسلوب التوكيد في سورة فصلت، هادي عبد علي هو يدي،مجلة القادسية ، مجلد(٢) ، ع(٣) ، ٢٠٠٢م.

* الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة، السيد محمد جعفر الحكيم، مجلة النجف الاشرف ، النجف ، ١٩٧٦م.

* التعلق النصي في الخطاب الشعري، د. يوسف اسماعيل ، مجلة التراث العربي، ع(٨٩) ، ٢٠٠٣م.

*تناص الشكل في الرسم الحديث ، كاظم وير ، مجلة الموقف الثقافي، ع (٢٩)، دار الشؤون ، بغداد ، ٢٠٠٠م.

*التناص مع الشعر الغربي، د. عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة الأقلام ، بغداد ، ع(١٠،١١،١٢) ، ١٩٩٤م.

*التناص و اشاريات العمل الأدبي ، صبري حافظ ، مجلة ألف ، ع (٤) ، لسنة ١٩٨٤ م .

*جمالية النص ، د.عبد الملك مرتاض ، جريدة الرياض ، ع(١٢٨٧٩)السنة ٣٩ ، ١٤٢٤ هـ ، المملكة العربية السعودية.

*حد اللغة بين المعيارية والاستعمال، د. عبد السلام المسدي ، مجلة الأقلام ، ع(٥) ، السنة العاشرة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥ م .

*الصورة الفنية في كلام الإمام علي ، د. خالد محمد محي الدين البرادعي ، مجلة المنهاج، ع(٥)، السنة الثانية ، ١٩٩٧ م .

*الليث والخراف المهضومة ، دراسة في بلاغة التناص الأدبي ، د.شجاع العاني ، الموقف الثقافي ،

ع(١٧) لسنة ١٩٨٩ م .

*المجلة في المثال ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، د. حاكم حبيب الكريطي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، ع(١)السنة الأولى ، ٢٠٠٠م ، جامعة الكوفة.

*المثل في القرآن الكريم ، منير القاضي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج(٧)، ١، لأعداد(٣٠-٣٥)، ١٩٦٠ م .

*المثل في نهج البلاغة ، عبد الهادي الفضلي ، مجلة رسالة الإسلام ، جامعة أصول الدين ، ١٩٧٨ م .

*مدارات النص المغلق (من غرابة المفردة إلى تغريب النص) ، عبد العزيز إبراهيم،الموقف الثقافي، ع(٢٩)، دار الشؤون ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .

*مشكلة التناسل في النقد الأدبي المعاصر ، محمد أد يوات ، مجلة الاقلام ، ع(٤)، بغداد ، لسنة ١٩٩٥ .

* النص والتأويل ، بول ديكور،ترجمة منصف عبد الحق،مجلة العرب والفكر العالمي ،ع(٣)،١٩٨٨م.

*النص والتناص ، د. رجاء عيد ، مجلة علامات ، ع (١٨) ، مجلد (٥) ، لسنة ١٩٩٥ م .

*النصوص الأدبية بين السرقة والاقْتباس ، غانم محمود ، مجلة آفاق عربية ، ع(٣) ، السنة الثامنة عشر ، بغداد.

*وجه الشاهد النحوي في نهج البلاغة ، عبد الواحد خلف وساك،كلية التربية ، ميسان ، بحث مخطوط

الرسائل الجامعية:

- *الأدوات البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة ، نجلاء عبد الحسين الغزال،رسالة ماجستير،
جامعة الكوفة ، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.
- *الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني ، د. عواطف كنوش ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة
البصرة، ١٩٩٥ م.
- *أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الالوسي ، بغداد ، ١٩٨٨ م.
- *أساليب الطلب في نهج البلاغة ، عدوية عبد الجبار كريم الشرع ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل،
٢٠٠٠ م .
- *اسلوب التوكيد في نهج البلاغة ، اصيل محمد كاظم ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية
التربية ، ٢٠٠٢ م .
- *الإيقاع ، أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم ، د. عبد الواحد المنصوري ، رسالة ماجستير ، كلية
الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٩ م .
- *التناص في شعر محمود درويش ،حازم هاشم منخي ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة، كلية
التربية ، ٢٠٠٥ م .
- *خصائص الجملة العربية في نهج البلاغة ،سميرداود سلمان ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ،
كلية الاداب ، ٢٠٠٣ م .